باقر الصَّرَّاف

الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي



إهـــــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

الرؤية السياسية الإيرانية
في ظل حكم الملالي



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

◆ ◆ ◆

رئيس المركز

علي عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

باقر الصراف

الرؤية السياسية الإيرانية في ظل حكم الملالي



الكتاب: الرؤية السياسية الإيرانية
في ظل حكم الملالي
الكاتب: باقر الصراف
(العراق/ هولندا)
الناشر: مــركــز الحضـــارة العربيـــة
الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

الغلاف
تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ: إيمان محمد

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٨٨١٢
الترقيم الدولي:I.S.B.N.977-291-896-x

الصراف، باقر.
الرؤية السياسية الإيرانية/ باقر الصراف- ط١. القاهرة: مركز الحضـــارة العربيـــة للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.
١٧٦ص؛ ٢٠سم.
تدمك: ٩٧٧-٢٩١-٨٩٦-x
١- إيران - تاريخ - العصر الحديث
٢- إيران - الأحوال السياسية.
أ- العنوان ٩٥٥,٠٤

الإهداء

إلى الصادقين في مواقفهم السياسية والفكرية

إلى المخلصين للحضارة العربية الإسلامية

(١)

معايير تحديد المفهوم

يتردد في هذه الأيام، وبكثرة، مصطلح "الفارسية الصفوية" في الكتابات السياسية التي تمس القضية العراقية، أو التي تعكس هموم العراقيين كلهم، إلا مَنْ تماهى مع الرؤية الأيديولوجية للقيادات الإيرانية الحالية بشقيها السياسي الفارسي والمتعصب مذهبيًا. كون هذا المفهوم ذا سيرورة تاريخية مستمرة، ودالة على نزوع قومي فارسي: عنصري ضد العرب العراقيين خصوصًا، وكذلك أنه مثال ملموس على الرؤية الطائفية - مثلاً - وهو مجسَّد عمليًا وفعليًا خارج نطاق التجارب الإنسانية في إطارها الإسلامي، وإنْ غُلف عبر مخاتلات "فكرية" طابعها "المقدس" غير القابل للتساؤل، من وجهة نظرهم، أساسه النصُّ المتوارث، ومن دون الاحتكام إلى أية منهجية عقلية سليمة تستخلص ما هو في التاريخ من خطأ أو صواب.

إننا لا نجد أية شعوب مسلمة أو أي قسم من المسلمين على كافة توزيعاتهم الجغرافية والقومية، يكرهون العرب والعروبة مثلما تكرهها الأمة الفارسية، كما يقررها حكامها السياسيون السابقون واللاحقون، وبعض العلماء المجتهدين في المذهب السائد في سلطتها، على ما في ذلك من مخالفة لنصوص نبوية وقرآنية كثيرة، من جهة، ومناقضة لمجرى تاريخي عربي إسلامي مفعم بالإيثار والتعامل الإنساني مع الآخر، فالعرب: كشعب وحضارة مثلاً إرتضوا أنْ يخضعوا للعثمانيين طوال أربعة قرون من دون أنْ يخالفوا الرؤية الإسلامية من حيث الموقف السياسي - على سبيل المثال - ولم يثوروا على العثمانيين إلا بعد صيرورة البورجوازية القومية الطورانية

وتعبيرها السياسي: تنظيم جمعية الإتحاد والترقي هي المظهر الرئيس في السلطة العثمانية، وإقدامها على التريك الوظيفي والتريك اللغوي[1]، بعد تشبعها بالأيديولوجية الطورانية. وبتعبير أدق - وفق الإستخلاص الذي كتبه محمد عابد الجابري - فإنَّ {مفهوم "العروبة" يتحدد، ليس بالعلاقة مع "الإسلام"، لا كدين ولا كحضارة، بل بالعلاقة مع "الآخر" التركي الحكم المتحكم}.

فهل تكون هذه الظاهرة... ظاهرة السياسة الصفوية الفارسية ضد العرب والعروبة، ناجمة عن رؤية تاريخية لها أبعادها الفكرية المتأصلة في الرؤية الطائفية المذهبية وتجسداتها العملية في الواقع السياسي الراهن، الحديث والمعاصر، من حيث الموقف والممارسة على الصعيدين الأحوازي والعراقي وبعض بلدان الخليج العربي؟!...

نعم، نقول هذا الإستخلاص...

و - كذلك - نؤكد الجواب الإيجابي: نعم مرة ثانية وعن وعي تام.

يُبرزُ هذا الإستخلاص الواقعي في الواقع: بالإستناد إلى وقائع تاريخية ملموسة عند كل مَنْ يفكر سياسيًا ويتبصر في الوقائع التاريخية ولا يشدّه التعصُّب الأيديولوجي لطائفته المذهبية، أو لا تحتكر موقفه السياسي الأموال الكبيرة المدفوعة من الخزينة الإيرانية بذرائع ما يُسمى "سهم الإمام" أو "الخُمْس"، في حين يعلم الجميع أنَّ هذه الأموال لن تدفع إلا للحاشية المحيطة بالمجتهدين، وبعض الأقرباء والمريدين للسادة "المجتهدين الكبار"، ولكنها الآن تدفع الآن لمسؤولي الأحزاب الطائفية والمنظمات الأيديولوجية والتنظيمات الثقافية من أصحاب التوجهات السياسية الإيرانية، من العراقيين وغيرهم من أبناء الوطن العربي، ومريدي رؤيتها "الفارسية الصفوية"، وبذرائع متعددة: سياسية أو "دينية".

في الحقيقة، أنَّ سبر غور التاريخ منذ نشوء هذا المفهوم

وصيرورته مظهرًا رئيسًا في إيران الحالية التي تزعم فيها نيابتها عن "الرؤية الإسلامية" العالمية - إنْ لم تكن قبلها - يوضح بما لا يقبل الشك أو إمكانية الدحض، أنه مليء بالإشارات العملية والفكرية الموحية بقوة ترفض أية مخاتلات على أي مستوى كان، التي تبرهن على تلك النزعة العنصرية: "الفارسية الصفوية" المتوسدة في الذهن الفارسي الموروث منذ زمانٍ بعيد، وتراكمها الكمي والنوعي منذ إنبلاج فجر الرسالة الحضارية: العربية الإسلامية الأولى، والقضاء على الإمبراطورية الكسروية الفارسية التي كانت قائمة في خراسان الفارسية خلال حروب الفتح الإسلامي للعراق العربي، وتحرير أبنائه من السطوة الكسروية وتحقيق هزيمة الفرس المبينة في معركة "القادسية الجبارة"[٢].

لقد تعمقت مشاعر الرؤية الفارسية الصفوية في المرحلتين الحضاريتين: الأموية والعباسية، وإنْ كانت تتخذ من "مفهوم الشعوبية" عنوانًا لها، كما إشتق تعبيرها أو مفهومها الأديب العربي أبو عثمان الجاحظ الذي عاش خلال سنوات ٧٧٥ - ٨٦٨ (ميلادية) والمولود في مدينة البصرة، وهو من أئمة الأدب العربي العبّاسي، كما هو معلوم.

وإستمر المسؤولون الفرس في تمجيد الشاعر الفارسي الفردوسي، خلال الوقت الراهن: الحديث والمعاصر، وهو الذي طعن بالعروبة والعرب بشكل بذيء ومفعم السوداوية... شكل ويشكل إستمرارها نموذجها الأبرز وإنْ لم يكن الأوحد، كونه مجرد مؤشر على تواصل ذلك الحقد التاريخي القديم مع الغل الفارسي الصفوي الحديث أو المعاصر. لقد حرص الرئيس السابق محمد خاتمي - مثلاً - على تقديم ديوان الفردوسي المطبوع في المطابع الحكومية في طهران والموشى بالذهب إلى البابا الذي كان الشخص الأول في المذهب الكاثوليكي المسيحي والرمز الأكبر لجمهورية الفاتيكان، بإعتبار ذلك الديوان هدية من مسؤول إيراني له موقعه

السياسي السابق ومركزه المعنوي الراهن ودوره الأيديولوجي الحالي، لحظة زيارته للفاتيكان، وحديثه الذي أعلن فيه: عن حمده لله أنْ أصبحوا مسلمين ولم يتحولوا للعروبة، في دغدغة للعواطف السياسية المضادة للعرب عند الغرب السياسي المتعولم، من جهة، وتأكيد نوعية هذه الهدية الفردوسية على التعصب الفارسي الدّالة الذي يتحكم في قناعات خاتمي الأيديولوجية، من جهة أخرى.

وهي في أية حال، تلخص القناعات التاريخية عند عموم الرموز الفارسية الحاكمة، كما تبرهن على سيرورتها السياسة الإيرانية الراهنة تجاه العراق، من ناحية أولى، مثلما يكشف ذلك الحديث المستفيض للرئيس الإيراني السابق عندما يتحدث عن الحضارة المصرية والإيرانية الفارسية والهندية، وتجاهله المتعمد للحضارة العربية الإسلامية عند الحديث مع البابا والأجهزة الإعلامية ذات الاهتمام بشؤون البابوية... يكشف عن الحقيقة الفعلية لدواخله الفكرية والعنصرية المترسبة في تشكل أفكاره، ومدى الحقد الفارسي التاريخي الذي يهيمن على وعيه الفكري والسياسي، بالرغم من أحاديثه الدعائية المتكررة عن ما يسميه بحوار الحضارات.

إنَّ تجاهل حديثه عن تناول - عرضي أو غير عرضي - أي مفهوم يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية، أولاً، ومنجزات الحضارية العراقية القديمة، ثانيًا، وهي كثيرة وغزيرة تحتويها المجلدات التاريخية المكتوبة والموثقة، من ناحية ثالثة، هو أكثر من دلالة ملموسة معلنة لم ترد بشكل عفوي على لسان مسؤول فارسي فقط، بل هي أحاديث متناثرة قيلت بهذا اللسان الفارسي أو ذاك من مسؤولي "الدولة الإسلامية"، إذ أننا نورد تلك الواقعة العملية بإعتبارها مجرد مثال ملموس أكثر من كونه إستطرادًا علميًا ورصدًا تاريخيًا لواقع تاريخي. إنه مجرد دلالة معاصرة على هذا المنحى "الفارسي الصفوي" المهووس والمتعصب.

وحتى الإتفاقيات والنزاعات التي تلت "معاهدة أرضروم" الأولى والثانية في العام ١٨٢٣ و١٨٤٧ التي كان طرفاها "الفرس" الذين يسيطرون على النظام القاجاري الخراساني ومن بعده البهلوي الإيراني، أولاً، والإمبراطورية العثمانية التي كانت تتكون من شعوب مختلفة وقوميات متعددة، من ناحية، وهم الذين - كذلك - كانوا يسيطرون على العراق، من ناحية أخرى، ثانيًا، وما ورثه الكيان العراقي الحديث: كدولة، من مترتبات ونتائج أنشأتها أو أفرزتها تلك الإتفاقيات والنزاعات، التي لا مجال متاح للتوسع فيها بسبب الموضوع المطروح للنقاش: المفهوم الفارسي الصفوي...؟ نقول لا مجال: لخوض التعرض التاريخي في ملابساتها وحيثياتها، كونها خارجة عن سياق الموضوع المثار، ولكن لابد من القول السريع حول الطابع العام لتلك المترتبات هو الأزمات السياسية المتوالية: الحديثة والمعاصرة التي تتشب بشكل متكرر بين الدولتين، ثالثًا، وما خلفه الدارسون التاريخيون الموضوعيون من تراث فكري في مجال تفسير هذا المفهوم: خصوصًا الصفوية، الذين أخذوا إعتبار مفهومي "الزمان" و"المكان" وطبيعة المرحلة الحضارية العربية الإسلامية في سياق نظرتهم العلمية، رابعًا، كلها ستكون المعايير السياسية والفكرية الناظمة لتحديد هذا المفهوم: الصفوي الفارسي.

(٢)

عالم إيراني فارسي يحدّد المفهوم

لقد كشف تاريخيًا ومعرفيًا المفكر الإسلامي الإيراني الشهيد الدكتور علي شريعتي الذي إغتاله "سافاك" الشاه الإيراني في العاصمة البريطانية: لندن، جزءًا من المفهوم الصفوي بشكلٍ عام،

مميطًا اللثام عن أهدافه السياسية الكلية والحقيقية، وتناول بشكل معمَّق الجانب المتعلق أساسًا بالمفهوم السياسي لذلك المصطلح المرئي في الممارسة اليومية، أي: "المفهوم الصفوي"، والذي جرى تلقيحه مفهوميًا على أيدي الزمر المعممة الحاكمة اليوم في إيران الراهنة.

في الحقيقة، شكلت تلك الرؤية التاريخية والتحليلية عن مكنون "المفهوم الصفوي" أحد مسكوكاته التاريخية من حيث التنظير والإحاطة الشاملة: الفكرية والسياسية، أي أنَّ الشهيد شريعتي قد تناوله بالحديث الفكري المفصَّل والتحليل السياسي المعمق، الأمر الذي يجعل من إعتراضات البعض حول الإستخدام العلمي والعملي لهذا المفهوم من قبل القوميين العرب - في بعض التحليلات السياسية - هو نافل تمامًا، وإتهام كل الذين يتعاطونه في الفكر السياسي على أرضية ما هو ملموس في أداء المهمات الوطنية العراقية والقومية العربية، وما يشكله ذلك المفهوم واحدًا من المقولات النظرية الأساسية في تحليلاتهم السياسية... إتهامهم بأنهم قوميون وعنصريون من العرب، أو طائفيون من السنة أو النواصب، أو فاقدو مواقعهم السياسية السلطوية السابقة، وغيرها من نعوت أيديولوجية تفتقر إلى علاقة موضوعية بالواقع، ليس من أقلها أو من بينها: التكفيريون والصداميون... تجعل كل تلك الأوصاف والنعوت مجرد إتهامات فارسية عنصرية وأوهام طائفية لتمرير السم بالدسم، أي على طريقة ذلك المثل العربي: "ضربني وبكى وسبقني وإشتكى"... أي أنَّ إتهاماتهم زائفة وباطلة تمامًا، وكذلك تنطوي على رؤية أيديولوجية فارسية عنصرية مسبقة. لا شك أن بعض العرب المخلصين: من الكتاب والصحفيين قد وقعوا فيها للأسف الشديد.

نقول إنَّ الدكتور الشهيد علي شريعتي الإيراني الفارسي الأرومة والمحتد، هو أبرزهم وأشهرهم وأنبلهم، في سياق طرحنا هذا المفهوم

والمحاججة مع الآخرين: الخصوم خصوصًا بصدده وسيكون - كذلك - مصدرنا الرئيس في الإفادة المعرفية والإحاطة التاريخية في تحديد هذا المفهوم: "الفارسية الصفوية" لأسباب كثيرة، منها بسبب المبادرة الريادية المنهجية والفكرية في تأصّيله وإرسائه لهذا المفهوم، من جهة، وكون أرومته فارسية، ولكنه المخلص للحضارة العربية الإسلامية، هي أحد المعالم التكوينية لفكره، من جهة أخرى، وشخصيته العلمية في إطار البحث التاريخي التدقيقي وحرصه على الأمانة والصدق مع الذات والآخر، إضافة إلى نزاهته الدينية، من جهة ثالثة، وموقعه في إطار الرؤية الجهادية: الفكرية والعملية ضد التغريب الذي كان هو الشأن الفكري الشامل لرؤية الشاه الإيراني السابق المقبور محمد رضا بهلوي. وهو فوق ذلك، صاحب رؤية سياسية غير مشكوك فيها وخصوصًا بالنسبة لبعض معتنقي الفكر الإمامي الإثنا عشري: عرب وغير عرب على وجه الخصوص، من جهة رابعة وأخيرة..[٣].

هل يعني أنَّ كل ما جاء به الكتاب: التشيع العلوي والتشيع الصفوي الذي سيكون مصدرنا الرئيس من أفكار وآراء حول هذا المفهوم، وما قاله الدكتور شريعتي في غيره، هي مباديء فكرية ورؤى سياسية ملزِمة لنا في التقدير والتقرير، على مستوى الرؤية الفكرية والدينية والمذهبية التي سطرها في عشرات الكتب الأخرى التي ألفها؟

كلا بالتأكيد...

فمنهجنا ورؤيتنا وأفكارنا وتوجهاتنا متغايرة تمامًا: إختلاف الرؤية الدينية المحضة عن الرؤية الحضارية العربية الإسلامية، وهدفنا السياسي متناقض معه على مستوى الرؤية القومية العربية والرؤية الحضارية العربية الإسلامية، كوننا نعتقد بأنَّ أي تطور توحيدي على مستوى الأمة العربية سيكون، وبالضرورة، مدماك

أساسي في أي تطور في العالم الإسلامي، ذلك هو مبدأ يتعلق بالمفاهيم الحضارية العربية الإسلامية، لذلك فهي ضرورة موضوعية وطابعها الإخلاص الوطني العراقي والقومي العربي، ولكن من الضروري التطرق لأفكار المبادرين في هذا الإتجاه الفكري والتحليلي، كون ذلك من حقهم الإبداعي بالذات، ومن أجل مواصلة مسيرتهم الفكرية في هذا النطاق بالذات، عن طريق الإضافة أو الحذف من أجل ترصين ما نراه فكريًا وسياسيًا، في سياق مناقشة الظروف التاريخية المكونة لهذا المفهوم: "الفارسي الصفوي".

يستخلص الدكتور شريعتي التالي، في سياق محاولته العلمية لتأصيل هذا المفهوم المبني على ركيزتين أساسيتين، كما يرى عن حق - ونتحفظ نحن حول مطلقاته الإيمانية والمذهبية، التي سنتطرق لبعض التعبيرات عنها لاحقًا - وتلك الركيزتين هما: "المذهب الشيعي + القومية الإيرانية"، ويبني تصوراته الفلسفية على أساس رؤية معرفية خاصة تدقق في المسار التاريخي لتطورات المواقف الفارسية منذ أوائل عهد الدولة الإسلامية العربية التي أرساها الرسول الكريم ﷺ في المدينة المنورة وما أعقبها من سيرورة تاريخية في العصرين الأموي والعباسي، ولكن النظرة الفارسية للتطورات تلك - كما يرى - موتورة حاقدة ومسعورة على الدوام، كما يتجلى ذلك بقوله: إنَّ طابع ذلك الإستخلاص ومبناه ومرتكزات أقانيمه الإجتماعية والتاريخية هو "الحقد والضغينة وسوء الظن بالآخر والتهمة والإفتراء والطعن واللعن والتحريف والتزييف والتفسيق والتكفير (... المقرون) بالجهود المريضة التي يبذلها بسخاء عملاء الأجهزة الدعائية الدينية التابعة لقصر: عالي قابو، أي بلاط الشاه"[4].

ولكن كيف يستطيع هذا المفهوم الفكري والسياسي أنْ ينتج "الأداة الإنسانية/ البشرية" المؤثرة على سلوك الفرد اليومي ويطبع

دوره بسمات الممارسة العملية على ما فيها من محرمات، كان الدين الإسلامي واضحًا في التوقف أمامها وتحديد الموقف الحازم منها، كالقتل الغادر على سبيل المثال؟!.

إنّ الإجابة على ذلك التساؤل الهّام والحيوي جدًا، يكشفه الشهيد شريعتي على الوجه التالي "إنَّ رجل الدين الصفوي - ولا أقول العالم الشيعي - متعصب تعصبًا أعمى، بمعنى أنه غير قادر على تحمل رأي المخالف وليس لديه أدنى إستعداد للإصغاء إليه وفهم ما يقول، وليس المراد من (المخالف) هنا بالضرورة مَنْ يخالفه في الدين أو المذهب، بل حتى مَنْ يخالفه في نمط التفكير وطبيعة المزاج، فإنه لا يتورع عن تكفيره بدون تردد"[٥].

وربما ما نجده اليوم على الصعيد العراقي من أحداث فظيعة تعبِّر عنها حالات الإغتيالات الواسعة التي تطال "النواصب" - كما تقول دعايتهم - من جهة، والتناول الحاقد الموسوم بالضغينة والمقرون بالألفاظ المقذعة لمحطات تاريخية كانت مظهرًا رئيسيًا لنشوء المفاهيم الخاصة بالأمة العربية والعالم الإسلامي وعموم مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف، وإتسامه بالنقد السلبي والشتم المتواصل واللعن الأبدي، من جهة أخرى، هي إحدى العلامات الدالة على ذرا مفارقات ذلك التعصب الأعمى والحقد غير المفهوم على العرب والعروبة وفق معايير النظرة الدينية الإسلامية الصافية كما جاءت في القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة.

لذلك فالشهيد شريعتي يركز، إبتداءً، على اللغة النقدية الواضحة ومسألة التفاوت الكبير بين مفاهيم الإختلاف، وهي ظاهرة إنسانية {أي ظاهرة الإختلاف} تُنشّط عوامل التدافع البشري والإجتماعي من أجل التطور الموضوعي، من ناحية، والمفهوم الآخر: أي الخلاف المبني على رؤية أيديولوجية تتحكم فيها "القناعات المسبقة" وهو المفهوم الذي يؤدي غالبًا إلى التنازع

والتهارش والصراع اللا موضوعي وحتى الحروب المفتعلة، من ناحية أخرى. لذا، كما يرى، أنَّ "العالِم الديني الصفوي" يركز في مجمل أبحاثه الفقهية و"التاريخية" على مسائل من شأنها "الإثارة والإختلاف بين السنة والشيعة وإهمال نقاط الإشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرغها عن قدرتها على أنْ تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين"[٦]، مما يؤدي وبالضرورة إلى صيرورة هذين التكوينين في المدارس الفقهية التي تنظر في التفصيلات الحياتية، ليس متناقضًا على طول الخط من حيث التفاصيل في بعض المسائل الفكرية فقط، وإنما جعل ذلك مجسدًا في فريقين متقابلين متحاربين عبر مختلف الوسائل والسبل.

(٣)

المفهوم عن اية مصلحة يعبِّر؟

وفي الواقع الفكري الملموس، أنَّ هذا التوجه هو مخالف لكل التعليمات الدينية الإسلامية، ومتمرد على روحيته التي تسعى للتكامل بين المسلمين كافة، ذلك إنطلاقًا من رؤية ثقافية نابعة من المفاهيم التاريخية للدين العربي الإسلامي، بلهَ جعله مظهرًا كبيرًا وأساسيًا ورئيسًا في المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أنْ يكون متكاملاً متواصلاً ومتناميًا أيضًا، كما هو مفترض، بناءً على قراءة واعية: مخلصة ونزيهة تعتمد على رؤية قرآنية صافية ومقرونة بسيرة نبوية واضحة كما أفرزته السنة النبوية الشريفة المنسجمة مع الظروف التاريخية...

وذلك في إطار نزعة إنسانية عالمية "قائمة على التسامح والإعتراف بأقدار الأمم والشعوب وثقافاتها" وفقًا لما قاله الأستاذ

عرفـان عبـد الحميـد فتـاح: الأمـين العـام لمنظمـة المؤتمر الإسـلامي الشـعبي مـن بغـداد ، مسـتندًا فـي ذلـك إلى مـا قـرره الفيلسـوف أبـو يوسـف يعقـوب بـن إسـحاق الكـنـدي: "ومـن أوجـب الحـق ألا نـذم مَنْ كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة، فكيف بالذين هـم أكبر أسـباب منافعنـا العظـام الحقيقيـة الجديـة، وينبغـي ألا نسـتحي مـن إستحسـان الحـق، وإقتنـاء الحـق مـن أيـن أتـى، وإنْ أتـى مـن الأجنـاس القاصية عنا، والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق"[٧]، إنَّ هـذا المنطق ومحتواه الحضاري هـو مصداق قـول الإمـام علي بن أبي طالب، (ك)، "الحكمة ضالة كل مؤمن، خذ الحكمة من أهل النفاق"، و"خذ الحكمة أنـى كانـت، فإنَّ الحكمـة تكـون فـي صـدر المنـافق فـتلجلج فـي صـدره حتـى تخـرج فتسـكن إلى صـواحبها فـي صـدر المـؤمن"، وكـل ذلـك - كمـا هـو معلـوم - يتناقض مع رؤية الطعن واللعن والإقصاء الفارسية الصفوية!.

يبذل أولئك "المجتهدون" الصفويون الفرس في صياغة بنائهم الفكري: أي إستثمار المفاهيم المدرسة الإمامية وحتى مفاهيم بقية المدارس الإسلامية، على أرضية المصلحة الفارسية الإيرانية، في جعل التكوينات الإسلامية متناقضة متصادمة في صفيَّن هما "الشيعة" و"اللا شيعة"، وبالتالي تشييد أنماطهما "الفكرية المذهبية" معرفيًا لصالح صيرورتهما طرفين متناقضين قبالة بعضهما البعض، ومتصادمين في الفكر والعمل ليس في الحاضر فقط، وإنما في كل التاريخ الإسلامي الماضي أيضًا، بغض النظر عن المفاهيم الحضارية المسلمة المتكاملة والمتوحدة في الأهداف الإنسانية المشتركة.

وبذلك تمكن هذا الأسلوب "الفكري" الماكر الذي يتبعه حكام إيران الحاليون - على سبيل المثال المحدد والملموس - ومَنْ يدور في فلكهم من المعممين السياسيين والأيديولوجيين الذين

يزعمون إلتزامهم بـ"الرؤية الدينية الإسلامية" أو "الرؤية المذهبية الإثناعشرية، في العراق أو غيره، من التوصل إلى توليد حالة عملية ملموسة قوامها، كما يقول العالِم شريعتي: إتحاد "التشيع الصفوي مع القومية الإيرانية: {وأظن أنَّ الكاتب يقصد القومية الفارسية، إذ أنَّ الدولة الإيرانية، كما هو معلوم، تتكون من شعوب متنوعة قوميًا: العرب، والأذريين، والأكراد، والبلوش، والتركمان، والفرس طبعًا، جمعتها ظروف تاريخية عابرة} في حركة جديدة".

لقد إمتزجت هاتان القوتان معًا حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنها مركب جديد يمكن أنْ نصطلح عليه تارة بأنه "تشيع شعوبي" وأخرى تارة بأنه "شيعة شعوبية"[8]، وهو توليف غريب عن أي مفهوم إسلامي قرآني أصيل وغير مأوَل بشكل تعسفي أو قسري، إذ تولدَ هذا المفهوم العنصري، وما نشأ عنه من تعاليم وفتاوى و"أفكار مقدسة" وترهات ميتافيزيقية خارجة عن نطاق العقل والمنطق... لقد تولد عن "عقد قران" بين"الرؤية الإمامية/ الشيعية" المزعومة و"القومية الفارسية"... عقد قران غير شرعي يتسم بالسِفاح[9].

ولكن المرحوم شريعتي لم يكن حيًا في الواقع الآني والراهن، وبالتالي جعله باحثًا علميًا يعطي الأمثلة الحسية الملموسة المستقاة من واقع تجربة الحياة اليومية الراهنة، وبالتالي: يغترف الشواهد الحسية الملموسة من العراق السياسي في هذه المرحلة الذي إنتصر فيها الطغيان العسكري الأمريكي على وطنه ومجتمعه العربي المسلم وفق معايير الحضارة العربية الإسلامية، والذي جعله "خاضعا" كليًا للاحتلال الأمريكي وخصوصًا في ظل طابع أفكار إدارته الصليبية الصهيونية المنفلتة من أي عقالٍ سياسي تضبطه الشرعية الدولية، كما وردت في مواثيق الأمم المتحدة، وذلك من أجل البرهنة على وجهة نظره تلك من حيث مواقف الأتباع/ العلماء المذهبيين والسياسيين الذين يديرون الوضع

السياسي العراقي في هذه الأيام، وبالتالي لكي يتطرق إلى قرائن التبعية السياسية الواضحة للرؤية الصليبية المتصهينة، وكذلك الإستدلال على صحة أطروحاته الفكرية من خلال مناظر الجثث المقطوعة الرأس والمفصولة عن أجساها، التي ركّبَها الله في أحسن تقويم، والمثقوبة الأجساد بالمثقب الكهربائي (الدريل)، والمحروقة الجلود بالتيزاب والأحماض الكيميائية والسلق بالمياه المغلية، والمفقوءة أعينهم جراء التعذيب البشع، وكذلك ما تشكله من دلائل وبراهين تتمثل بالمقتلعين من مناطق إقامتهم التاريخية أو المرَّحَلون من مواقع سكناهم على خلفية التفتيت المجتمعي العراقي والتجزئة الطائفية الملموسة، كما بينته تجارب صولاغ/ مجلس آل الحكيم وأتباعهما من قوات "بدر" وغيرها، وأقسام كبيرة من جيش مقتدى الصدر، وغيرهم من المنظمات الطائفية "السنية" التي تقف في الصفوف المواجهه لهم، إذ أنَّ ردود الفعل الإجتثاثية أمر وبديهي في مثل هذه الأحوال، وتلتقي في نوعية الجرائم المرتكبة بحق العراقيين من مختلف الإنتماءات المذهبية والدينية!، بغض النظر عن مفاهيم الشريعة الإسلامية التي تعد حياة الإنسان وكرامته خطًا أحمر لا ينبغي الاقتراب منه، ناهيك عن إنتهاكه المتعدد الوجوه، كما هو ملموس في الماضي الذي إنقضت خمس سنوات على مآسيه، والذي أعقب الإحتلال الأمريكي.

لقد كان - كما أتوقع - بأمس الحاجة لهذه الأمثلة الشاخصة الملموسة - للتدليل على وجهة نظره، إذ أنَّ السلطة الصفوية التابعة لإيران القائمة في العراق المحتل والمشبعة بتعاليم الرؤية الفارسية الإيرانية، والتي تنامت "قناعاتها السياسية" في الحاضنة الفكرية لمرشديها من "المراجع العظام"، هي المسؤولة عن وضع الناس الأمني في داخل العراق بسبب تبعيتها المطلقة للمحتلين الأمريكيين، بلهَ لا يتوانون عن التصريحات المعلنة بضرورات التمسك بوجودها العسكري في العراق لحمايتهم من غضب الشعب العراقي.

كما أنَّ صدور التصريحات الإيرانية والواردة بلسان الرئيس الإيراني أحمدي نجاد والمعلنة في الأجهزة الإعلامية المختلفة حول ما يسمى بملء الفراغ الذي سيخلفه إنسحاب القوات الأمريكية من العراق والمقرون بعدم الإشارة إلى دور الإرادة الوطنية الحازمة التي واجهت قوات المحتلين بالقتال، من ناحية أولى، وتأييد حكومة المالكي أو الشبيهة فيه، هي تستهدف، وبشكل محدد وقبل أي شيء، طمأنة العملاء والأتباع حول حمايتهم في المستقبل، فيما إذا إنسحب حماتهم من العسكريين الأمريكيين، من ناحية ثانية، ناهيك عن كونها تستبطن ملامح التفكير العنصري الذي يستهدف العراق تكوينًا وتاريخًا ومضمونًا قوميًا، من ناحية ثالثة.

ولكن كيف تجسَّدت هذه المفاهيم الصفوية على الصعيد الجنسي؟ أي على صعيد جانب محدد من الرؤية الصفوية للعلاقات الطبيعية بين البشر الأسوياء في المجتمع الواحد؟ والتي كانت سببًا في نقل الأمراض الجنسية المعدية والخطيرة للدرجة التي تركت أثارها الرهيبة المتمثل في النخر الإجتماعي العراقي؟ هذا ما ستعالجه الرؤية الفكرية التالية بعد تلمس المجموع العراقي الممارسات الإيرانية / الفارسية التي بتنا نراها في مجتمعنا العراقي والتي لم يعرفها سابقًا، وبالقطع!.

إنَّ التشيع الصفوي الفارسي، كما هو متجلٍ في الممارسة اليومية على الصعيد العراقي، وكذلك المتجسد أمامنا على الصعيد "الفكري" والسياسي، يقترن بالأقوال النابية والأفعال الدخيلة على الإسلام الذي حضَّ على المحبة والإحترام للذات البشرية وحرَّم الطعن واللعن ودان الهمز واللمز وأوعد مروجيه بالويل والثبور، وهي القيم المنافية لأبسط الأخلاق الإنسانية جمعاء، والإتصال البشري السوي من خلال مؤسسة الزواج الشرعية التي لها شروطها المعروفة.

(٤)

الجنس في رؤية مجتهدهم الأكبر

ويمكن الإستدلال على ذلك الإتجاه الفارسي الصفوي المُمارَس فعلاً، وعلى سبيل المثال، من مطالعة مستفيضة مدققة في الفقرة التالية التي يستشهد بها نجل المرجع الأعلى في حينه أبو القاسم الخوئي: أي المجتهد الأكبر لدى أتباع المذهب الأمامي قبل وفاته، وهو السيد عباس الخوئي والتي جاء فيها: "أدناه نص الفتوى رقم (١٢) من باب النكاح التي وردت في الجزء الثاني، الصفحة (٢٤١) من كتابيْ وسيلة النجاة للسيد أبو الحسن الأصفهاني وتحرير الوسيلة للإمام الخميني. ونسختا الكتابين موجودتان عندي. مسألة ١٢ - "ولا يجوز وطء الزوجة قبل تسع سنين، دوامًا كان النكاح أو منقطعًا، وأما سائر الإستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة، ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى، وإنْ أفضاها بأنْ جعل مسلكي البول والحيض واحدًا أو مسلكي الحيض والغائط واحدًا حُرِّمَ عليه وطؤها أبدًا، لكن على الأحوط في الصورة الثانية، وعلى أي حال لم تخرج عن زوجيته على الأقوى، فيجري عليها أحكامها من التوارث وحرمة الخامسة وحرمة أختها معها وغيرها... إلخ"[١٠].

ويعلق السيد عباس الخوئي على ما تقدم من "خزعبلات" بينها وبين أي علم بايلوجي وقيم أخلاقية، بيدٌ دونها بيد، كما يقول الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي، وكذلك، تتناقض مع الطبائع البشرية السوية على إطلاقياتها، وفي كل الجغرافيات المكانية، ووفقًا لأي ذوق بشري وأي منطق عقلي يتسم بأبسط

معاني الإدراك الديني، وسريرة حريصة على آدميتها الإنسانية وموروثاتها الأخلاقية الكريمة... يعلق على كل ذلك بما يلي: "من المخجل أنْ نرى هذه المسألة ورقمها (١٢) في باب النكاح الصفحة (٢٤١) المجلد الثاني من كتاب تحرير الوسيلة للمرحوم الإمام الخميني المطبوعة عدة طبعات في كل من النجف وإيران ولبنان.. هذه المسألة مذكورة أيضًا في كتاب وسيلة النجاة للمرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن أصفهاني الذي ذكرها في نفس الصفحة ونفس الرقم (٢٤١) من المجلد الثاني، والمرجعان الخميني والأصفهاني نقلا المسألة بحذافيرها من كتاب العروة الوثقى للمرجع الكبير الراحل آية الله السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي المتوفى في عام ١٩١٩، وذلك يعني أنَّ المرجعين الخميني والأصفهاني قد أخذا النص كما هو دون أي تغيير في الفتاوى، وعليه فإنَّ الشروح في الصفحة (٤) من كتاب تحرير الوسيلة، الجزء الأول، المنسوب للمرحوم الخميني، هو خلاف للواقع، إنْ لم نعتبره كذبًا مكشوفًا"[١١].

وبعيدًا عن سرقة الأفكار ولطش التعبيرات وتكرار الإستخلاصات "الفقهية" من دون الإشارة إلى المصدر - كما تقتضي أخلاقيات البحث العلمي أو الأكاديمي النزيه والذي يتسم بالمصداقية - أو بذل أي جهد فكري تجاه المسألة المثارة في البحث بما يجعل الإستخلاص صادر عن رؤية المؤلف أو المجتهد، وما يدور في عالم المسائل النظرية والحوار في ظل "مدارس الكلام" الإسلامية، في المستويات المكونة لما يُسمى بعالم الحوزات {العلمية} المدرسية، علينا تحميل مسؤولية ما نراه من تكميم مُحكم لصغيرات السن من البنات والفتيات حتى اللائي لم يبلغنَّ الخمس سنوات، بالشادور الملوَّن والعباءات السود ومختلف أشكال الحجاب الأخر، وهن - في أية حال - لم يتجاوزن الخمس سنوات... تحميل المسؤولية الأخلاقية وما يترتب عليها

من أفعال، لمضمون هذه الفتاوى وأصحابها القائلين بها، وكذلك تحميل الخطايا المرتكبة بحق هذه الزهور الندية على أيدي الوحوش الحيوانية/ البشرية لكل مَنْ روج هذه الأفكار السقيمة والأعمال الرذيلة، إذ هم يبيحون مثل هذه الممارسات القبيحة بشكل "شرعي!!" وضمن فتاوى واضحة، ومستندون في ترويج هذه الأباطيل إلى مزاعم تتعلق بالشريعة العربية الإسلامية الغرّاء، ومن دون وجه حق، بله على خلفية التزييف التام، ومجرد حذفها من الطبعات اللاحقة لكتاب الإمام الخميني برهان على ذلك التزييف والتزوير، ودليل صادق على تفاهة النصوص ودونية الأحكام بصدد تلك المسائل "الجنسية" المثارة والشؤون التي تهم البشر على مختلف إنتماءاتهم العقائدية.

أفكار عملية مقززة تقشعر لها الأبدان وترتجف لها الضمائر وتتطير لهولها العقول، وهذه الممارسة العملية ليست عبارة عن فتاوى "شرعية وإفتراضية" تم تسطيرها في بطون الكتب للتفصيل ما بين هو حلال أو حرام، على صعيد الممارسات الجنسية بين التكوين الذكوري والتكوين الأنثوي، وبالتالي المعرفة التامة للفواصل اللازمة لتقرير الحدود الدنيوية تجاه هذه المسألة الحياتية الحيوية الملازمة للسنن والعادات الإجتماعية كما هي مطروحة، بإعتبارها جزءًا من التكوين الإنساني، بل هي تعليمات ممهورة بالفتاوى والأختام، لتكون مرشدًا بيانيًا في الأداء لبعض مقلديهم من الأتباع الذي تركوا العقل جانبًا، وعلى خلفية نص فقهي دَوَّنَهُ "مرجع ديني عالم" بالشريعة ومتبحر - أو هكذا يقال - في معرفة أسرارها، كما يزعم هو ويزعم أتباعه، وذلك قبل أي إعتبار، أي أنه نصٍ مكتوب في رسالته الكبرى التي أطلق مرشد الجمهورية الإيرانية السابق روح الله الخميني عليها إسم "تحرير الوسيلة"، كما أسلفنا.

(٥)

مفهوم المتعة ماذا يعني؟

اليوم يسير مقلدو ذلك الإمام: المجتهد الأكبر وقدوتهم في الممارسة روح الله الخميني، الذي هو المسؤول أدبيًا ومعنويًا، عن قضايا سلبية كثيرة، وكبرى أيضًا، تتعلق ليس بالفضائح الجنسية فقط، بل بدوام القتل والإقتتال بين البشر و"منع المسلمين من أداء فريضة الحج وإعدام ألوف الشبّان"، كما يقول الفقيه الإيراني المجتهد "آية الله" حسين علي منتظري، الذي كان مسؤولاً في "الجمهورية الإسلامية" في مرحلة ما من خلال تبوئه موقع النائب للخميني، من دون أية مسوغات شرعية، وما أفرزه من سلوك منافٍ لحقائق العقل ونصوص الشريعة العربية الإسلامية، فضلاً عمن ينتهج طريقه - أو يسير مَنْ هم على شاكلته - على ذات النهج السلوكي في هذا الجانب. إذ لدينا الآن، ولأربع سنين خلون ونيف بالتمام والكمال، "حكومة" العمائم الصفوية الرثة ممن يسيطرون على السلطة في العراق في أعقاب الإحتلال الأمريكي له، لذا يبدو الأمر "منطقيًا" عندما يقلد رئيس وزراء حكومة الإحتلال: نوري المالكي أنواط التقدير والشجاعة "لأبطال الغزوات الجنسية" من أتباع سلطته "الأمنيين" و"العسكريين"، ممن اعتدوا على شرف المواطنة العفيفة الشجاعة السيدة صابرين الجنابي!، أو غيرها التي تحدثت مختلف التقارير عنها، تحت ذريعة إجازة "الدين الإسلامي" مفهوم العمل بـ"المتعة"، وهو كذبٌ بواح وزنا صريح بالنسبة لغالبية المدارس الإسلامية، فضلاً عن كونه مدجج بالشروط الواجبة والملزمة لأي مَن يتعاطاها حتى وفقًا للرؤية الإمامية، أي عبر ما يدعى بـ"شريعة المتعة" التي يدعو لممارستها علماء المذهب من الفرس صباح مساء خصوصًا، وبعض أتباعهم من الجنسية العربية أو العراقية أيضًا.

هذه هي أخلاقهم على الصعيد العملي والممارسة اليومية، وتلك هي ممارسات عقيدتهم المذهبية: الطائفية الصفوية، ومجريات عملهم السياسي المتمثل بتكريم المجرمين الذين إرتكبوا جريمة إنتهاك العرض والشرف عنوة، الذي إختلطت فيها العمالة للأجنبي، والمكاسب "الأخلاقية" التي تلمسنا شظايا منها، هي دالة ملموسة أخرى على نهجهم السياسي الوضيع، وفي الحقيقة، أنها مجرد أحد الأمثلة الملموسة المعلنة، إذ أنَّ مجرد مكافأتهم الفورية "للعناصر الأمنية" التي باتت تضرب بالقبضتين... أي تضرب كل مَنْ لا يؤيد رؤية أسيادها السياسيين، والمسؤولة عن تنفيذ "القانون والتعليمات" التي أصدرتها سلطة العملاء، كما هو مفترض، أي بعد ساعات معدودات من شيوع الخبر من خلال إقرار الضحية النبيلة عبر الشاشات التلفزيونية المعلنة بما جرى لها... إنَّ ذلك السلوك هو الفضيحة السياسية والأخلاقية الكبرى وفق كل المقاييس المنطقية والموضوعية ناهيك عن المقاييس الدينية العربية الإسلامية.

إنَّ أقوال السيدة صابرين الجنابي هي إقرار لا يقبل التكذيب أو المناقشة، تمنحه الشريعة الإسلامية الحقة أولوية التأييد على ما عداها من حجج للدلالة على الواقعة، كنفي المجرمين التهمة عن أنفسهم ومسارعة المالكي لعدم تصديقها ومن دون أي تحقيق محايد، بخصوص جرائم أولئك الوحوش المنتسبين لسلطات رسمية، التي أقدمت على إرتكاب الفعل المجرم الفاحش مع السيدة الفاضلة تلك، في أية حال... بل في الحقيقة هي فضيحة بذاتها.

إنه مثال آخر ومضاف لما تقدم، وبرهان على درك الإنحطاط الأخلاقي الذي يتخبط في أوحاله عملاء الاحتلال، وعلامة دالة على ديوثيتهم التي كان ميدانها الأبرز بالعمل في القوادة السياسية عند المحتلين الأمريكيين والبريطانيين.

العرب المفعمون بقيم الشرف والأخلاق الرفيعة، والمسلمون

الحقيقيون، الفعليون، ذوو التقوى والإلتزام بالقيم الدينية الإسلامية الأخلاقية، بُراء من كل مما تقدم وفق معايير التقاليد العربية الإسلامية، ولما كان أهل الرؤية الإمامية الحقيقية: كمدرسة فقهية ضمن المدارس الإسلامية، كما هو مفترض، يقتدون بأخلاق وآداب أهل البيت النبوي المحمدي، وكذلك يتأسى أهل السنة بسيرة ومباديء الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، فإنَّ "مفهوم المتعة" الذي تدعو إليه الصفوية الفارسية بنشاط دعوي وإجراءات عملية مكشوفة، سيكون الفيصل والمعيار في التمييز بين الممارسات العملية على هذا الصعيد، ومعرفة الأدلة الإسلامية القائمة على الحس الأخلاقي البشري والتجربة التاريخية.

تؤكد الرؤية الصفوية الفارسية أنَّ المتعة تنطوي على فضيلتي الأجر والثواب في الحياة الدنيا واليوم والآخر، من ناحية، وتسهم بشكل رئيسي في إبعاد الوسواس الخناس الذي يزينه الشيطان للمسلمين... تبعده عن تفكير الفرد، من ناحية أخرى، وأنه لا يمتهن المرأة ولا ينتقص من حقوقها الإنسانية - كما يزعمون - سواء بتحويلها إلى قطعة أثاث، قيد الطلب لقاء سد العوز، أو الإستغلال الوظيفي، من ناحية ثالثة.

إلا أنَّ أفراد المجتمع العربي، والعراق من ضمنه على وجه الخصوص، ممن يلتزمون الرؤية الإمامية الإثنا عشرية، لا ينظرون إليها إلا كونها رجس من عمل الشيطان الذي يغوي الفرد، ويُبرر للأغنياء تكرار أفعالهم مع الفتيات اللائي يضطررنَّ لبيع أجسادهم لمن يدفع أكثر وأدسم، وأولئك الأفراد "المسلمون" لا يجدون في "تعاليم المتعة" التي يضخها "المجتهدون" غير "تشريع ديني" يحاول فلسفة الزنا ويبيحها لمن يواصل إرتكابها في كل حين ولحظة، بإسم الدين والشريعة الإسلامية على حد مزاعمهم، ومن دون أية ضوابط نصّت عليها الشروط الشرعية للزواج الدائم.

لقد رُفضت هذه العادة على المستوى العروبي وبالمطلق، ومجرد غيابها التام في الواقع العشائري العربي الذي يملأ الساحة الجغرافية العراقية وعموم الريف العراقي، مثلاً، يؤكد رفض المجتمع العربي، والعراقي من ضمنه على وجه التحديد، لكل المقولات التي رددها "الآيات العظام" في المذهب الإمامي، وكررها عن غباء التقليد "المجتهدون والآيات" من الدرجات الأخرى: الإمعات في الهرم الكهنوتي الذين يستحوذون على كل الخيرات المتوفرة، أو يهيمنون - ومن خلال أولئك "الآيات العظام" - على الهيئات الحوزوية، واستخدمت بشكل متعسف في إطارهم الضيق بشكل معلن أو مخبوء، في المرحلة التي أعقبت الإحتلال الأمريكي للعراق، ويجعلون منها المهمة الترويجية الأساسية في مجالسهم التعزوية، وتعليمات ملزمة لإجازة المتعة تناسب رغبات البعض، أو بمثابة نشيد الإنشاد في "التوراة الصفوية" التي تنتظم فتاواهم الفكرية على صعيد الممارسات الجنسية.

فلا غرابة أنْ يصرخ السيد عباس الخوئي في كراسته المذكورة سابقاً، من عمليات "الإعتداء على أعراض الناس في إيران"، لويقول أنَّ لديه أسماء الضحايا[١٢]، بله ما تجاوزها في الواقع المعاش والملموس، ففي رسالة موجهة إلى خامنئي ومسلّمة بالبريد المسجل وبتاريخ ١٠/ ٥/ ١٩٩٦ عبر (DCS) يذكر نجل المرجع الأعلى الأسبق للشيعة في العالم واقعة شاخصة قوامها المعلومة التالية:... "هو ما حدث في كربلاء المقدسة {أي الفعل الشنيع الذي إرتكبه أحد أفاضل المعممين} الذي هو اليوم قاضي المسلمين في الجمهورية الإسلامية، ومحسوب على الروحانيين الشيعة، فقد توسَّل يومًا بالدين والحسين (ع) لإغراء الطفل {وهو دون العاشرة} وإيهامه بأنَّ العقد بين الذكرين (اللواط) فيه ثوابٌ من الله تعالى وشفاعة من الحسين [ع]"[١٣].

وكذلك ما ذكره عن السلوك السياسي لأحد العاملين مع الإحتلال الأمريكي وممن عملوا مع سافاك الشاه المقبور في إيران، ألا وهو "محمد بحر العلوم - إيراني الأصل، ولاجيء عراقي في لندن ومن أرباب السوابق المشينة رغم انه قاضيًا شرعيًا في الكويت، وهو عميل مكشوف للغرب"[١٥]، وأيضًا ما ورد على الشكل التالي: "وليس لي هنا إلا أنْ أنقل صورة رجل من سلالة الرسول الأعظم محمد ﷺ شيعي مهجر من العراق، فهو لم يعد قادرًا على العمل لعجزه فإضطرت إبنته وهي في ريعان الصبا أنْ تسلك طريقًا معوجًا بعد أنْ وجدت في الدعارة وسيلة وحيدة لإسكات صيحات الجوع التي يطلقها صغار العائلة وكبارها"[١٦]...

وعلى صعيد النهج القمعي والتصفوي لسياسة "الجمهورية الإسلامية"، يؤكد نجل المرجع الأول أبو القاسم الخوئي التالي: "أما تهديدات الجمهورية الإسلامية لي وإعتداءاتها عليَّ فالحديث طويل، ومنها الإعتداء الذي تعرضتُ له في حي السيدة زينب (ع) بدمشق سنة ١٩٩٢ من قبل أفراد من (البسيج) ولعدة مرات، أدت إحداها إلى إصابتي بكسر في يدي، وكذلك تعرضي لهجمات مماثلة من عناصر حزب الله الإيراني الذي يتردد بعضهم على سوريا أيضًا، وقد هُدِّدت بالقتل وجهًا لوجه في سفارتكم بلندن وفي منزل القنصل العام الإيراني في جنيف سنة ١٩٨٨"[١٧]، فإذا لم تكن الصفوية الفارسية على هذه الشاكلة من الممارسات القبيحة، فماذا تكون إذن؟!.

كيف نحمي الرضيعة؟!. وقبل أنْ نتخلص من الزنا المغلف بشريعة "المتعة" التي تروج لها الرؤية الصفوية الفارسية؟!.

قبل مناقشة فقه البعض الذي يحلل ويحرِّم بناءً على قناعات ذاتية، ومن دون أي اعتبار للواقع الموضوعي المعاصر، وهي ضرورة حتمية وفق أية معايير كانت لم تتوفر النصوص المقدسة بشأنها،

التي ينبغي رؤيتها "الزمانية" و"المكانية"[١٨]، ولكن في رأينا ينبغي على المتابع، وقبل هذا وذاك، من قبل المهمومين بالمفاهيم الحضارية العربية الإسلامية والوضع العراقي: ليس على الصعيد السياسي فقط، بل في كل المناحي الحياتية... مناقشة جذور المفهوم الذي أنتج هذا "الفهم الفقهي" [!؟] في سياق محاولة الإجابة الموضوعية على التساؤل الذي طرحه كاتب المقال المفزوع من الممارسات التي يمارسها البعض على الصعيد الجنسي!.

إذن: ينبغي علينا أي نعرِّف مَنْ همْ الصفويون؟!..

(٦)

الثار مِنْ مَنْ؟

يورد العالم الشهيد شريعتي مفارقات متعددة على سبيل المقارنة التي تكشف القراءة الواعية لظاهرة إجتماعية محددة... مظاهر ملموسة من "التشيع العلوي" من جهة، و"التشيع الصفوي"، من جهة أخرى، لكي يبرز الحالات الطقوسية البليدة التي طفت على سطح الممارسات الإمامية، كما يحاول الفرس الصفويون إسباغها زيفا ودعاية على تلك "الرؤية الإمامية"، إذ يستخلص من خلال المعاينة المدققة في بعض المناظر المؤذية من تاريخ وقائع الممارسات الحية عند البعض الطائفي - عن وعي أو جهل - بهدف التوصل إلى حقائق إجتماعية ملموسة "أما الآن - أي بعد قيام الصفوية - فقد تحول الوجود الشيعي إلى قوة كبرى تحكم البلاد - المقصود إيران - وتقع تحت أمرتها أقوى الأجهزة الرسمية، والحاكم [...] بات الآن من أكبر المدافعين عن التشيع وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت حتى أنه يفتخر بإعتبار نفسه (كلبًا)

للحضرة الرضوية... يا له من إنتصار [...]، الحاكم [...] هو الآن يشيد مراقدهم بأبهى صورة! القبة من الذهب والضريح من الفضة والمئذنة من السيراميك، يا له من إنتصار"[18].

العالم الدكتور شريعتي الذي قضيَ شهيدًا على يد زمر الشاه، كما هو معلوم، ودُفنَ في العاصمة السورية: دمشق بسبب رفض سلطات الشاه لحده في مسقط رأسه أو حتى في إيران، كان يتحدث عن هذا الجانب من الممارسات الصفوية، ولكن الرؤية الفارسية الصفوية ذهبت شوطًا أبعد مدىً في هذه الممارسات التي لا تتعلق بالأئمة المعصومين الإثنا عشرية، من وجهة النظرة الإمامية الرسمية، ففي الأمس كانوا في حاجة لـ"خلق" عنصر التناقض بين الإمام علي بن أبي طالب، (ك)، والمصطفى الرسول محمد بن عبد الله ﷺ، من أجل تقديس الأول وجعله المثال والأسوة والمَعِين الثقافي، وإستخدامه كوسيلة للعن الصحابة وشتمهم، بذريعة إغتصاب حقه في الخلافة، علنًا وعلى الملأ، وهو الذي كان له الموقف الإيجابي من الصحابة كلهم، بقول الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، يوم رشحه المسلمون للخلافة الراشدية "أنه سيكون مشيرًا أفضل منه أميرً"، في تكثيفٍ لموقفه السياسي والديني السابق... يوم كان فيها مشيرًا الخلفاء الراشدين الثلاثة هم الذين يديرون أوضاع الدولة السياسية الإسلامية الأولى، سواء في حروب الردة أو الفتوحات الإسلامية ومشاركته في الغنائم وتمتعه بعطاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، (رض)، أو موافقته على تزويج إبنته له... وذلك عندما أختير خليفة رابعًا للمسلمين، أي بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة.

سنورد المثال الملموس على تلك الممارسات الفارسية الصفوية من كتاب "مفاتيح الجنان" الذي يوزعه الفرس الإيرانيون بنشاط في العراق المحتل أمريكيًا، ويعاونه في ذلك عملاء السلطة الفارسية

الصفوية والمليء بالتزوير والهرطقات المجانبة لأي تفكير عقلاني، إذ يورد الكتاب: إنّ مجرد الخطو لقبر الإمام علي في النجف ستصيب المرء بمئات الألوف من الحسنات، يقول عبد الكريم بن طاووس منسوبًا لصفوان الجمال "قصُر خطاك، والق ذقنك الأرض، فإنه يكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنة؛ ويمحي عنك مائة ألف سيئة؛ وترفع لك مائة ألف درجة، وتقضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صدّيق وشهيد مات أو قتل"، و"مَنْ زار أمير المؤمنين [ع] بهذه الزيارة، وصلى بهذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفورًا ذنبه، مشكورًا سعيه، ويكتب له ثواب كل مَن زاره من الملائكة"، إذ "يزوره في كل ليلة سبعون قبيلة، قلت كم القبيلة قال مائة ألف"، فـ"الموالاة" وفق هذه النظرة هي الركن الأساس في صيرورة المرء مسلمًا مؤمنًا أو غير مسلم وغير مؤمن، وهي الفيصل الأساس بنيل ثواب الدخول إلى الجنة أو تلقي العذاب بإصطلاء النار "مَنْ دأب في حياته على صيام النهار، وقيام الليل، وحج أربعين حجة، وإعتمر أربعين عُمرة، ثم وافته المنون، وهو بين الصفا والمروة، ولم يكن هو من الموالين لأمير المؤمنين {ع} ما كان له شيء من الأجر"[19].

أو عن طريق عادة أو أسلوب "التقية" عندما يجري تقسيم أتباع الدين الإسلامي من أهل بيت الرسول، وصحابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، إلى مسلمين ومؤمنين، وما يستبطن ذلك التقسيم المجحف والشيطاني من معنى حول "الأعراب = هم المسلمون في نظرهم" و"المؤمنين" كما ورد في المفاهيم القرآنية الذي هم الشيعة الإثنا عشريون، وما يستتبع ذلك من مواقف سلبية صامتة ضد أصحاب رسول الله، وآراء مخاتلة أمام العناصر المناوئة لنظرتهم تجاه الثلة المؤمنة التي أحاطت بالرسول منذ اليوم الأول لتبشيره برسالته الدينية الإسلامية، أي إنتهاج طريق الكذب الذاتي والنفاق المهادن

من خلال ما يسمى بـ"التقية" واتباع الطرق الملتوية في التعامل مع شخصيات الرعيل الأول من المسلمين الأتقياء الذين تزامن نشوئهم مع تبليغ الرسول ﷺ، رسالته المباركة فيما إذا كانت الشوكة الطائفية الفارسية الصفوية ليست ظاهرة أو منتصرة على الآخر من أبناء الرؤية العربية الإسلامية، والقوة القمعية التصفوية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة مفقودة لديهم، أي كونهم بعيدين عن مخالب السلطة وفاشية الأجهزة الأمنية، ودريلاتها الثاقبة للأجساد والرؤوس، وبعيدة أيديهم عن وسائل الحرق المختلفة.

في أية حال، وحسب قول السيد موسى الجار الله بأنَّ روح التقية "النفاق وثمرتها كفر التهود"، فيما يؤكد الدكتور علي الوردي أن صفتها والشروط التي أنتجتها قد إنتفت تمامًا نظرًا لعدم وجود أي إضطهاد يؤدي للتصفية، كما يزعمون في بعض الأحايين، و"فقدت صفتها الثورية في هذا العصر"[٢٠]، أي أنها تحولت إلى طريق سلبي وحيد الجانب في ضرره، فيما إذا كانت المعايير الإسلامية في ممارستها العملية صحيحة.

أما اليوم فقد أصبح للرؤية الصفوية الفارسية رمزها الأوحد: وهو روح الله الخميني وهو الشاهد الملموس على تلك الحقيقة العيانية، ولعل مرقده الواسع في خارج طهران، بمآذنه الأربع المذهبة، وقبته الذهبية الكبيرة، والعناية الرسمية الفائقة، ومن خلال جعل الوفود الرسمية تقوم بزيارته، وتقديم فرض الإحتفاء به، هي الدلالة الملموسة على وحدانية "المقدس" في تمثيل إيران، وبعيداً عن أية المخاتلات حول إيمانهم بالمقدسات الإسلامية أو المذهبية الأخرى.

مرقد الإمام الرضا في إيران وهو الثامن في سلسلة الأئمة الإثناعشرية، مثلاً، له قبة واحدة ومئذنتان مذهبتان، أما قبر الخميني فله المآذن المذهبة الأربع، والخدمة تقوم بها أجهزة متفرغة على مدى أربع وعشرين ساعة، فهو أقدس لدى الفرس الحاكمين

والمتحكمين بالبشر في إيران، كما يبدو في الممارسات اليومية، بالرغم عن أحاديثهم عن حب الإمام الرضا عليه السلام.

[... والزيارة] - كما يقول الشهيد شريعتي - "أمست الآن مظهرًا رسميًا تشجع عليه الدولة وتكرم فاعله كما لو كان ذهب إلى بيت الله الحرام وربّما أفضل[21]: وتمنحه لقب المشهدي أو الكربلائي أسوة بمن يعود من الحج... يا له من إنتصار. و[... وعلماء المذهب باتوا] اليوم معززون مكرمون مرفهون يعيشون في ظروف جيدة للغاية ويجلسون جنبًا إلى جنب السلطان على فراشه الوثير، وقد يستشيرهم في كثير من الأمور المتعلقة بمستقبل البلاد، بل أنَّ السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلا بمقدار ما يخوله رجل الدين بالنيابة عن صاحب الزمان، يا له من إنتصار[. و"صاحب الزمان" هو الإمام الثاني عشر المسمى بالمهدي المنتظر عند أتباع المذهب الإمامي.

من هذا الموقع العُلوي والحافل بالإنتصارات بدأت هزيمة التشيع، [...] وتوقف الشيعي عن الحركة ليتحول إلى وجود إجتماعي غالب وحاكم جامد راكد، [...والمذهب] إلى مجرد نظام ونسق إجتماعي رسمي مرتبط مع سائر الأنساق الإجتماعية - كالأسرة {وفي تقديري أنَّ المقصود هو البطانة والأقارب} واللغة وأنظمة الحكم والإدارة والمالية والإقتصاد - إرتباطًا مصيريًا بحيث لا يمكن التفكيك بينهما بأي نحوٍ من الأنحاء"[22].

وفي إطار تلك الرؤية التحليلية المتفحصة لكل التراث الذي أفرزته الرؤية الإمامية: الصحيحة التي قال بها أئمة آل البيت أو المنسوبة لهم عن وعي تزويري واضح، وذات الدلالات الحسية على نهج صفوي فارسي، كتب الراحل الدكتور علي الوردي: عالم الإجتماع العراقي المعروف، وبإستفاضة قد لا تخلو من مجاملة فكرية نعتقد بأرجحيتها الظنية، ولكنه في عين الوقت، حرص من خلال رؤية علمية وتاريخية وعملية، على تثبيت إستنتاجات

منطقية وحيوية وكبيرة، من قبيل أنَّ "الصفوية أدخلت في التشيع أموراً أضرت به وشوهت سمعته، أضف إلى ذلك أنه جعل التشيع مذهباً حكومياً وبذا أضعفت فيه نزعته الشعبية القديمة" وأنهم قد "خدّروا مذهب التشيع وروضوه. فأزالوا عنه النزعة الثورية التي كانت لاصقة به في العهود السابقة، وجعلوه مذهباً رسمياً لا يختلف عن غيره من المذاهب الدينية الأخرى"[٢٣]، بالإضافة إلى حقيقة عيانية باتت موثقة مفادها أنَّ الصفويين قد "لجؤوا إلى الإضطهاد والقتل والتعذيب"[٢٤]، من أجل صيرورتهم الفئة السائدة في إيران، أي جعلته في خدمة سلطة سياسية محددة قناعاتها السياسية منبثقة ولائها المطلق للأمة الفارسية الموجودة بصورة سرمدية ضد الزمان ومعاكسة لمفهوم المكان، كما يتطرق الدكتور الوردي إلى بعض مظاهر الإعتياد الأبله عند الجموع: التي تهب مع كل ريح وتنعق مع كل ناعق - الإمام علي، وهي كما يراها عن حق، "إضافات دخيلة على التشيع [...] بلهَ صار مذهباً قومياً في إيران، وإصطبغ من جراء ذلك بصبغة الغرور القومي وأمسى عقيدة سلطانية خامدة، لا تختلف عن أية عقيدة أخرى من عقائد السلاطين"[٢٥].

وجذور المدرسة الإمامية كان هدفها خدمة الإسلام والإصلاح عن طريق إتباع النهج القرآني والتأسي بالسيرة النبوية العظيمة، كانت رؤيتهم قد تمثلت في ممارسات الأئمة الأوائل من أهل البيت النبوي، عليه وعليهم السلام، إنْ لم يكن كلهم، كانت دعوتهم تحض على التكامل والتوحد على أرضية الفهم القرآني العميق والعمل الصالح، وحسب نهج البلاغة أنَّ الإمام علي بن أبي طالب قد دعا في أعقاب معركة صفين إلى عدم أنْ يكون أنصاره سبابين، وأنْ يدعوا (أي أنصاره) لخصومه بالصلاح والهداية، وهي رؤية علوية مستقيمة ترفض أنْ تتحول هذه المدرسة في قيمومتها الفكرية والمسلكية على بث الكراهية وزرع روح الإنتقام وإشاعة

البغضاء، وبالتالي من شأنها الدعوة إلى الفرقة والحض على الغلو، والتمايز عن غيرهم من المسلمين، كالسجود على "التربة الحسينية" وإدخال الشهادة الثالثة في الأذان، وكذلك، حول وجوب النص على خلافة الإمام علي بن أبي طالب بعد صعود الرسول الأعظم ﷺ، وجعلها مقياساً لإيمان الفرد المسلم!!.

إنَّ مَنْ يتابع النظر - ويتبصر في ترديداتها اليومية من مفاهيم مبثوثة - إلى قنوات "الكوثر" و"الزهراء" و"الأنوار" التي يتواجد مرشدوها في إيران وقم، وتبث أغلب قنواتها الفضائية من الكويت الواقعة تحت حكم آل صباح، ليشهد فظائع شتى لا تخفى على أي أريب ومفكر ومخلص من المسلمين.

لقد حث "آيات الله العظام" على ضرورة إقامة الصلاة الجماعية في يوم الجمعة بسبب وجود الإمام العادل، المقصود بذلك الإمام العادل هو الشاه إسماعيل الصفوي، بعد توقف الشيعة الإمامية عن أداء تلك الصلاة الجماعية التي حضَ على ممارستها الأسبوعية القرآن الكريم، وفرض شروط إقامتها المقرون حين يحين ظهور الإمام محمد بن الحسن العسكري "المهدي المنتظر" مرة أخرى: أي الإمام الثاني عشر لأتباع ذلك المذهب. هذا على مستوى "العادات المقدسة" ذات الصبغة "الدينية الإسلامية" المزعومة، في رؤيتها المذهبية الصفوية"[٣٦].

لم يكتفِ الشاه إسماعيل بما تقدم، بل أمر - كذلك - بتنظيم الاحتفالات المذهبية الطائفية بذكرى مقتل الشهيد الحسين بن على بن أبي طالب، عليهما السلام، من خلال إستعراضات بشرية لطامة دمّامَة وفق أهداف إستراتيجية تتعلق بالرؤية السياسية الفارسية، بغية إستدرار العواطف والدموع والتحريض على كل المسلمين بإستثناء "الطائفة المظلومة" التي هي الناجية الوحيدة، وإبتداع ظاهرة اللطم وإشاعة مواكب التطبير بالسيوف والقامات

وقرقعات الطبول وخشخشت السلاسل (الزناجيل)، وتلك هي عادات مستعارة من موروث الممارسات المسيحية وتقاليد غير إسلامية، كما يقرر الدكتور علي شريعتي: "وهي مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسيم، أنَّ يشخِّص أنَّ هذه ليست سوى نسخة من تلك"[٢٧٣]، وتتسم بالمازوشية التامة، أي تعذيب الذات عن طريق التعنيف والتبكيت والضرب بالقامات على الرؤوس - مثلاً -، بدلاً من تربية نفوس المسلمين تربية إسلامية صحيحة تقوم على المحبة وعدم التدخل في الشؤون الإلهية: هذا يذهب إلى الجنة وذاك يذهب إلى النار، والتي جعلت - كذلك - ممارسة العنف ضد الآخر غير المتحزب للروح المذهبية الصفوية الفارسية، وسيلة التصفية العادية والإعتيادية بحذف الروح البشرية من نعيم الحياة الدنيا وفق مشيئة الإله أو حتى بؤسها، من خلال رفع شعار "يا لثارات الحسين" والمناداة بصرخة: "هل من ناصر ينصرني"، وغيرهما من دعوات الكراهية والإنتقام والقتل.

وكل ذلك يسهم في تقسيم المسلمين إلى جمعين متعاديين، موالين لمدرسة آل البيت، من ناحية، وقبالتهم من المسلمين من أبناء الرؤى الفقهية والمدارس المذهبية الأخرى، من ناحية أخرى، أي أنه يعمل على تفتيت المجتمع الواحد إلى مجموعات يذكى فيها العنف العبثي في كل مناسبة تطل منها قرون الفتنة، وهو ما نراه مثالاً ملموسًا في عراق اليوم، الأمر الذي ألحق الضرر الفادح بكل المسلمين ودفعت مثقفيهم المخلصين وبعض فقهائهم المتنورين لتوجيه النداءات الحارة لإيقاف مسلسل العنف العبثي والمجاني وغير المفهوم.

(٧)

ملحمة الفردوسي كيف تنظر (للأعداء)؟

ومن المعلوم أنَّ التجزئة السياسية للعراق وتحطيم دولته المركزية التي تأسست في العصر الحديث، أي في عام ١٩٢١ إثر ثورته الشعبية في الثلاثين من حزيران في عام ١٩٢٠، وتفتيت وحدة المجتمع العراقي الموحد، هو هدف إسرائيلي صهيوني ثابت، أكدته وقائع الممارسات العملية منذ منتصف ستينيات القرن الماضي عندما تعاون كيان الإغتصاب الصهيوني مع نظام الشاهنشاه الفارسي الإيراني ضد الدولة العراقية، من خلال ما يسمى بـ"الدعم المشترك" للحركة الكردية المسلحة في شمال العراق منذ إندلاعها في شهر أيلول من العام ١٩٦٠، وفي ظن القيادة السياسية الكردية المتمثلة بحزب مصطفى البارزاني التي تعاونت مع أعداء الوطن العراقي وناوأت الأمة في تآمرها السياسي مع الشاه الفارسي والإغتصاب الصهيوني، أنَّ الأسرار ستبقى أسرارًا، وإنَّ الزمن كفيل بإلقاء هالة كثيفة من النسيان على ذاكرة العراقيين من العرب والأكراد المخلصين وأبناء القوميات الأخرى، وكذلك سيتجاهل العرب المخلصون: مسؤولون وغير مسؤولين، "كم" و"نوع" الجريمة السياسية التي أساءت للوطن العربي كله من خلال ذلك "التحالف / التآمر"... إلخ.

وعلى الأخص بعد شهر حزيران في عام ١٩٦٣، وحتى هزيمتها في العام ١٩٧٥ جرّاء رفع الشاه يد الغطاء عنها بعد تحقيق بعض مصالحه القومية الفارسية الإيرانية، وهي حركة مسلحة قادها مصطفى البرزاني، بالأموال والإعلام والسلاح الفارسي والصهيوني أساسًا، كما أكدته الوثائق السياسية والوقائع التاريخية العديدة ومحتويات

كتاب "الموساد في العراق ودول الجوار: إنهيار الآمال الإسرائيلية والكردية" الذي ألفه شلومو نكيديمون: الخبير المتخصص في مجال مسارات إتخاذ القرار الإسرائيلي، خاصة السياسي منه، ناهيك عن وثيقة أدونين المعنونة "إسرائيل في الثمانينات"[٣٨].

وكذلك، هو هدف سياسي إمبريالي أمريكي تميز بالتصاعد والتعاقب، كما برهنت عليه الوقائع السياسية في الماضي الزمني وخصوصًا في ظل السياسات التي إتبعتها الإدارة الأمريكية منذ عقد التسعينات من القرن الماضي، علاوة على ما أكده العديد من أساطين الفكر الإمبريالي المشبع بالرؤية التوراتية والسياسية الإسرائيلية، الذين تحرك قناعاتهم وتثير نوازعهم الرؤية الأيديولوجية الدينية/ السياسية "الصليبية الصهيونية"، والممثلة بمجموعة "المحافظين الجدد" الذين يهيمنون بشكل كلي: كإدارة، على قرارات السياسة الأمريكية في المرحلة الراهنة، ونجد في الإحتلال العسكري للعراق القرينة الأبرز على التوجه السياسي للمحافظين الجدد، وكذلك مثال نتائجه الخطوات البارزة والعملية الملموسة لتطبيق برنامجهم السياسي الذي جرى إعداده مسبقًا، والذي تجسدت خطوطه السياسية العملية، في النص الدستوري - مثلاً - الذي أنشبه المحافظون الجدد في اللحم الحي لأبناء المجتمع العراقي وغرزوه في أرواح أبنائه من كل الفئات الوطنية العراقية والتكوينات الإجتماعية... أنشأه: كلّ من بول بريمر ونوح فيلدمان لغايات إسرائيلية بحتة.

لقد أدت تلك الخطوتان الإستراتيجيتان وبالضرورة إلى تحطيم دولته الوطنية التي تأسست حديثًا: في العام ١٩٢١، كما قلنا، والتي كانت الإمبراطوريات العراقية قائمة فيه منذ آلاف السنين: الآشورية، البابلية، والإمبراطورية العربية الإسلامية العباسية التي كانت بغداد عاصمتها. ولم تكن نتائج الإحتلال بمثل هذه الوقائع

الكارثية الصارخة لولا الإمتداد الفارسي في الواقع السياسي العراقي التي يطول أسباب صيرورتها عنصرًا هامًا، وربما طاغيًا في المرحلة الحالية التي يسود فيها الإحتلال الأمريكي: الإمبريالي الصهيوني، وهو ما تقوم بتنفيذ فقراته البرامجية جمهورية إيران الإسلامية: "الدولة الإسلامية المزعومة" عمليًا وفعليًا.

لعل من بين أهم مرتكزات التشيع الصفوي وتقاليده العملية واليومية ومنذ نشوئه التاريخي في فترة العصر الأموي والعباسي، إضافة إلى سماته الخاصة، شيوع ظواهر السب والشتم واللعن للخلفاء الثلاثة الأولْ، وهم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين ممن زكى أفعالهم الرسول في معترك نشوء الدين الإسلامي ومنذ بدئه وصعوده، وممن حضروا بيعة الشجرة التي خصهم الله العالم بكل شيء من كريم آياته، ونزّه حاضرهم القائم آنذاك وكذلك جنب مستقبلهم عن إرتكاب أية كبيرة يرتكبها البشر على مستوى المعاصي في الحياة الدنيوية[٢٩]، وهو العليم بما يحدث في الزمان السرمدي جميعه، والقدير على تصريف الأمور كلها... العليم بأبعاد الزمن الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، كما يدرك ذلك المسلمون المؤمنون حقًا بقدرة الله الواحد الأحد المطلقة في تصريف الأمور الدنيوية كلها، على خلفية إستيعاب المفاهيم الإسلامية والمتيقنون من الرؤى السماوية لمسار التاريخ، على ما فيها من "الإمتحانات الواسعة" للأمم والشعوب وليس للأفراد فقط.

ويجري في إطار عملية الشتم واللعن والسب المستمرة التركيز على الخليفة الراشدي الثاني: عمر بن الخطاب ﷺ الذي منحه الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، صفة الفاروق لتفريقه بين الحق والباطل، والمعروف بجرأته وإجتهاده وعدالته، وليس من الغريب ما قاله أحدهم عندما رآه نائمًا وحيدًا تحت الشجرة: لقد "عدلت فأمنت فنمت"، فضلاً عن أنه أول مَنْ إستخدم التاريخ الهجري لرسم

المعالم الخاصة بالتاريخ العربي الإسلامي، لإعطاء الأمة العربية الإسلامية سماتها الخاصة، وأجمع المؤمنون الأوائل على خلافته الراشدة وصلُّوا خلفه ونفذوا تعليماته في خدمة الدولة العربية الإسلامية، كما هو معروف[٣٠]، فكيف أصبح التناقض الأساسي بين مفهوم الخلافة[٣١]، من ناحية أولى، ومفهوم الإمامة، من ناحية ثانية، والذي يجعله الفرس معيارًا لتقويم الفرد ضاربين عرض الحائط المفهوم القرآني: العمل الصالح الشرط الأساسي لتقويم الفرد؟ وهو المظهر الأساس في التاريخ الإسلامي؟!، وما إستجَّره ذلك التناقض من آراء أدت إلى الطعن بالخلفاء الثلاثة على كل المستويات؟.

يستمر السب واللعن لأسباب تتعلق، أساسًا - كما نرى - بعلاقة ذلك بنشوء الأمة العربية وصيرورتها مظهرًا رئيسًا في التطورات العربية والعالمية، وذلك النشوء وتلك الصيرورة هما مناط الكره عند أغلب الفرس لكل ما هو عربي وجعل ذلك المناط مؤطرًا بالحقد على العروبة والضغينة على العرب، كما هو مجسد في التراث الفارسي: ملحمة الفردوسي: الشاهنامة وخلافها، والتي ما يزال الفرس الصفويون يتمسكون بها، أولاً، وفتح بلاد فارس في عهده والقضاء على العنجهية الفارسية الساسانية الكسروية، لصالح الحركة العربية الإسلامية، وتاريخ الزحف العربي الإسلامي نحو العراق الذي كان الفرس قد غزوه واستولوا عليه كان عام ٦٣٣ ميلادية، إذ كان ذلك الزحف الذي تواصل حتى القضاء على البنيان الفارسي للدولة الكسروية وأزال سلطانها من الوجود وأسقط طبقة الكهنوت المجوسية وقيادتها السياسية وأزال تأثيرها من الوجود نهائيًا في تلك المرحلة، ثانيًا، وتخليص العرب العراقيين من الهيمنة الفارسية التي تواطأ حكامها مع اليهود في المرحلة السابقة من أجل القضاء على اللحظة التاريخية التي كانت فيه الإمبراطورية البابلية سائدة فيها في المنطقة العربية وجوارها،

ثالثًا، وبالتالي أدى مجموع تلك المنجزات إلى القضاء المبرم والتام على النظام الكسروي المجوسي الذي كان يعبد النار بدلاً من عبادة الله الواحد، وذلك في العهد السياسي الذي تبوأ فيه الفاروق الخلافة الراشدية، رابعًا.

وكل ذلك قد تم تحقيقه إبّان المراحل الأولى من صعود الإمبراطورية العربية الإسلامية التي كان عنوانها الأبرز مرحلة الجهاد والفتح التي دشنها وأنجزها الخليفتان الراشديان: الأول أبو بكر الصديق ﷺ والثاني: الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، الذي إستكمل جهد الخليفة الأول ومضى فيه حتى شوطه الأخير من موقعه الإداري والسياسي والديني بإعتباره القائد العام للدولة العربية الإسلامية، بالاعتماد على الصفوة العربية المسلمة من المجاهدين الأوائل: ولعل العبقرية العسكرية خالد بن الوليد كان أبرزهم وأكثرهم بهاءً.

ويعلم الجميع أنّ ذلك الفتح لبلاد فارس كان قد بُشّر فيه الله المسلمين بنص صريح ورد في القرآن الكريم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، [الآيات من ١ - ٦، من سورة الروم]، ولعب فيه أغلب القادة المسلمين من أصحاب النبي، لص]... أي الصحابة - الذين يلعنهم الفرس الصفويون - دورًا عسكريًا أساسيًا مهيبًا ومجيدًا خالدًا فيه، بغية الترجمة العملية الأمينة والتنفيذ الجهادي الفعلي لذلك التبشير الإلهي العظيم.

وكذلك بتنا نرى سنويًا، وبمناسبات متعددة أخرى، مظاهر تمثيلية ساذجة، أي من دون حبك فعلي في عملية الإخراج

المسـرحي، ومـن غـير أنْ تتمتـع بأيـة مصـداقية فـي روايـة التـاريخ الفعلـي، تحـاول الإيحـاء مـن خـلال مراسيم وأعـلام وسيوف وسـواد لإظهـار الظلـم الـذي وقـع علـى الإمـام الثـائر الحسـين بـن أبـي طالـب بصـورة كاريكاتوريـة، وبالتـالي يتوصـل أولئك الفـرس الصـفويون إلى مرحلة: "لعن الأمـة الـتي قتلتـك"... إلخ، وهـو الشـهيد الحـي عنـد ربه، والـذي خـرج من أجل الإصـلاح فـي مستقبل الإدارة السياسـية للأمة الوليدة، ومعالجة مسـألة تبوء السلطة عبر رئاستها التي ينبغـي أن تكـون علـى أسـاس البيعـة الخاصـة والعامـة، كمـا مارسـته السلطة الراشدية عبر خلفائها الأربعة، وجعل السلطة بيد أهل الحل والعقد علـى أسـاس المبـدأ القرآنـي: "وأمـرهم شـورى بينهم"، [كمـا تطرقنا إلى ذلـك فـي الهامش ٣٠]، مـن أجل إختيـار صـاحب القـدرة والكفـاءة السياسـية، والشخصـية المؤمنـة المعروفـة بمصـداقيتها وإسـتقامة ممارسـاتها وذات العـزم الشـديد، أي مـن دون الطريـق والنهج الـذي كرسـه معاويـة إبـن أبـي سـفيان مؤسـس الإمبراطوريـة الأموية المعروفة، الذي جعـل السـيادة السـلطوية علـى الدولـة العربيـة الإسـلامية ومقـرر شـؤونها عـبر منصـب تبـوء مركـز الخـلافـة: علـى الشـكل الـوراثي يـأتي فيهـا الإبـن بعـد الأب، الـذي قـد لا يكـون الوريـث خـلال حياتـه متمتعًـا بصـفات الأب الإداريـة وثقافتـه الأدبيـة ووعيه الإجتماعي، وقدراته السياسية.

وذلـك مـن أجـل تحويـل هـذه المناسـبة العظيمـة: الإنتفاضـة الحسـينية[٣٢]، الـتي تحـض علـى الـدعوة إلى الجهـاد بـ"السـيف" أو "الكلمة" أو "النية الصادقة" وذلك إستجابة للمقولة النبوية التي جـاء فيهـا: مَـنْ رأى مـنكم منكـرًا فليقومـه بالقلـب أو باللسـان أو بالسيف، كما جاء فـي القول النبوي الشريف، إلى "تقاليد بطنويـة" طابعها البحث عن أكلة القيمة ذات الأصول الأفغانية أو الفارسية، ومحتواهـا إزدراد الـرز: الـتمن المطبـوخ بالأطنـان والمنثـور فـي بعـض الأحيان فـي مواقع لا تراعي حرمة للنعمة ولا توقيرًا لها، من الناحيـة

الأولى، وإقران تلك المراسيم بدعاء يتكرر صباح مساء على لسان قاصدي قبورهم بهدف التبرم من المشاكل التي تنتصب أمامهم، وذلك عند زيارة أضرحة أئمة مدرسة آل البيت، المقامة لهم في مختلف المدن الإسلامية التي عاشوا فيها وخصوصًا في العراق وإيران وسوريا إلى حدٍ ما حيث فيها ضريح السيدة زينب، من الناحية الأخرى، والتي صارت لدى البعض القائم عليها أو مَنْ هم في خدمتها، كذلك، عادة يتكسبون منها الأموال النقدية أو العينية، التي تدل على مهنة الكدية المعروفة في عالم البطالة من خلال شفط أموال النذور وصرفها على الكماليات غير الضرورية أو التمتع بها عبر الملذات، من خلال زعمهم أو حقيقة كونهم من الأرومة الهاشمية العلوية/ النبوية، في وقتٍ يعاني أغلب المسلمين، على وجه الخصوص، في بعض المناطق العالمية من بلدان القارات الثلاث المسغبة والجوع والحرمان، وبعد أنْ كان ذلك المفهوم الأرومي الواضح يعبرٌ عن الممارسات "الهاشمية" في التاريخ البعيد، كونه ينطوي على دلالة الكرم في أوقات الأزمات الإقتصادية والمعيشية، وإتسام أعماله بالريادة والمبادرة، فهاشم الذي كان من أجواد مكة وأشرافها كان أول مَنْ سنَّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف أي أول مَنْ له دور كبير في إنبثاق التجارة وتوسيع أفقها من خلال تأسيس نظام الإيلاف القرشي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وأخذ عهود الأمان من إمبراطور الرم للتنقل بين الروم والجزيرة العربية، وأول مَن أطعم الثريد بمكة، وفي أرومته التالية جاءت الدعوة الإسلامية على يديه الكريمتين: محمد ﷺ. علاوة على أنَّ هاشم كان قبل ذلك الزمن أسمه عمرو، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي:

عمرو العلي الذي هشم الثريد لقومه	**قومٌ بمكة مسنتون عجاف**
سنت إليه الرحلتان كلاهما	**سفر الشتاء ورحلة الأصياف**

وإنما سمي بهاشم لكرمه غير المسبوق في الجزيرة العربية، إذ أنه جلب الخبز من بلاد الشام وأطعم أهل مكة والحجاج في زمن القحط الشديد، وهو ما يكشف بصورة جلية مفاهيم الشيم والسجايا النبيلة في مختلف الظروف: تهشيم الخبز وذبح الإبل وتقديم الثريد للحجاج الوافدين على الكعبة، وكذلك، لمن كانوا يعيشون في مكة، قبل صيرورة الدين الإسلامي المظهر الأساس في التطورات التاريخية للمنطقة - وكذلك في كل العالم في العصور الوسيطة وفقًا للتاريخ الأوروبي - أي في الزمن المتعارف عليه بالزمن الجاهلي الذي ساد في الجزيرة العربية قبل ظهور الدين الإسلامي، من الناحية الثالثة...

قوام تلك الأدعية بشكل أساسي، وهدفها الرئيس، نشر الكراهية التي تؤدي إلى العنف الجسدي السادي أو المازوشي، وزرع البغضاء والحقد بين أبناء الدين الإسلامي المقدس، من خلال ترديد الجمل التالية ((اللهم إلعن أمة قتلتك... اللهم إلعن أمة خذلتك"... إلخ، والمقصود - طبعًا - ليس الفئة السلطوية الظالمة التي جرّها الخليفة لأخذ البيعة لنفسه بقوة السيف، وإنما الأمة العربية الإسلامية، من جهة أولى، وتلك خصيصة سائدة سيرفض إطلاقيتها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب بالتأكيد، فيما إذا كان حيًا وبشكل حتمي.

البعض "الذي يتولى المدرسة الإمامية في التفسير لشؤون الدين الإسلامي بحكم التناسل والإعتياد" وهم الأكثرية الأمية من أنصار الامامية ممن يتلقون تعاليمهم من قرّاء المنابر الذين أغلبهم: أشباه الأميين والخطباء السُذج في التفكير بالحقائق الكلية للكون والمجتمع الذي حثّ عليه الدين الإسلامي، كون غالبيتهم المطلقة {أي هؤلاء الخطباء} ممن لم تختمر المفاهيم الإسلامية في أذهانهم، وإنْ إجترروا بمهارة أساليب الخطابة "البلاغية" وأتقنوا فنون

النواح وتمثيليات البكاء وإمتلاك خاصيات القدرة على الإستبكاء، تلك الأدعية يرددونها من على المنابر بحماس الجهلة المفرغة رؤوسهم من أي بُعد نقدي لفهم سيرورة الإسلام الموضوعية خلال فترة الخمسة عشر قرنًا الماضية، والمنقطعي النظر والتدقيق عن ملابسات الواقع التاريخي لصعود وهبوط الدين الإسلامي وتجربته العملية والتاريخية في الحكم، بالإضافة إلى عدم معرفتهم أي شيء ذي تفكيرٍ عقلي عن روحية الدين الإسلامي، من جهة ثانية.

وتجري تلك الطقوس والمراسم وعادات السب واللعن وإستفراغ الأدعية الحاقدة والمشوبة بالتزوير والزيف وتقيئها بمناسبة أو من دون أية مناسبة، في المراقد المشيدة بالفضة والذهب والكاشي الكربلائي، بإعتبارها تمثل الثائرين والمصلحين والمجاهدين بالحوار الخشن أو بالدعوة اللينة والموعظة الحسنة، التي قام بها المسلمون في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثلما يجري ذلك اللعن والسّب تحت شعارات تكثف مفاهيم "الولاية لأهل البيت والبراءة من خصوم آل البيت"، الذي وضعوها معيارًا للتفريق بين المسلمين المؤمنين - كما قُلنا سابقًا - من ناحية، وغيرهم من بقية المسلمين وهم الذين يبلغ تعدادهم أربعة أخماس المسلمين، من ناحية أخرى.

وبطبيعة الحال ليس الولاية لله أو البراءة من الشرك بالله، وإنما الولاية المزعومة للإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشدي الرابع، كرم الله وجهه، وقدسيتها المطلقة رغم تقبله عطاءات الخليفة الراشدي الثاني وتزوج من غنائم معارك الفتح الإسلامي لفارس أم محمد بن الحنفية، والتي لن تكون قائمة في الواقع ما لم تكن مقرونة، كما يبدو ويتبدى في الممارسات الصفوية الفارسية، بإختراع أعداء له من الصحابة الكرام ممن شاهدوا وعملوا مع الرسول الأعظم ﷺ، من جهة ثالثة، والبراءة من ما يُسمى بالنواصب الذي توسعَ مفهومها من كون المقصود بهم في

الزمن السابق هم "الأفراد الخوارج" الذين إغتالوا الإمام علي وهو يؤدي صلاة الفجر، كما جرى تحديدهم في وجهة نظر الفرقة الإمامية... توسع مفهوم النواصب إلى أكثر أهل المدارس الفقهية، والمذاهب الإسلامية والتفسيرات الدينية والتي لا تقبل بأطروحة الفرقة الوحيدة الناجية، التي يحاولون تفسيرها أنها الموالية لرؤيتهم المذهبية، من جهة رابعة، الأمر الذي نرى تجسداته العملية على أيدي أتباع إيران الصفوية الفارسية داخل العراق، وعلى أيدي المخابرات الإيرانية كبرنامج يومي يجري تطبيقه ضد العراقيين نسفًا ونهبًا وقتلاً وتعذيبا... إلخ.

أما اللجوء للقسم عند البشر على أنه أكثر أهمية من الله العزيز الواحد القهار فهي فضيحة بذاتها، فالرسول الذي قال "مَنْ أقسم بغير الله ذل" كان جوهر رسالته العبودية لله الواحد، ولكن "العلماء الأعلام والمجتهدون الجهابذة" يسكتون على تلك الممارسات بجعل القسم بالشهيد العباس بن أبي طالب، رغم كونه إمامًا غير معصوم حتى من وجهة نظر علماء وفقهاء هذه الطائفية، مثلما لم يكن أحد الأئمة الإثناعشر، وشاهد كاتب هذه السطور العديد من حالات القسم في صحن العباس بن أبي طالب في كربلاء، وتزويد الذي أدوا القسم "بوثيقة" إسم "السيد" الذي قام بعملية إجراء القسم الذي يقبض "ثمن" عمله ذاك، وإسم الذي أدى القسم "بالإمام العباس"، وأسماء الشهود الذين شهدوا تلك العملية، والتاريخ الذي تمت في عملية إجراء القسم، ووضع ختم "السيد" في أسفل الورقة.

وبالمناسبة، فإنَّ هذا "التقليد" إنتقل من "الأئمة" إلى الأفراد "السادة" ذوي النفوذ عند أفراد المجتمع. وفي الصحراء الواقعة بين محافظة واسط (الكوت) ومحافظة القادسية "الديوانية": التي عشت فيها، طوال العقد السبعيني كان أبناء تلك المناطق يقدسون: السيد غازي آل المحنة، ومالك الياسري، ويقسمون بهما في كل الأحوال، وتجاه أية

مشكلة تثيرها بعض التطورات الخلافية، وفي إحدى المرات نقل لي أحد الأصدقاء حادثة كان فيها شاهد عين، وقوامها: أنّ السيد المعلم سلبوح بن السيد غازي المحنة كان يمازح أحد المعلمين في بغداد لحظة مراجعتهم إجراء التعيينات، فضربه سلبوح بالنعال على جبهته، مما أدى إلى التورم الفوري لجبهته، فما كان من "السيد الإبن" إلا أنّ وضع في يديه "تفالاً" من لعابه على الورم، فلم يلبث الورم لحظة طرفة عين كي يتلاشى من الوجود، و"زال عن الضحية" تماماً.

رثيت حال هذا "الرجل الواعي: المعلم" للتلفظ بهذه الخزعبلات، كان تعليق الفوري على تلك الرواية: "دخيلك يا ربي" الله مصلي على محمد، "التفلة" تعمل على إحداث "بنجر" في جبهة المضروب بالنعال، وضحكنا، ولكنه حذرني بالقول أنه يخاف عليَّ من "شارة السيد" وابتعد عني على الفور لكي لا يرتكب إثما، حسب وجهة نظره. في أية حال أنَّ تغيير هذا الواقع المزري يتطلب وفق الدرجات الدنيا من عمليات التغيير، "من آيات الله"، إصدار فتاوى حول هذا الموضوع وتبيين تناقضاته الصارخة، وكذلك، تجاه العديد من "الظواهر" التي لصقت بـ"الفكر الشيعي" والعمل على توجيه أتباعهم نحو الطريق الإسلامي الصحيح.

فهل يقوم هؤلاء "الآيات العظام" و"المجتهدين الكبار" بواجبهم الديني المفترض؟ الجواب لا نرجح حصول ذلك بسبب: إرتباطهم بإيران، من جهة، وخضوعهم لعقلية القطيع "الذين يهبون مع كل ريح وينعقون مع كل ناعق" كما يقول الإمام علي بن أبي طالب، من جهة أخرى، والإستفادة المالية الكثيرة والوفيرة بذريعة تحصيل أموال "الخمس" وسهم الإمام، من جهة ثالثة..

(٨)

الغايات السياسية من المفهوم

تطبيق البرنامج الإيراني: الفارسي الصفوي، وذلك من خلال القتل والحرق وضحايا الدريل: المثقب الكهربائي والمهجرين في الداخل أو الخارج الذين تبلغ أعدادهم بالملايين، فضلاً عن القتلى العراقيين من العلماء والأساتذة المعروفين والطيارين المغدور بهم والعسكريين المُغتالين ممن أدوا أدوارَ ملموسة في الطلعات العسكرية ضد الجيش الفارسي الذي حاول تدنيس تربة العراق خلال مراحل الحرب العراقية الإيرانية[٣٢]، دفاعًا عن حاضر العراق ومستقبله بوجه الصلف الإيراني الذي كان يرفض وقف إطلاق النار والإستجابة للجهود الدولية لإنهاء الحرب، التي يحرص الفرس الإيرانيون على رمي الجثث المعصوبة العيون والمقيدة الأيدي في مناطق "جلولاء/ نهاوند، والمدائن، وبغداد"... وفيها بعض المناطق والمدن التي تشير إلى مراحل تاريخية مهمة... بلهَ مفصلية إحتدم فيها الصراع بين العرب المسلمين، من ناحية، والفرس الساسانيين الكسرويين، من ناحية أخرى، خصوصًا في جلولاء التي فتحت في أول ذي القعدة سنة ١٦ هجرية الموافقة ليوم ٢٤ نوفمبر ٦٣٧ ميلادية وقتل فيها قائدهم العسكري خرزاذ، أخو رستم البطل الفارسي الشهير، كانت خطوة حاسمة على فتح بلاد فارس كلها، وكذلك تنفيذًا لظاهرة "الخطف ثم العلس" الكريهة التي بات مفهومها متداولاً في المجتمع العراق، من جهة خامسة وأخيرة.

لعن الأمة العربية الإسلامية والوعيد لكل العرب من غير المؤمنين بالرؤية الصفوية وشتم الخليفة الثاني الذي فتحت بلاد فارس في عهده: الذي هو العهد القويم والمشرق والأبرز في كل

التاريخ الإسلامي الأول، ومطفيء النار المجوسية في بلاد فارس ومحطِم الغطرسة الكسروية... لعْنهم وتقديم الوعيد لهم ولأحفادهم في كل مناسبة، هو ديدن تلك الممارسات التي يحرص على بثها أصحاب الرؤية الطائفية الفارسية والقسم الأغلب من الأتباع: الأدوات التي تردد شعارات صفوية كسروية ينتظم عقلها التي هيمنت عليه روحية التواكل وعقلية التقليد بما يعطل التمتع العملي بأثمن ما وضعه الله من أعضاء في خلقه من البشر: العقل الإنساني، ويهيمن على فكرها موفور الجهل والغاية القصوى للغباء، للدرجة التي أصبح فيها البعض "منا" معها أشبه بطابور خامس ينفذ أجندة فارسية ويخدم غاياتها السياسية الإيرانية.

إنَّ الوقوف على تلك المظاهر وفضح الغايات السياسية الكامنة فيها ومنها، يقتضي التدقيق في مضامينها بشكل أدق وتفصيل أعم، وهو ما يقتضي الرجوع إلى كتاب "التشيع العلوي والتشيع الصفوي" للشهيد الحسيني فعلاً: المرحوم علي شريعتي، الذي نوهنا عنه سابقًا، كونه تصدى وبالتحليل العلمي والصادق والمقرون بالشواهد التاريخية وبالانطلاق من حرص المؤمن المسلم الواعي لكل هذه الخزعبلات التضليلية التي كان شاه إيران السابق: المقبور محمد رضا بهلوي وأجهزة دعايته الواسعة تواظب على نشرها وترويجها، وتطوع مبادرًا لمناقشة المفاهيم الحقيقية لمحبة آل البيت النبوي الكريم، مثله مثل بقية المسلمين من غير الفرس الإيرانيين العنصرين المتعصبين، وتوقف طويلاً أمام الكيفية التي إستطاع فيها البعض من تحويل تلك الرحمة التي تجهد الرؤية الدينية الإسلامية لزرعها في نفوس كل المؤمنين بالإسلام، إلى موروث يتسم بالحقد والكراهية والبغضاء والقتل للنفس البشرية التي هي أشد حرمة عند الله والرسول محمد، (ص)، من هدم الكعبة المشرَّفة!، كما جاء في الأثر الشريف

يلقي الشهيد شريعتي، وهو الإيراني الجنسية والفارسي من حيث الإنتماء البايلوجي، الضوء على تلك الكيفية التي إستطاعت فيه الرؤية الصفوية الفارسية من التغلغل في النسيج الفكري والمجتمعي لبعض القائلين بالإمامية، وذلك من خلال تساؤلات مدبية وإجابات واضحة المعالم ومناقشة مستفيضة للمفاصل التاريخية التي مرّت بها الشعوبية والصفوية، وذلك عبر قراءة واعية ومدركة ومخلصة للقيم الإسلامية النبيلة وتهدف التوصل بشكل ملموس إلى غايات فكرية محددة، ومعلوم أنَّ السؤال الذي ينطوي على فكرة ملموسة تشكل وعي مجموعة طال بها التوقف أمام ظاهرة تاريخية ما، أو فردٍ نبيهٍ ويشعر بمعاناة حول مسألة معينة تتصف بالديمومة والتكرار نابعة غالبًا عن قضية ما، تمارس في مكان محدد، أو زمان معين، تكون قضية خلافية على الأغلب.

وعموم الأسئلة الجوهرية والجادة المكتنزة بالإفتراضات المنطقية والعقلية، التي يطرحها المبدعون تشكل المفتاح الأساسي لكل فعالية فكرية مستقيمة ومبدئية تبحث عن جواب يتسق مع العقل والمنطق، وإذا أخذنا الثقافة العربية الإسلامية كونها معيار موضوعي لمفردات حضارية، فإنَّ ما جاء به الدين الإسلامي، هو المثال الملموس في تلك القراءة الجادة والعميقة النابعة من تراث فكري يرتبط بالدين الإسلامي، قوام تلك التساؤلات وركيزتها الأساسية، وبالقدر الذي يتعلق بموضوعنا المبحوث هنا، هو المنطلق التالي الذي يتناوله الشهيد شريعتي:

"كيف إستطاعت الصفوية أنْ تنتج تشيعًا يشبه التشيع في كل شيء وليس فيه شيء منه"؟!.

للجواب على تساؤله العيني والملموس ذاك، ينطلق شريعتي في رصده الفكري وتحليله التاريخي من الفرز الواضح ما بين "التشيع العلوي"، وهو المذهب الخامس في الدين الإسلامي، بإعتباره

مدرسة إسلامية ضمن المدارس الفكرية، من جهة، وبين "التشيع الصفوي الإيلخاني الكسروي"، من جهة أخرى، بغية تركيز بحثه حول تجليات هذين المفهومين في الواقع الإجتماعي التاريخي والسياسي في الماضي، وكذلك السعي الجاد من أجل تطبيقه أيضًا على اللحظة التاريخية الراهنة [أي في مرحلة سيادة النظام الراستاخيزي البهلوي الشاهنشاهي على إيران] المارَسة، خصوصًا: على صعيد الرؤية الفارسية الإيرانية، التي سادت في العهد العنصري الشاهنشاهي التي تسلطت فيها الأسرة البهلوية على الحكم في إيران بمساندة عملية من الإستعمار البريطاني، أولاً، والأمريكي، تاليًا، وعبر تلك القراءة الموضوعية والإستنتاجات العلمية الهامة التي أفرزتها يمكننا وعي المسار الطائفي الحالي الذي تمارسه سلطة الملالي في إيران جمهورية علي خامنئي/ هاشمي رفسنجاني/ أحمدي نجاد، كون البرامج السياسية وتطبيقاتها العملية هي المقياس في الحكم والتقويم الكلي، وليس الإدعاءات التي يقول بها الحكام الفرس الإيرانيون الحاليون، سواء مَنْ إعتمر منهم البدلات الأوروبية أو ممن إرتدى أغلبهم العمائم البيض أو السود ولفها على رؤوسهم في كناية عن مظهر "الشيوخ" أو "السادة".

يستند الشهيد شريعتي في تحديداته الفكرية على الموروث الديني الذي تركه علماء إماميون، وذلك بإعتزاز كبير حول فهمهم العميق والمخلص لتلك المدرسة الفقهية وأساسياتها وتفرعاتها، كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: العراقي العربي والمرجع الأعلى للطائفة الإمامية في مرحلة زمنية ما، والعالم الإمام محمد مهدي الخالصي أحد أبطال الإستقلال الوطني العراقي وثورة العشرين البطولية التي حدثت في حزيران ١٩٢٠، ومن دون أنْ يسلط الشهيد شريعتي الضوء على الرؤية التوسعية

الفارسية الإيرانية المضادة للعرب والخليج العربي والعراق، كون الأبعاد السياسية على الصعيد العربي كانت غائبة عن مجريات الجرد الفكري والنقاش السياسي، لأسباب لا حاجة التوقف عندها في سياق الإعداد لهذا البحث.

ويبدو أنَّ معيار الرؤية الدينية الفقهية المقرونة بمصداقية الممارسة العملية وفي إطارهما التاريخي الملموس، هي المقياس في تحديدات شريعتي الفكرية عند وضعه للكتاب: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ففي حينٍ يتمتع الشيخ محمد مهدي الخالصي: الشيخ الإسلامي، مثلاً، بفضيلة الابتعاد العملي عن الحكام العملاء المنصَبين من قبل الإدارة البريطانية المهيمنة على أوضاع العراق آنذاك، رغم تاريخ بعضهم في نطاق المواجهة مع المستعمرين الطورانيين، ودوره الجهادي الملموس في إطار المواجهة الشعبية العراقية العامة ضد المستعمرين البريطانيين المحتلين للعراق في بدايات القرن العشرين، والمناوئة التامة للحكام الذين وثقت بهم الدبلوماسية والسياسية والعسكرية للغزاة المستعمرين البريطانيين في إدارة الشأن السياسي العراقي - وهو الأمر الذي يذكرنا بواقع العملاء الحاليين: المعممين منهم أو غير المعممين، من شتى المذاهب والأديان والإثنيات الذين يقدمون خدماتهم السياسية للمحتلين الأمريكيين الذين ينفذون إستراتيجية المحافظين الجدد: الذين هم صليبيون متصهينون، من جهة أولى، ناهيك عن رؤيته الدينية الإسلامية الثاقبة وفق معالمِ تلك المدرسة المذهبية الإمامية وآرائها تجاه الظواهر المستجدة ووفقاً لاجتهاداته الدينية، من جهة ثانية. وكلا الأمرين في الواقع الاجتماعي العراقي والسياسي القائم آنذاك، وكذلك الأمر من خلال مجمل الأعراف التي كانت قائمة حينذاك، هما اللذان كرسا زعامته السياسية العراقية والدينية الإسلامية معًا عند غالبية متبعي المنهج الإمامي.

وإذا أخذنا الترجمة العملية لذاك التوجه الفعلي في الزمن الماضي، وأجرينا المقارنة حوله في الوقت الراهن، كان المعنى الأساسي لذلك التوجه الذي وسم رؤية العالم المجتهد الشيخ مهدي الخالصي في مناقشة ما هو محدد ومحسوس على أرضية التحليل السياسي الملموس للموقف السياسي الملموس، هو ضرورة الإلتزام بوضع المعيار السياسي والفقهي معًا، عند دراسة أية ظاهرة إجتماعية وفكرية، أو محاكمتها تاريخيًا لرؤية: أين قوتها؟ أو إدراك: أين مكامن الخلل فيها؟.

فهل جاء إغفال شريعتي عن الكثير من الأسماء "الإجتهادية" مقصودًا نظرًا لعلاقات سياسية معينة مع السادة أولوا الأمر الفعليين؟.

ربما.

من المعروف عن البعض "المجتهد" والمفكر كان من النوع المهادن للقوات الأجنبية اللا مسلمة التي إحتلت أرض العراق العربية الإسلامية[٣٤]، بينما كان المجتهد الخالصي في مواجهته الإمبراطورية البريطانية التي إحتلت العراق: القوة العالمية القاهرة في تلك الفترة... كان فارس الكلمة السياسية والدينية والممارسة المرتبطة بذينك المعيارين: الرؤية والممارسة، تجاه تلك القوة البريطانية الغازية المحتلة، وهو ما عرضه لتشويه الجسم الصفوي المعمم، أساسًا، بسبب التباغض والحسد ومسائل أخرى، من جهة، وجعل الأتباع الجهلة يصبّون جهدهم الغوغائي ضده عبر التظاهرات المناوئة له، من جهة أخرى، من خلال رميه بمختلف النعوت المزيفة من أجل تسقيط رمزيته المذهبية، التي كان من بينها أنه "بهائي" النزعة والتوجه، وهو ما دفعه للتصريح بأنَّ الخراسانيين قد "أهانوه أكثر من إهانة الإنكليز له"[٣٥].

وذلك الموقف الصفوي تجاه ذلك الرمز العراقي المجتهد في الرؤية المذهبية، والممارِس لموقف سياسي ملموس على ضوء ذلك

الإجتهاد في فترة إحتدام الصراع بين البريطانيين الغزاة المحتلين، من ناحية، والعراقيين الوطنيين والمقاومين، من ناحية أخرى، كان ينطلق من بُعدٍ فارسي إيراني جسدته السلطة الصفوية العنصرية وترجمها عمليًا، أتباعها العلماء الدينيون الفرس والهمج الرعاع من الجمهرة الفارسية، مع التغافل التام عن موقفه السياسي الصحيح تجاه المستعمرين البريطانيين للعراق، وهو الذي أبعد من العراق على خلفية رؤية سياسية واضحة تتعلق في كيفية إدارة الحكم في العراق، ومناوئته للحكّام الذين إرتضوا لأنفسهم أداء دور العميل أو المساومة مع المحتلين.

والذي كانت نهاية أبطال الإبعاد ذاك، أو بالأحرى، بطله: وزير الداخلية العراقي: المرحوم عبد المحسن السعدون، الذي أصدر القرار الإداري المباشر بالإبعاد لتلك الشخصية الصادقة في تدينها وممارساتها السياسية: وفق قناعاته المذهبية، الإنتحار تاركًا وصيته القائلة "الأمة تنتظر خدمة، الإنكليز لا يوافقون. ليس لي ظهير. العراقيون طلاب الإستقلال ضعفاء، عاجزون وبعيدون كثيرًا عن الإستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس من أمثالي. يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز. ما أعظم هذه المصيبة: أنا الفدائي الأشد إخلاصًا لوطني، وقد كابدت أنواع الإحتقارات وتحملت المذلات، محضًا في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي وأجدادي مرفهين"[٣٦]، أي أنَّ نواياه لم تكن متطابقة مع الواقع التطبيقي المفروض من قبل المحتلين، الأمر الذي جعله يشعر بعبء الواقع الثقيل.

وفي ذلك الحدث الجلل الذي إقتدى السعدون عراق المجد بنفسه، وما ترتب على ذلك التصرف، [وكذلك غيره بالتأكيد]، مجمل دروس التطورات السياسية التي مر بها العراق العظيم وعموم منطقة الوطن العربي، مجرد عبرة تاريخية لكل مَنْ يتعاون مع الغزاة

المحتلين لبلدهم، فكيف ستكون نهاية العملاء للغزاة الأمريكيين المحتلين للدولة العراقية الذي حدث في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣، في مرحلة تبلور فيها الكادر الوطني العراقي على كل الصعد لإدارة الدولة العراقية بعد مرور قرابة ثمانين عامًا ونيف على تأسيسها؟!.

كان الموقف السياسي لأولئك الهمج الرعاع هو مجرد شظية عدوانية من القنبلة الصفوية الحاقدة على الشخصيات الوطنية العراقية المناوئة للمستعمرين البريطانيين خاصة، والمسلمين المخلصين لعالمهم الإسلامي بشكلٍ عام، التي أضافت الحكومة الإيرانية مواقفها السياسية الأخرى ضده رغم أداء المرحوم الخالصي لمختلف أنواع الخدمات التي كان من خلالها يعضد الدولة الإيرانية ويدعم نفوذ سياستها التوسعية والعنصرية المجرمة، وتسوغ لنزوع سلطة الشاه العنصرية في ميدان توسيع قواته المسلحة وإصدار فتواه حول ضرورة مساندتها بأموال الخمس... ولكنه، كافئه الإيرانيون بالأثمان المعنوية المجزية: والتي كثفها الشاه بقوله/ توصيفه للشيخ الخالصي أنه "سخيف"[٣٧].

ومن أجل أنْ يؤصل فكرته، يستطرد الشهيد شريعتي في إستخلاصاته التي تتمحور حول حقيقة أنَّ ما عجز عنه الأسلاف الشعوبيون لحكام إيران في الزمن العباسي في الماضي البعيد، قد تمكن الشاه وبطانته المعممة من الذين يرعون المفاهيم الصفوية والممارسات الفارسية، من إرسائه بشكل مكين - وما يزال يلقي بتأثيراته الملموسة، كما نعتقد - وأدخلت، بالتالي، في كل مفاهيم المذهب أو المدرسة الإمامية، الذي كان يشكل الموروث الفكري لبعضٍ الأئمة الإثنا عشر... أدخلت الأساطير الفارسية القديمة، متسائلاً في مجرى تحليله ومناقشته حول بعضها بالتالي: "ما الذي يصنعه السحر الأسود؟!"[٣٨]، مثلاً، من أجل توضيح ما ينبغي توضيحه من مقاصده في تلك التساؤلات؟.

(٩)

معركة القادسية إلى ماذا تشير؟

لقد جهد الفرس الصفويون في "مسخ" الإمام علي بن أبي طالب، ﷺ: الخليفة الراشدي الرابع، وإبعاده كذلك، عن المعايير التاريخية الواقعية، بمعنى غير المنظور إليه وفق نظارات أيديولوجية ذات رؤية سياسية ومذهبية مسبقة، من حيث المضمون القيمي والأخلاقي والفعل الجهادي والقتالي، وهو الذي يشكل في نظر المسلمين، وبشكلٍ عام، أرقي المعاني التي تنطوي عليه صفات الفتوة والتضحية والإيثار والصدق مع الذات والمصداقية مع الآخر، للدرجة التي تجعله في ذاكرة أغلبية العرب وأقسام هامة من المسلمين، قوة المثال المحسوس والمجسد الرئيس للقيم الفروسية العربية الإسلامية... لقد جهدوا في "مسخه" وبالتالي تحويل تلك الخِلال الحميدة والصفات النبيلة إلى رموزهم "الملكية" أي جعله مقرونة بأسماء حكامهم السابقين أو قادتهم العسكريين في الماضي البعيد، كـ"السجايا الكثيرة والخيرة" النابعة من خلال صفات الخليفة الراشدي الرابع، ﷺ، على وجه الخصوص، إلى لصق هذه الخِلال بصفات حكامهم الفرس ومستوحاة من مزايا أولئك القادة العسكريين الفرس الذين كانوا يقدسوهم في معارفهم وأشعارهم لاسيما من أولئك الذين قادوا المعارك ضد الفتح العربي الإسلامي الذي جاء لإنقاذهم من عبودية ذلك المجتمع العابد للنار المجوسية وتحولهم لعبودية الإله الواحد الفرد الصمد الذي لا يولد ولا يلد.

لقد صنعوا من الحضور التاريخي للإمام علي، كصفات مميزة وخلال موثقة، صورة ملموسة على قد مقاس قادتهم العسكريين على وجه التحديد، وإنْ كانوا مهزومين في معركة القادسية

الشهيرة، وأسبغوها - مثلاً - على القائد العسكري الفارسي رستم دستان[٣٩]، المهزوم أمام جحافل المسلمين العرب وقادتهم الأبطال الشمم، كما صورته ملحمة ما يسمى بالشاهنامة التي كان يلقيها في حضرة الملوك الفرس: الشاعر الفردوسي، كما تعرضه القيادات الفارسية الراهنة من خلال ترتيب زيارات وفود عسكرية أجنبية لمتحفه بالعاصمة الإيرانية: طهران بإعتباره: مؤسس العسكرية الإيرانية ورمزها، كما تروج دعايتهم! "ليس في ميدان الحرب بل في الخانقاه" بشكل أساسي.

ومن المعلوم، أنَّ "الخانقاه" مكان "ديني مزعوم" - ونقول عنه مزعوم على خلفية الرؤية الفكرية المؤسسة على أرضية التقويم الإسلامي لأماكن العبادة - كان مقراً لإجتماع الدراويش وتزين حيطانه بصور أشخاص لم تألف وجودها الحضارة العربية الإسلامية، ويشبه هذا الخانقاه في الفترة الحالية، مباني ما يسمى بالحسينيات المشيدة بالأموال الإيرانية، والموشاة بصور الإمام علي بن أبي طالب، ﷺ، ورسوم أبنائه وأعدائهم المعَذبين بشتى الطرق، إضافة إلى صور "المراجع العظام" التي أبرزها صورتا الخميني والخامنئي... إنَّ تلك الحيطان موشاة بالصور تلك على يد الزمر الصفوية الفارسية وأتباعها، في الوقت الراهن، وهي - في كل الأحوال - أبنية "دينية" - كما هو مفترَض - ولكنها في الحقيقة العملية التي تلخصها منظومة الدعاية والإعلان: مخصصة للترويج الطائفي ونشر البدع الدخيلة على مفاهيم الدين الإسلامي الحق، وبديلاً عن المساجد والجوامع التي هي مؤسسات وأبنية للعبادة والدراسة وتعليم التجويد القرآني، والتي حثَّ الدين الإسلامي كافة المؤمنين على تشييدها ورعايتها وخدمتها، بصريح النصوص القرآنية[٤٠]...

أما أبنية الخانقاه: أي الأمكنة التي يتجمع بها الذين يدعون إلتزامهم مفاهيم التصوف المذهبي، هي أبنية متخصصة في خدمة

الدراويش في المراحل التاريخية السابقة، فيما يعلق شريعتي على تلك "الأبنية الدينية المقدسة" أنها كانت نتاج "للصفوية التي شجعت هذه الأماكن على حساب المساجد"[41]، بالإضافة إلى محاولة خلق بطولات وهمية مستمدة من التاريخ القومي الفارسي، المزور غالبًا.

وكذلك جعل الأعياد القومية الفارسية: كعيد نيروز مثلاً - الذي هو اليوم الأول للسنة الفارسية الجديدة - كجزء من التراث الديني الإسلامي، وتزوير المعاني التي يتضمنها هذا العيد من حيث العقاب والثواب، من خلال الإدعاء بأنَّ بعض الأئمة الإثنا عشر كالإمام جعفر الصادق وأبية الإمام محمد الباقر قد أكدوا الآثار الايجابية إلى أنَّ هذا العيد هو أفضل من عيدي فطر المبارك والأضحى المقدس اللذين نصَّ عليهما الدين الإسلامي في القرآن والنصوص النبوية العديدة، إذ أنَّ مجرد صلاة ركعتين تخص عيد النيروز تعادل سبعين حجة {!؟} - وفقًا لمزاعمهم الرهيبة - إلى بيت الله الحرام"[42]، في حين أنَّ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان قد أكد أنَّ كل يوم هو في حقيقته "نيروز" أي اليوم الجديد باللغة العربية، فيما أكد الإمام جعفر الصادق، كما يروي أحد العلماء المتفقهين المرموقين، بأنَّه قال: "لقد فتشت أوراق جدي فلم أجد أي شيء عن هذا العيد، وكرر قول الإمام علي بأنَّ كل يوم هو يوم جديد".

لقد جعلت الرؤية الفارسية الإيرانية، كما يسوقها الفقهاء الصفويون الدائرون في فلك تلك الرؤية العنصرية الطائفية، من "الفرسان" المعممين لمدينة "قُم" وما شابهها في المدن الجغرافية البعيدة أو القريبة منها... جعلوا منها الطريقة الأيديولوجية الملزمة لأتباعهم، مع خلطها بالمفاهيم الإسلامية الحقيقية أو الزائفة عبر إستغلال أساليب الطريقة الإمامية في التفسير أو الممارسة وفق النهج العلوي الصحيح والقويم... أي أنهم جعلوها وسيلة لتمشية مصالح

نظامهم "الإسلامي" الراهن، مستخدمين أحلام "زعماء إيران وحكامهم"، لنشر التضليل "الفكري" لأقانيمهم "المقدسة" وخرافات فتاواهم الساذجة، وتجنيد الإمعات لتنفيذ مشاريعهم السياسية تحت مقولات "الشرق الإسلامي الكبير"، التي هي الفضاء الدعائي للرؤية الصفوية الفارسية في بعض مناطق الوطن العربي، فمن يعمل على صناعة الشرق الإسلامي الكبير لا يلجأ للتفتيت المذهبي ويحارب الشعوب المسلمة والظواهر الإسلامية، والأوطان المسلمة بالتحالف مع أعداء المسلمين من قبيل تعاونهم مع "المحافظين الجدد: الذين هم مسيحيون صليبيون صهاينة" ضد العراق وأفغانستان.

أو، وفقًا لتعبير صاحب كتابة مقدمة الطبعة العربية لكتاب الشهيد علي شريعتي: المترجَم عن اللغة الفارسية قوله، إنَّ الجسم القيادي الإيراني يرى التالي: "من الضروري أنْ يكون الإسلام لإيران" أي أنْ يكون فارسيًا صفويًا، كما تشير إليه الممارسة الحالية للدولة الإيرانية، جاء ذلك القول على الشكل الآتي: "منذ الأيام الأولى للثورة الإسلامية في إيران كان هناك جدلية ساخنة بين مَنْ يقول (إيران للإسلام) وبين مَنْ يقول (الإسلام لإيران) وأخيرًا حسمت الجدلية لصالح الفريق الثاني وبفوز ساحق، ولا شك أنَّ لتركيبة الشخصية الإيرانية دورًا مهمًا في تحقيق هذا الفوز"[٤٣].

وكذلك جعلت من بعض الأئمة الأطهار أو كلهم، بالرغم من عدم التحقق التاريخي عن الوجود الحياتي الفعلي للإمام الثاني عشر، كما عرضت الحيثيات التاريخية النافية لذلك الوجود من خلال الشاشات المرئية: محطة "الحوار" الفضائية التي تصدر في بريطانيا، ولعل كان أبرزهم ما أطلق على نفسه إسم أحمد الموسوي[٤٤]، الذي كان هو أحد أبرز قيادات منظمة ما يسمى بالعمل الإسلامي، وأحد اللاعبين الدعائيين في المشروع الفارسي الصفوي الإيراني إبان صعود حركتها التغييرية ضد سلطة الشاه

ونجاحها، ودعوتها "لتصدير الثورة إلى الخارج"... جعلت منهم خرطوشًا في السلاح الصفوي، كما يقول اللبنانيون، وأداة طيعة في خدمة المشروع السياسي الذي تهدف فيه التعاليم الصفوية خدمة الرؤية الساسانية الفارسية الإيرانية القائمة على الوهم التاريخي الذي لفقوه، أو الأسطوري على وجه التحديد[٤٥].

بل ذهبت الرؤية الفارسية الصفوية في نهجها الآثم، خطوات أبعد مدى في الإساءة لمضمون الرؤية الإمامية الفعلية، وجعلت الممارسات المفتوحة المتكاملة منذ إلتحاق الرسول العربي الكريم [ص] بالرفيق الأعلى كما تجلت في الممارسات العملية للإمام علي بن أبي طالب وغالبية أبنائه... جعلت المجالس الإسلامية التي تميزت بالصراحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علنًا في تلك الفترة التي كان فيها الرسول الأعظم ﷺ، على قيد الحياة... جعلتها مجرد مجالس تآمر خبيث لا هَمَّ فيها للصحابة رضوان الله عليهم إلا التواطؤ على آل البيت العلوي الهاشمي وبالتالي إغتصاب حقهم في الخلافة السياسية[٤٦]، في حين يدرك الجميع المخلص من المتدينين أنَّ أئمة آل البيت - مثلاً - كانوا متعاونين حتى بالتفاصيل الصغيرة مع الخلفاء الراشدين: خلفهم صلوا وتحت رايتهم جاهدوا وفي حضرتهم إختلفوا في إطار المقولة المعروفة "إنَّ إختلاف أمتي رحمة"، كما قال الرسول المصطفى ﷺ، وإجتهدوا في الأمور الدنيوية، مثلما تمتعوا بأعطياتهم وشاركوا في نيل الغنائم التي وردت جراء فتح جيوشهم الإسلامية، وصاهروا بعضهم: كما هو الحال مع الخليفة الراشدي الثاني: عندما تزوج الفاروق عمر بن الخطاب كريمة الإمام علي بن أبي طالب.

(١٠)

المبالغات على ضوء المفهوم

وعلى ضوء ذلك، تم سعي الفرس الخبيث إلى تهجين "الفكر الإمامي" بالتصورات الخرافية والأساطير المكرورة للموروث الفارسي، التي لا تليق بالإدراك العلمي ولا تنسجم مع المفهوم العقلي السليم، ولا تتوافق - كذلك - مع الذائقة التاريخية والمدركات العقلية التي كانت الرسالة العربية الإسلامي تحث على ضرورة التمسك بهما عند النظر للتطورات في أي مجال كان، من قبيل أنَّ الله خلق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين {خمسة أهل الكساء} قبل أنْ يخلق الكون ذاته، متجاوزين الإحترام لكل الأنبياء المرسلين من قِبل القدرة الإلهية، وهم المفضلون: أي الأنبياء عنده أكثر من كل البشر، بما فيهم أولئك الأئمة، على أقل تقدير، وفي حين - كذلك - يدرك الجميع أنَّ الله وضع معايير العمل الصالح في الدنيا هي الفيصل في يوم الإمتحان الكبير في اليوم الآخر، أي يوم القيامة، كما نص على ذلك القرآن الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الآية رقم ١١٠، من سورة الكهف]، وهناك عشرات الآيات التي تكرر ذات المعنى. العمل الصالح في الحياة الدنيا هو المعيار الموضوعي الذي يقيِّم مسار الإنسان في نهاية الأمر، لا التوسل بالخرافات أو الأقوال البعيدة عن أي معيار عقلي..

ووفقًا للأمثلة التي ترد في كتاب الشهيد شريعتي، حول ذهاب الرؤى الفارسية بعيدًا في خلط الأوهام المستمدة من التراث الفارسي حول المبالغات ببعض التأويلات غير المنصفة لما جاء ببعض

الآيات القرآنية الكريمة، يستشهد العالم شريعتي بالقول الذي زعم فيه أحد العلماء الصفويين حول الخلق وبدايات الوجود وفق النظرة الدينية الإسلامية والتبجيل المزعوم للرسول والخليفة الراشدي الرابع وأبنائه، للبرهنة على أحد إستخلاصاته العلمية تجاه الرؤية الصفوية المخالفة لما جاء به القرآن الكريم.

يقول ذلك العالِم الصفوي: إنَّ الرسول الأعظم ﷺ، والإمام علي بن أبي طالب، ﷺ، والصدّيقة فاطمة الزهراء بنت الرسول، هم أساس الخلق والبدء الحياتي للإنسانية، فقد فضل الله الثلاثة عند خلقه لهم، على البشر كافة بما فيهم الأنبياء والرسل، أو كما تقول الرواية الصفوية الفارسية: "كان الله واحدًا في وحدانيته ثم خلق محمدًا وعليًا وفاطمة، ومكث ألف دهر ثم خلق الأشياء كلها"[٤٧]، فيما ينسب المقدس الأردبيلي: وفق ما أسماه الشهيد شريعتي أحد العلماء الكبار في إيران، إلى الإمام علي بن أبي طالب قوله "أنا الذي حملت نوحًا في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي {...} أنا أحيي وأميت بإذن ربي، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من بعدي من أولادي (ع) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنا كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد"[٤٨]، فهل كان الإمام السادس عند أتباع الرؤية الإثناعشرية والمسمى أو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يهرف بما لا يعرف عندما قال، وهو يخاطب أصحابه: كونوا زينًا ولا تكونوا شينًا علينا!.

ولتلقيح تلك البلاهة اللاعقلانية الزائفة على العقول الموالية لآل البيت من أصحاب الرؤية الصفوية أو الأشخاص السذّج، تمكنت إيران من جعل الرؤية الإمامية مجرد طقوس مقرونة باللطم

والزناجيل وقعقعة السيوف وصفق الطوس ولبس السواد، أي تغيير النهج الإمامي القويم في الحق القائم على "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عير الحوار والمنطق والإرشاد"... بـ"تبديل ماهية التشيع الأحمر" في كناية عن روح التضحية في سبيل الحق الذي يميز فرسانه والذي "فجّر في النفوس روح الثورة والرغبة بالتحرر وإقامة العدل ومقاومة الجور والفقر والجهل ببسالة وعزم لا يلين"[٤٩]، إلى تقاليد إمامية موشاة بالسواد الدائم والألوان القاتمة في كناية عن مذهب تقليدي خاص "بالعزاء والحداد"... أي من خلال جعله "تشيعًا أسود" بكاءً هجاءً سبّابًا، بدلا من رؤية إستشهادية رائدها الحق والإنصاف، ومعيارها تغيير المنكر بالقلب أو باللسان أو بالأيدي.

واللون الأسود، في أية حال، هو لون الظلام والذبول والموت الذي فضلت إرتداءه الصفوية الطائفية بذريعة عقد مجالس العزاء حول المصيبة الحسينية، بدلاً من جعل أمثولة الثورة الحسينية بقعة الضوء التي تحثّ المظلومين على الإنتفاض والثورة ضد الغزاة الذين يدنسون الأرض العربية الإسلامية من خلال مفهوم "جهاد الدفع" أو مناوئة الظالمين[٥٠]، لا السير خلف أطروحاتهم السياسية بذرائع سخيفة ومقولات زائفة قائمة على تزوير ما هو صريح في القرآن والسيرة النبوية والمنطق والعقل، ومقولات مخاتلة وتفسيرية متعسفة تستبطن المخفي من الخطط السياسية، وتعلن غير ما تظهر بالإستناد على مزاعم "التقية"، كما هو حال ما يقوله ويعمله العملاء المتسلطون على السلطة السياسية في العراق الراهن الذين جلبتهم القوات الأمريكية الغازية، والتي تحميهم أيضًا.

وكذلك، بدلاً من رؤية التاريخ العربي الإسلامي في مرحلته المحمدية، من حيث الصراحة المطلقة على أرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيجابيات التجربة التي مثلتها الحواريات الصريحة والمتعددة والمتواترة لإجتماع "سقيفة بن ساعدة"، التي إنتهت

بخلافة أبي بكر الصدّيق رفيق الرسول وأكبر الصحابة سنًا، على ضوء مبادرة أحد الأنصار في تأييد الخليفة الجديد، وكذلك مبادرة عمر بن الخطاب التاريخية بمبايعة أبي بكر كخليفة للمسلمين.

لقد جعلوا من كل ذلك "مؤامرة أموية أو قرشية" من وجهة نظرهم، كما رأينا سابقًا، لإبعاد الإمام علي بن أبي طالب، (ك)، عن مركز الخلافة السياسية الراشدية. مثلما إتخذوا من مفهوم "الولاية سندًا قويًا ومقدسًا" أي جعلوه مفهومًا معياريًا يفرقون بموجبه بين الإنسان المؤمن وغير المؤمن، ويرسم بالتالي صورة مرعبة ومغتصبة لمفهوم الخلافة العربي الإسلامي التشاوري، بديلاً عن مفهوم آريامهر المتوارث في الأسرة الفارسية المفضلة من قبل إفرازات مفهومي "النور والنار" الزرادشتي[٥١].

وكذلك جعل ذلك المركز الإداري للدولة العربية الإسلامية صنوًا باغيًا و"سيفًا قاطعًا" بيد الخليفة على أنصار آل البيت، وذلك طوال فترة العهد الأموي وأغلبية العهد العباسي، رغم التجارب التاريخية المعاشة من حيث تكامل مدارس الفقه المختلفة وبقاء أئمة المدرسة الإمامية أحياء، مثلما جعلوا من يوم العاشر من شهر محرم الحرام: أي يوم عاشوراء الثورة الحسينية الإستشهادية في سبيل المباديء، والأمثولة التاريخية التي تركتها ثورته من أجل "أمرهم شورى بينهم" بدلاً من مفاهيم التوريث والتفرد والإستئثار والإستبداد عبر تطبيق مفهوم الملك العضوض للخلافة غير القائمة على الشورى، من أجل تخدير الأتباع وتغييب العقول النقدية عنهم وإماتة خاصية التبصر عندهم.

لقد أرادت تلك الممارسة التضحوية بالنفس والعيال والمال، أن تحث مجموع المسلمين على تقويم أي إعوجاج يحاوله الحكام فرضه على المسلمين من دون أنْ يكون للسيف الدور الأساس في الإصلاح، والحسين بن علي بن أبي طالب ذاته خيَّر قادة الجيش

اليزيدي ببدائل متعددة، ولكنهم طالبوه بـ"المبايعة" غير المشروطة فرفض، وأكد أنّه خرج على الخليفة الأموي طلبًا للإصلاح في أمة جدي، ومثلي لا يبايع يزيد، وهيهات منا الذلة.

ولكن السلطة الصفوية الإيرانية أرادت من خلال سلوكها الدائب ونشاطها العملي على جعل تلك الذكرى، داخل العراق خصوصًا، مثار خلاف متنازع أو متقاتل بين الأفراد المسلمين أو بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، وكذلك إفشاء عموم المقولات الزائفة عن رؤية أئمة آل البيت المخلصة للرؤية العربية الإسلامية المحمدية، وجعلها أفيونًا مخدرًا لبعض الأتباع من أبناء الرؤية الإثناعشرية، ومادة دعائية مستمرة للأتباع الصفويين الطائفيين، من خلال مجالس العزاء الحسيني وآلاف الكتب المطبوعة في طهران أو المنشورة عبر المواقع الطباعية المنتشرة في بيروت ودمشق، وتوزيعها مجانًا، أو بأسعار رمزية زهيدة، وإستثمار مختلف وسائل الدعاية الأخرى بهدف مناهضة رؤية مفاهيم "العمل الصالح" القرآني، والثورة الحسينية ومفاهيمها الحقيقية، وإرساء دروسها بشكل مغاير عند المسلمين، وفق إجتهاد "آيات الله العظام".

من كل ذلك نرى إنَّ إرساء مفاهيم الثورة الحسينية على مقولات مدرسية جامدة ومزورة تتناقض، وبشكل صارخ، مع الروحية الحقيقة للتجارب التاريخية التي أفرزها الدين الإسلامي، وفي سبيل ترسيخ هذا التضليل والتزييف، يجري ترديد تلك المقولات صباح مساء بغية تأليب أبناء المسلمين ممن يؤمنون بالرؤية الإمامية على بقية الأفراد المسلمين، من الذين ينتمون إلى المدارس الفقهية الإسلامية الأخرى، ويلتزمون بتعليماتها الحقيقية والذين يشكلون تسعة أعشار المسلمين من حيث العدد الكلي في العالم كله، وجعلت من أولئك الأتباع المنساقين للتعليمات الصفوية الفارسية أو من بعضهم - وللأسف الشديد - مصاصي دماء لا يتورعون عن إرتكاب أية جريمة مهما كانت غارقة في حقارتها.

(١١)

بين رؤية المفهوم وممارسات الأئمة الاثنا عشر

أدرك الشهيد الأستاذ الدكتور علي شريعتي الهدف الكامن وراء ذلك المجهود الفارسي من حيث تحويل الرؤية الإمامية الإثنا عشرية إلى مذهب قومي فارسي محض يخدم التوجه الشعوبي المحارب للنهوض العربي المسلم، مثلما رسم معالمه الأساسية الدين الإسلامي على مستوى الحكم/ الخلافة بديلاً عن الرؤية الكسروية الإمبراطورية القائمة على الغرور العنصري وتناسل الملوك من أرومة خاصة من الذين يجري تعظيم ذواتهم حتى درجة الألوهية، عبر الخط "الفكري الأيديولوجي الفارسي" الدعائي التحريضي، كما إختط نهجها "العملي والدعوي/ التحريضي" الراوي الفردوسي في الشاهنامة المرسَّم شاعرًا في الدعاية الفارسية الصفوية.

وكذلك من خلال رصد الرؤية الصفوية: كما إبتدعها الشيخ على كركي[٥٢]، والذي أستورد خصيصًا لبث الخرافات الخاصة بالمذهب الإثنا عشرية والرؤية الصفوية في خدمة نظامها. ورسخ مفاهيمها الخرافية العنصر الأبرز الذي تلاه وهو: محمد باقر المجلسي في موسوعة "بحار الأنوار"[٥٣]، التي جمعت بين دفتيها النصوص الغثة والسمينة ومن ثم تحويلها إلى أقانيم "مقدّسة" يجب عدم المساس بها أم مخالفتها أو نقض بعضها، وكان نصلها الرئيس شتم الخلفاء الثلاثة الأوائل وسب صحابة الرسول محمد، لص!، الكرام صانعي التجربة العربية الإسلامية الفعليين، من ناحية، وتأليه بعض أئمة آل البيت، كما تطرقنا إلى ذلك سابقًا، من خلال عملية التزاوج الملفقة بين أحد شباب آل محمد و إحدى بنات الملوك الفرس، من ناحية أخرى. "إنَّ غلامًا بين كسرى وهاشم لأكرم مَنْ نيطت عليه التمائم" وهي المقدمة الضرورية

"لعقد قران بين الإسلام والقومية الفارسية"[٥٤].

لقد إنتقل ذلك التأليه لبعض الرموز الفارسية من خلال الأحلام الليلية الزائفة المنتحلة، أو أحلام اليقظة المتوهمة من جهة، والمزيفة للوعي البشري السوي والقويم من جهة أخرى، وإعتبار تلك الأحلام الزائفة على أنها حقائق ثابتة، لذلك جعل الشهيد شريعتي، "مفهوم إلغاء التشيع بواسطة التشيع"، المضمون الأكبر للمحاضرة التي ألقاها في العاصمة الإيرانية طهران في العهد الشاهنشاهي المقبور، والتي كشف من خلالها وبحسٍ تاريخي سليم، التزوير الذي يبذله أصحاب الرؤية الشاهنشاهية: العنصرية الفارسية، والتي يساعدهم على ترويجها قراء المنابر الحسينية ومجالس العزاء المستمرة طوال السنة، والتي يخلط فيها هؤلاء الجهلة: أغلبية "قرّاء المنابر والمتغنون في مجالسهم" بلغة حزينة شجية باكية مستبكية وأشعار سقيمة أو مريضة بداء إسترجاع آلام وأوجاع ومآسي الماضي، تخلط الخرافات بالأساطير وبأمشاج بالية جراء تكرار توصيف تلك الحوادث ومزجهما بأنصاف الحقائق التي يجري تفسيرها بشكل مخاتل أو مراوغ، وتقديمها للمستمعين على أنها ألف باء التشيع.

يقول الشهيد الدكتور شريعتي "كان هذا التناقض يتجلى في إتجاهين يدعو الأول منهما الحركة الصفوية والعمل من أجل بناء إسلام خالٍ من الإسلام، فيما يدعو الثاني منهما الحركة الصفوية إلى العمل على إلغاء التشيع ولكن بإسم التشيع"[٥٥]، إذن الهدف الحقيقي والواضح والذي يبتغيه الدكتور شريعتي من إستخلاصه ذاك هو خدمة الرؤية الإسلامية الإمامية الحقيقية غير الزائفة، الرؤية الصريحة... الواضحة بالفكر كما هو متوفر في المسكوكات البلاغية: أي في كتاب "نهج البلاغة"، الذي سطرَه الإمام علي بن أبي طالب: الخليفة الراشدي الرابع، ﷺ.

والعمل الريادي لإبنه الحسين في ثورته الإستشهادية من أجل

المبادىء الإسلامية العظيمة، وكذلك في سيرة عمل علي إبن الحسين وأدعية كتاب "الصحيفة السجادية"، وخصوصًا ما يقوله محمد باقر الصدر عن نجاحه في سك العملة بغية عدم نجاح القوة الأعظم في ذلك الزمان: "السلطة البيزنطية" في النجاح بإذلال المسلمين، مع إبداء الملاحظة الموضوعية التالية: إننا لا نستشهد بإستخلاص الصدر لإثبات تاريخية الفاعل، وإنما للمعاني السامية التي ينطوي عليه العمل ذاته، أولاً، ودعاء الثغور الذي وقف من خلاله مع الدولة الأموية وضد الدولة البيزنطية، ثانيًا، وممارسات الإمام الخامس محمد الباقر الذي نفذ المهام التي إقترحها والده من أجل دحر الضغوط المالية للأجانب الكافرين على السلطة العربية الأموية "بهدف إذلال المسلمين"[٥٦]، ثالثًا.

وهكذا فعل العنصر الفارسي المتعصب طوال فترات تاريخهم المرسوم في عقلهم الشعوبي الفارسي: الواعي أو اللا واعي، من أجل تحقيق هدف سياسي وفكري محدد: المتمثل بإعلاء الشأن الصفوي وتضخيم النزوع الفارسي، وتمكنوا من أجل إنجاز هذه المهمة غير النبيلة وفق المقاييس الدينية الإسلامية، متخذين ستار التشيع الزائف في الجوهر والوسائل، لفرض التشيع الأسود مستثمرين أسلوب "التقية المذهبية" أكبر إستثمار ممكن وأوسع إستغلال لهذه الصفة التي فرضتها بعض الظروف التاريخية لحظة نشوء الدين الإسلامي، من جهة، والمتاجرة المزيفة من خلال إظهار همروجه الولاء والمحبة "المزعومتين" لآل البيت النبوي الأطهار، من جهة أخرى...

كل ذلك الجهد التعبوي المبذول من قبل "علماء" وأنصار الرؤية الصفوية الحقيقيين أو المزعومين، يخدم هدفًا سياسيًا عنصريًا واضح المعالم، ألا وهو فرض مخاتلات متضارية متناقضة وصولاً للهدف الذي يبتغونه عبر مفهوم: الولاء، الذي يعد الوسيلة الرئيسية والأساسية لجعل بعض الأئمة المسلمين أدوات معاول صفوية لتدمير البنية المعرفية

الإسلامية التي كان يتمسك فيها الأئمة المسلمون الأوائل على إختلاف مناشئهم وتنوع توجهاتهم، عبر حشوها بالخرافات والترهات والأكاذيب، أولاً، وجعلهم أي الأئمة: أدوات دعائية صغيرة في خدمة البلاط الصفوي وأحلامه السياسية والطائفية، ثانيًا.

لذلك نرى أنَّ الشهيد شريعتي ينتقل في عرض آرائه من خاصية التعميم إلى حالات التخصيص في أبحاثه القيمة عندما يتناول تلك المسألة المهمة الدعوية المبذولة بالقول: أنَّ "هذه المعادلة ثنائية الأبعاد - معادلة متضادة ذات معلومتين! الأمام في السماء شريك الله! وهو في الأرض أجير للخليفة، الإمام في الحضرة الإلهية: ظل للإله ورب النوع (وربما أسمى) وهو في حضرة السلطان: أحد أفراد الحاشية ومستشار ديني للشاه مساوم متزلف متملق (وربما أخس")[٥٧]، ذلك هو جوهر الفهم الفارسي للسلطان الصفوي الطائفي، موظف في ذلك النسق الأيديولوجي الذي يخدم الرؤية الفارسية بعيدًا عن أية تطورات فكرية موضوعية ترتبط بأي زمان معين أو مكان محدد، وفيها: تنوب أقوال الأئمة عن أية أبعاد عملية وموضوعية وذلك لفلسفة وقائع تتعلق بأي موقف سياسي محدد عالمي أو وطني فارسي، تنطوي عليه السياسة الإيرانية خصوصًا الراهنة منه[٥٨].

في الحقيقة كنت أجهل الأسباب الموضوعية التي تجبر الصفوة المتعلمة والمثقفة من أبناء الشعب العربي الأحوازي الذين يتميزون بالوعي السياسي بقضايا وطنهم وشعبهم، على ترك بلدهم وتشتتهم في أنحاء العالم، عاملين أو لاجئين، وبالتالي إجبارهم الطوعي على هجرة المدرسة الإمامية، لأنهم رأوا فيها مذهبًا لا عقليًا ينزع نحو تفسير الأمور بصورة غيبية فجة، تتعلق ليس بالقدرة الإلهية الواحدة والمتفردة والمطلقة، وإنما يتعلق الأمر ببشر مسلمون عابدون لله الواحد، أي بتغييب ملكة العقل التي منحها الإله للإنسان... تغييبها عن البشر تمامًا وإبعاده عن التفكير السوي، بإعتبار أنَّ العقل

المفكر هو الخاصية الأساسية التي تميز أي إنسان معين عن أي صنف من المخلوقات الحية الآخرى، التي قد تعيش في هذا الكون، أو تميزه عن أي نوع من أصناف الحيوانات المتطورة أو غير المتطورة.

لقد تبين لي على ضوء المتابعة المباشرة الناجمة عن التمّاس معهم، وعمق الوعي الفكري بعد إعمال التفكير في هذه الظاهرة بغية إجلاء الغوامض عنها، أنهم قد هجروا وطنهم لجعل هذا الإختيار سبيلاً ممكنًا لهجرة التشيع الصفوي، وفضلوا العودة لدين الفطرة البشرية: الدين العربي المسلم بإعتباره سلسلة مفاهيم حضارية تكونت تاريخيًا: أي الدين الإسلامي الحنيف، وفرض قيم التعارف والتعاون بين الشعوب والقبائل، لا الغزو والاحتلال والتدخل في حياة الناس حتى في إختيار أسماء أبنائهم، كما هو ديدن السلطة الفارسية الصفوية وممارساتها تجاه المواطنين العرب.

ويعود هذا التحول في ذهنية الإنسان الأحوازي الواعي إلى ضرورات التمسك بالمفاهيم العربية الإسلامية إلى كونهم يتحملون العبء الأكبر والأهم من الكراهية الفارسية والحقد الكسروى والغل العنصري، وفي الحقيقة، يكمن ذلك السعار الفارسي لدى كل المستويات الإجتماعية الفارسية، إلا ما ندر، من خلال الإحتقار الصفوي الطائفي لكل شيء عنوانه، ناهيك عن مضمونه، عربي يرتبط بتاريخ أمة العروبة[٥٩].

(١٢)

مبالغات خرافية

تلك هي أبسط تجليات المعالم الأساسية للرؤية الفارسية الفعلية والتي تكشف، ووفقًا لدعايتهم المستمرة والخبيثة، دلالات "الدونية"

لمجموع العرب كشعوب تعيش في أقطار متعددة جراء السياسة الغربية البريطانية الفرنسية التي تنازعت السيطرة على الأمة في أعقاب إتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٥، ولأمتهم المجاهدة في سبيل رفعتها ورفعة القيم التي آمنت بها، التي تشكلت تاريخيًا في الذهنية الفارسية، وأفرزت تراثًا فكريًا مكتوبًا ومطبوعًا ومقروءًا من قبل البعض المتمسك بالرؤية الفارسية الصفوية، وما يزال هذا التراث يتكرر بالأقوال ومقرونًا بالأفعال المجرمة والدنيئة ضد كلَ مَنْ لا يؤمن بالرؤية القيادية الإيرانية: خنقًا وقتلاً ورميًا في المياه أو الفيافي أو الشوارع والزوايا المهملة.

وهي رؤية إعلامية/ دعائية يمكننا القول عنها: أنها مسّت في مخاتلاتها حتى أئمة آل البيت ذاتهم من خلال إضفاء صفات العزة والقداسة والجلالة عليهم، بهدف تأليههم، من ناحية، وبغية تقزيمهم حسب الحاجة الصفوية، من الناحية الأخرى: "إنَّ الإمام علي هو الذي حمل نوح في السفينة وأخرج يونس من بطن الحوت وهو الذي عبَّر موسى البحر وأنقذ إبراهيم من النار، كما جاء في موسوعة المجلسي - بحار الأنوار"[٦٠]. ومن المعلوم أنَّ النبي إبراهيم الخليل، هو أبعد في مرحلته الزمنية، ومن الناحية التاريخية، من النبي موسى، عليهما السلام، فهل جاء هذا التقديم والتأخير في نص المجلسي هو بمثابة الدغدغة لعواطف الرؤية اليهودية ومبتغياتها، أم كان ذلك مجرد مصادفة؟!.

{واليوم يشترك القادة الفرس الإيرانيون وبشكل رسمي في عملية تهريب اليهود الإيرانيين إلى كيان الاغتصاب الصهيوني، لتفضح هذه العملية مخاتلة أخرى من مخاتلات الفرس حول ما يسمى بدعمهم للقضية الفلسطينية، ومزاعم عملهم على تدمير كيان الإغتصاب، الأمر الذي يوجب على منظمتي "حماس" و"الجهاد" وغيرهما من المنظمات المتأسلمة، إعلان موقفها السياسي

الواضح من هذه الجريمة التي تنطوي على دلالات كثيرة وهامة{!} .
لتعليق أضيف تاليًا لهذه الدراسة]

وبإشارة من الإمام علي تجمد الماء[٦١]، ومحمد، [ص]، وعلي هما أبوا البشر الروحيان، بله عند البعض "المجتهد" المجسدان للبشر[٦٢]، إذ هما من منبع واحد ونور مشترك، ونسبوا للإمام علي قوله: "كنت أنا ومحمدًا نورًا واحدًا من نور الله عز وجل، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أنْ يشق، فقال للنصف: كن محمدًا وقال للنصف: كن عليًا... وصار محمد الناطق، وصرت أنا الصامت... ثم ضرب (ع) بيده على أخرى وقال: صار محمد صاحب الجمع وأنا صاحب النشر، وصار محمد صاحب الجنة وأنا صاحب النار، أقول لها: خذي هذا وذري هذا... وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عز وجل علم ما فيه... وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين"[٦٣]. فيما قال صاحب كتاب "جواهر الولاية": أن النبي، [ص]، قال في أعقاب عروجه إلى السماء "أنه لم ير بابًا أو حجابًا ولا شجرًا ولا ورقًا ولا غرفًا إلا وكتب عليها إسم علي"[٦٤].

أما مسألة تقزيم سمعة الأئمة وتلطيخ تاريخهم بالنواقص، فقد صرف الشهيد شريعتي الصفحات المرقمة من ١٩١ - ٢٠٣ من كتابه المشار إليه، لإيراد أقوال "العلماء" و"المراجع العظام"، وهي أقوال وإدعاءات تضم ترهات وسخافات لا تخفى على أي متابع كريم ومخلص ينظر إلى التاريخ العربي الإسلامي نظرة واقعية، رأيت من اللائق عدم إيرادها، كي لا أثقل على القارئ الحصيف معاناته فوق معاناة المبالغة غير المعقولة، من ناحية، وتعاف النفس تداول تلك الروايات الساذجة السخيفة وترويجها، من ناحية أخرى.

وهناك مثال آخر لفت نظر مؤسسة الأزهر المصرية في منتصف الستينيات - على سبيل المثال - عندما جرى الترويج لعبودية الأفراد "المؤمنين كائمة" أو قد تكون عبودية لبشر "إستثنائيين

ومبجلين" عند أصحاب الرؤية الإمامية، وذلك عن عفوية ساذجة شابت "عموم أنصار المذهب" وبعض "المجتهدين فيهم" أو بحكم سنة التقليد التي جرى تحويلها إلى معيار تقاس فيه رؤية المرء المسلم الذي قد يموت على "الإيمان الجاهلي" إذا "لم يكن له إمام يقلده في كل شيء" فراحت تسجل الطلاب في جامعة الأزهر بعد إضافة "رب" قبيل إسم البشر أولئك: كعبد رب الرسول مثلاً. لقد بتنا نرى أسماء مثل عبد علي، عبد العباس، عبد الحسين، عبد الحسن، عبد الرضا، عبد السادة منتشرة في صفوف المسلمين من أتباع الرؤية الإمامية، ومألوفة جدًا في الشارع العراقي الملتزم بالرؤية الإثناعشرية، بالرغم من إدراك الجميع المسلم أنَّ العبودية لله: الخالق للبشر وحده، كما شدد على ذلك الدين الإسلامي في مختلف سوره القرآنية، فخير الأسماء ما عُبِدَ لله وما حمد له.

ومن الجدير بالذكر: القول التالي الذي ينبغي إيراده بمناسبة التطرق لأسماء تدل على العبودية للبشر، وهو محرّم شرعًا وذوقًا، ومحتواه القول التالي الذي أجادت به قريحة أحد المؤرخين المتفحصين للتاريخ العربي الجاهلي: القبل إسلامي وعلى وجه التحديد عشية بروز الرسالة المحمدية: العربية الإسلامية، ومرحلة العمل الحضاري العربي الإسلامي: عند تناول بواكير نزول ونشوء وتقدم ذلك الدين على وجه الخصوص، عندما أجمل إستخلاصه العلمي على ضوء الدراسة والتمحيص أو إقراره الحقيقة التاريخية التالية بعد تدبر في سيرورة التاريخ العربي الإسلامي: "من المعلوم أنه في المرحلة الإسلامية تغير هذا التقليد، وأصبحت "عبد"، في أسماء الأفراد، تسبق أحد أسماء الله، كعبد الرحمن أو عبد الرحيم، علمًا أنَّ هذا التغيير هو في الحقيقة أقدم من الإسلام بقليل"[٦٥]، وكان ذلك في أعقاب كان ما هو مألوف من أسماء كعبد شمس أو عبد ود أو عبد مناف... إلخ، أي أنَّ هذه الظاهرة

التي نشهدها: تعبيد الأفراد من دون الله المنتشرة في هذه المرحلة من بروز الرؤية الفارسية الصفوية، وهيمنتها كمقولات دعائية وبعيدة عن مفاهيم الدين الإسلامي الحقيقية، تمتد إلى مرحلة تاريخية حتى أسبق حتى من العهد الجاهلي وأفكاره وتقاليده، وهو مرتبط - بهذا الشكل أو ذاك - بالتقاليد الفارسية القديمة: الكسروية التي كان فيها ملوك تلك الفترة: آلهة قدراتهم أعلى من قدرات البشر، كما كانوا يتصورون.

بلهَ، تجاوز البعض حتى هذه الأسماء المبجلة في التاريخ والتي برهنت من خلال "أعمالها الصالحة" على مواقفها الإيمانية، وتركت المثال الحسي الملموس على عبوديتها لله وحده، فكانت هناك أسماء أخرى منتشرة عند أنصار آل البيت في العراق وإيران وبعض المناطق الأخرى وخصوصًا من السذج والمغفلين، من قبيل عبد الحر، وعبد الزهرة، عبد المهدي، عبد الحمزة... إلخ، ومن دون أنْ يحاول الفقهاء الإماميون، تصحيح هذا "الخلل" التاريخي من خلال التركيز على ضرورة التمسك بعبودية الله الواحد في كل الظروف ومختلف الأحوال، وتوضيح مخاطر تلك الممارسة "الجاهلية" على الوعي الإسلامي الصحيح، وعلى صعيد "المفهوم" و"المبنى" و"المعنى" الخاص بالقدرة اللا محدودة للواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يلد ولا يولد، التي هي خصال خاصة بالله العلي العظيم.

كما غدت النذور التي ينبغي أنْ تهل لله وحده، وتوزع عوائدها وفوائدها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل أو بناء المؤسسات الدينية، كما هو شأن التعليمات المرتبطة بالأوامر الإلهية، ممارسة ناجمة عن التقليد لأقوال أدلى بها "علماء مجتهدون"، بحيث صارت تقدّم لـ"لبشر المقدس"، إذ أصبح المثل المعروف في التداول بين العامة: "نذر عبد السادة له ولأولاده"، هو المقياس الواقعي في الحياة اليومية عند عموم أبناء الرؤية الإمامية وأتباعها، فهذا النذر

للإمـام العبـاس، والآخـر للإمـام الحسـين، والثالـث للإمـام علـي، ويجرجر المعممون الذين يزعمون إنتسابهم "لآل البيت" أي لآل هاشم مـن نسـل فاطمـة الزهـراء، أو هـم فعـلاً مـن آل هاشـم... يجرجـرون الذبائح فـي المراقد العامة لأئمة آل البيت، بإعتبار أنَّ ذلك جزءٌ من سهم الإمام أو مـا يسمى بـالخمْسْ المفهوم الـديني المرتبط بالجهاد والفتح فقط، وتوزع غنائمه على أبناء البيت من النسل النبوي من آل هاشم، غدو هم فقط: المكلفون بأخذه من النـاذرين، وبلغة أخـرى: واضحة وصريحة هي السلبطة المخاتلة على تلك النذور.

وغـدت الأمـوال المتجمعـة فـي المراقـد الخاصـة بأولئـك الأئمـة الكبـار لـذلك المـذهب السبب الأسـاس فـي التهـارش والإقتتـال بـين أصحاب المصـالح الدنيوية مـن قبـل أولئك "السادة المعممـين"، علـى حساب القيم الدينية التي يـدعّون "التمسك بأهـدايها"، فـي الوقت الـذي يعلـم جميـع المتـابعين المخلصـين مـن ذوي الضـمائر الإسـلامية النزيهة، أنَّ تلك العادات السقيمة ما هي إلا "كدية" تتستر بالتقاليد المتوارثـة ومـن أجـل الإغتنـاء المـالي، مـن ناحيـة أولى، ولـيس سـدًا للحاجة التي يفرزها شظف العيش، من ناحية ثانيـة، وأنَّ الهاشميين قد إكتسبوا هـذا اللقب جراء كـرمهم ومـواقفهم فـي أيـام الشـدة والقحـط مـن خـلال "تهشـيمهم" الخبـز وتقـديمهم الثريـد للحجـاج القـادمين إلى مكـة[٦٦]، مـن ناحيـة ثالثـة، كمـا تقـول الروايـة التاريخية، ناهيك عن قولنا السابق أن ذلك المفهوم مـرتبط بشـكل تاريخي من الممارسة – أي توزيع الخُمس -: الإستيلاء على أمـوال المناطق المفتوحة بقوة الغلبة والسيف..

ومما يجـدر ذكـره أنَّ بـين تلـك الكديـة عنـد الأتبـاع/ السـادة، المـتلفعين بأزيـاء الرؤيـة الإماميـة مـن مرتـدي العمـائم الحمـراء [الطـرابيش التركيـة] والشـال الأخضـر - رمـز أهـل البيـت - الملفوف عليها، من ناحية، وسمات الكرم التاريخي عند آل هاشم،

من ناحية أخرى، بيدٌ دونها بيدُ، كما يقول الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي.

وتوفرت الأجواء - فوق ذلك - لكي يتجرأ بعض السذج والأغبياء من المدعين "تدينهم" على الذهاب إلى الريف العراقي، بعد لف العمائم السود أو البيض على رؤوسهم، أو شد الأحزمة الخضراء على وسط أجسادهم، من أجل الإستحواذ على منتجات الفلاحين الفقراء من الحبوب أو الخراف أو الدواجن وبيضها، أو التوسل للحصول على بعض مدخراتهم المالية القليلة مستغلين تقاليد الكرم عند البسطاء من أبناء الريف العراقي، واللعب على مشاعرهم الحالمة بالتعويض عن بؤسهم في الدنيا الحاضرة، الزائلة، من خلال التعويض الإلهي عن حسناتهم المالية بقصور النعيم والتمتع بحور العين والإرتواء من أنهار الخمور في الجنة السرمدية القادمة في اليوم الآخر... أي في الحياة الخالدة، فضلاً عن لهط الأكلات الدسمة المعَّدة لهم، وإزدراد لحوم الدواجن المتوفرة عند الفلاحين، التي يحرمون أنفسهم وأبناءهم منها، ما خلا توفيرها في أيام الأعياد الإسلامية المعروفة، كعيد الفطر المبارك الذي يعقب شهر رمضان، أو عيد الأضحى الذي يقترن بشعيرة الحج.

(١٣)

لماذا عمر بن الخطاب؟

ولمقام الأنبياء الذين إصطفاهم الواحد العزيز القدير رسلاً مؤتمنين على نشر تعليماته المقدّسة للبشر كافة، على أساس نوعية قومياتهم ونوعية تفاهمهم اللغوي، رغم ما آلت رسائلهم الدينية تاليًا من تحريف أو تشويه تصل، في بعض الأحيان، إلى حد

التناقض... إلى أولئك الأنبياء نصيبهم في محور التقزيم الفارسي، وشأنهم في التهوين من قدراتهم ومآلهم في الأجر والثواب جراء طاعتهم الربوبية في نشر تلك التعليمات المنزلة إليهم والإلتزام بمضامينها الدينية، إذ كثيرًا ما يلجأ الأنبياء والرسل لأئمة آل البيت، وفقًا لمزاعمهم، لنيل ثوابهم عند مَنْ خلقهم: إذ "طالما لجأ الأنبياء إلى التوسل إلى الله بأهل البيت لتقضى حوائج الدنيا والآخرة، كما ورد بشأن توبة آدم ونجاة نوح.. إلخ"[٦٧].

وتأسيسًا على هذه العظمة التي يمثلها الأئمة والمنزلة الرفيعة التي يحتلوها عند الله، وفقًا للمزاعم الفارسية الصفوية، بسبب كونهم أجَلّ درجة وأكرم صفات حتى من الأنبياء الذين إصطفاهم الله، بأنْ جعلوا الأئمة في تخيلاتهم التي عدّوها حقائق مطلقة رغم كونها غير ملموسة، ندماء ومستشارين في حضرة السلطان الساساني، كما يقول الشهيد شريعتي، وذلك "لتحقيق الأغراض الخاصة بالملوك الفرس، "كان على التشيع الصفوي أنْ يلجأ إلى أسلوب معقد وشائك يجمع فيه بين تعظيم وتقزيم أئمة الشيعة..."[٦٨]، ولم يكتفوا بجمع تلك الخصلتين وإلصاقهما بالأئمة، بل "كان عليهم، في ذات الوقت، أنْ يقزموا أهل البيت لكي يفقدوهم الطابع والصفة الرمزية التي من شأنها أنْ تلهمهم السير على خطاهم والتأسي بسيرتهم في رفض الذل والعبودية والمطالبة بإقامة العدل وتحكيم الحق ونبذ الظلم والحيف والتميز الطبقي والعرقي والتأكيد على ممارسة الفرد لدوره الإيجابي البناء على الصعيد الإجتماعي"[٦٩]، وذلك من أجل التغطية على أفعالهم وممارساتهم التي ترتبط برؤية عنصرية ليس إلا!.

وتبلغ ذروة مخاتلاتهم وإستهتارهم عندما يحولون أقدس يوم، وأنصعه، وأكثره سرورًا في حياة المسلمين: يوم الهجرة النبوية، كونه اليوم الذي نجا فيه الرسول الأعظم ﷺ، من تآمر رجالات

قريش الكافرين لقتله، ومرافقة أبو بكر الصديق ﷺ، له بهدف التسلل إلى مدينة يثرب، للالتحاق بأنصاره المسلمين من الأوس والخزرج، وشروعه في تأسيس الدولة العربية الإسلامية، أعني به ذلك اليوم الأول من السنة الهجرية المباركة التي أقرها المسلمون بناء على موروث عربي يمتد إلى فترات غائرة في التاريخ العربي القديم، كون "السنة الدورية التي إعتمدها العرب في تقويمهم هي القمرية"[٧٠]، من ناحية، وبناء على القرار الذي إتخذه الخليفة الراشدي الثاني العادل عمر بن الخطاب ﷺ، بجعل يوم الهجرة هو اليوم الأول من السنة العربية الإسلامية"[٧١]، كيوم مميز وعيد مبارك يحتفل فيه المسلمون كافة... يحولون ذلك اليوم الزاهر إلى يوم مجلل بالسواد بسبب إضفاء الحزن عليه جرّاء "الفجيعة الحسينية" رغم أنها ستقع بعد عشرة أيام من ذلك التاريخ وتلك المناسبة... يوم كئيب في مضمونه وحزين في مراميه ومؤلم في دواعيه، بدلاً من جعله حافزًا للبحث عن الحق ومقاومة الطغيان بشقيه الإحتلال والإستبداد، ويسود إستقباله: النواح والبكاء واللطم على الصدور، في تفريغ لشحنة الغضب التي ينبغي أن تتوجه ضد المحتلين والظالمين، فما هو السبب الكامن وراء ذلك السلوك الفارسي الصفوي، يا ترى؟!.

في الحقيقة أنهم يخبؤون إحتفالات الفرح الخاصة بهم، بعد مزجها بالتراث الفارسي، بدلاً من ذلك اليوم العظيم الذي هاجر فيه الرسول الكريم ﷺ، بمعية الخليفة الراشدي الأول: أبو بكر الصديق ﷺ، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، الذي ذكرهما الله في معجز كتابه "إذ هما ثاني إثنين في الغار"، تاركاً الإمام علي بن أبي طالب، ﷺ، في فراشه مضحٍ بنفسه من أجل إنقاذ صاحب الرسالة وإقتداء الرسول العربي العظيم ﷺ، إلى اليوم الأول لتدشين سنتهم الفارسية الجديدة في الحادي والعشرين من آذار من

كل عام شمسي، وهو اليوم الذي تبتدىء فيه السنة الفارسية الشمسية التي باتت عمرها الراهن ١٤٨٦، وذلك في تجاهل متعمد للسنة العربية الإسلامية القمرية التي بلغت راهنًا ١٤٣٢. وفي ذلك اليوم من مما يسمى بعيد نيروز تعطل فيه المصالح الإيرانية كلها، وتقام فيها الأفراح وتطيب فيها أنواع الأكلات الشهية، والعمل على إبراز مظاهر "الدين الزرادشتي" من قبيل الرقص المشترك بين الفتيات والشباب والطواف حول النار في ذات الفترة الزمنية، كما شاهدها المجموع المتابع لقناة "الجزيرة" القطرية وفي البرامج التلفزيونية المنقولة عن الشاشة المرئية الإيرانية، أو التي سمح بممارسة طقوسها "القادة الإيرانيون المسلمون" وفي مقدمتهم "الولي الفقيه" علي خامنئي، كما يبدو.

وهي مظاهر حرص الدين الإسلامي على إلغائها نهائيًا، لتعارضها الجذري مع روحية الديانة العربية الإسلامية، ولكن لسلطة الملالي الحاكمة في طهران الرأي "الفقهي" الآخر، لأنها تتوافق مع الطموحات العنصرية للفرس وتتلاقى مع "الموروث الفارسي الساساني"، ومن المعلوم أنَّ مدة العطلة الرسمية التي تترافق مع قدوم "عيد" النيروز وهو اليوم الأول في: السنة الإيرانية الجديدة تكون في إيران: "الجمهورية الإسلامية" بشكل عام، ماعدا دوائر الأمن وأجهزة القمع على إختلاف مراتبها وتنوع أجهزتها... تبلغ مدة هذه العطلة أسبوعين ونيف، من أجل "العيد القومي الإيراني: نيروز"، فيما تكون العطلة اليومية الموافقة لمناسبة عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك، لا تتجاوز اليوم الواحد!، والتي ترسم السلطات الأمنية الفارسية الصفوية الخطط القمعية الشاملة ضد القومية العربية في الأحواز، من أجل تحويلهما إلى "مناسبات إستثنائية" من الملاحقة والتفتيش والمداهمة بحيث يقلق فيه المواطنين العرب، لوغيرهم من القوميات الأخرى من غير القومية الفارسية التي تلتزم بالشعائر الإسلامية!، عبر الإعتقالات

والمطاردات وأعمال القمع الشاملة التي تتعاكس مع أيام العيد، [أي عيد]، ومناسبات الفرح المفترضة.

إنه مزيج خطير من الممارسات العنصرية المقرونة بترديد الأساطير والحكايات الخرافية عن التراث الفارسي، ولكنه مركب كيميائي مقرون بالإرث الساساني التاريخي: المزعوم أو الحقيقي... الذي قالته اليهود أو زعمه المستشرقون والذي تلقفته عقول الفرس الصفويين، وفي الحقيقة أنه جُماع التقاليد القائمة على البدع والدجل والغلو والدس والتدليس والتضليل والتكفير والتفسيق، من أجل العمل على إقامة الحواجز النفسية بين الشعوب الإيرانية المسلمة وبين بقية الشعوب الإسلامية من غير الفرس، إذ تمكنت هذه الرؤية الفارسية الصفوية من عزل أغلب أتباع الرؤية الإثناعشرية عن بقية أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى، ومن خلال "سوء الظن بالآخر والإفتراء والطعن واللعن والتحريف والتزلف والتفسيق والتكفير"[٧٢]، تمهيدًا لتكريس رؤيتها القومية العنصرية السياسية على الأتباع[٧٣]، وجعلهم أداة طيعة ينفذون مشاريعهم الإستراتيجية.

هكذا يستخلص الشهيد شريعتي إستنتاجاته الفكرية بناء على قراءة معمقة للتاريخ الساساني الفارسي، وكيفية صياغة الفرس أفكارهم وتنسيقها على أرضية المصلحة العنصرية الفارسية، من ناحية، والوعي العميق والصحيح بمفاهيم الدين الإسلامي وغاياته النبيلة، من ناحية أخرى، وهي شهادة منطلقة من رجل إيراني فارسي ويتمتع بمصداقية دينية مبدئية مع النفس ومع الآخر في آن، مبنية على معيار العمل الصالح، وأنّ الله يراه في كل حين، لذا هو يعمل على ضوء إيمانه الفردي بأنه يرى الله في كل لحظة من لحظات سلوكه اليومي.

وفوق ذلك، يستمر الدكتور شريعتي في فضح "أساليب التشيع الشنيع" وغاياته الشيطانية ليدحضها في نصوص مؤصلة في

الكتب الإمامية والمصادر الصادقة والمتوارثة، الحقيقية وليست مزورة، المتسقة مع المسار الحياتي لرجال ونساء آل البيت وصحابة الرسول، (ص)، وليست الدخيلة المتخيلة، نصوص إمامية من وحي الإسلام ونبعه الصافي المتمثل في الرؤى التي تدفقت من أفواه المسلمين المخلصين البعيدين عن كل أنانية وتعصب عنصري، وتجيء أقوال الأئمة الحقيقية، وسلوكهم العملي، في المقدمة من أولئك الفقهاء المسلمين المخلصين، لا الفقهاء من وعاظ السلاطين، الفقهاء الذين قالوا كلمة الحق في حضرة سلطان جائر، وضحوا بدمائهم الزكية في ساحات الجهاد من أجل رفعة راية الإسلام في دنيا الخلود وبين البشر ورسم معالم جديدة للتاريخ الحضاري العربي الإسلامي. وهو ما سنتناوله في الحلقة القادمة.

(١٤)

معيار العمل الصالح والهرطقات المغايرة

نستخلص من كل ذلك، وبناء على رصد تاريخي ملموس أو محسوس، كما هو، وليس تسطير ما هو متخيل أو كتابة ما هو مُفترض... نستخلص الوقائع والدروس الحقيقية والواقعية والمرئية الملموسة تمامًا، وليس المزوَّرة في الكتب والمتوهمة في الأذهان، أنَّ الفارسية الصفوية قد رسمت خارطة أخرى بديلة للإسلام والتشيع بحدود صفوية فارسية كسروية وروح زرداشتية مانوية مجوسية، وجعْل آل البيت أدوات صغيرة في خدمة مشروع عرقي ثقافي قومي شعوبي ساساني مبني ليس على "غرار تزاوج الديانة المسيحية والقانون الروماني القديم، بل أكثر من ذلك، قسَّمَ مذهب التشيع وطمس قيمه الروحية القائمة على العدل والإمامة الهادفة لحماية الناس"[٧٤]، ومن هنا بالضبط والدقة يمكن التعرف عن الأسباب

الحقيقية لمعنى "تركيز أجهزة الدعاية الصفوية على نقاط الإثارة والإختلاف بين السنة والشيعة، وإهمال نقاط الإشتراك، أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرّغها عن قدرتها على أنْ تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين"[٧٥].

والتفريق بين البشر على أرضية أيديولوجية فارسية طائفية هي العادة المتبعة عند الملالي في الوقت الحالي، كونها هي أساس الرؤية الإيرانية الرسمية، وهي خصيصة على مدى التاريخ العربي الإسلامي، دون مراعاة المفاهيم الإسلامية للعمل التكاملي من أجل الخدمة الإنسانية لشتى الإنتماءات الدينية: فالإنسان أما أخوك في الدين أو الخلق، كما يقول الإمام علي بن أبي طالب، [ك]، والعمل الإنساني الصالح المجسَّد في سلوك قويم يستهدف تحقيق غايات نبيلة على طريق بناء المجتمع الإسلامي وفق المثل العليا المتمثلة في كتاب الله وسُنَّة رسوله، وسيرة أهل بيته وسلوك صحابته الكرام، وذلك بجعل الإنسان المسلم سوي ومتعاون ومتضامن مع أخيه في الرؤية الإسلامية والإنسانية، من كل النواحي، لا كما يسعى إليه الفرس الصفويون عندما يمارسون نهجًا يتحول فيه الإنسان إلى عنصر غير عاقل وغير مدرك وغير صادق أمام نفسه وأمام الخالق عز وجل، بغية تحويل قناعاته الدينية الحقيقية إلى عضوٍ ناشط في القطيع المذهبي من خلال جره من خطم أنفه إلى تعاليم بينها وبين الرؤى الإنسانية مسافات واسعة وتناقضات شاسعة من خلال تحويله "إلى تشيع ومذهب قائم على الخرافة والضلالة والظلام والبدع والشرك"[٧٦].

لقد عمدت الصفوية {أي المذهبية الفارسية} إلى إضفاء طابع ديني {أي مقدس قائم} على عناصر حركتها وجرها إلى داخل البيت النبوي، إمعانًا في التضليل، ليتمخض عن ذلك المسعى {المحسوب العواقب إلى} حركة شعوبية "شيعية" جديدة في التاريخ

المعاصر، خصوصًا بعد الاحتلال الأمريكي المجرم للعراق وتحطيم دولته وإفلاش مؤسساته الخدمية، من أجل أهداف فارسية عنصرية خاصة بإيران، حتى لو أدى ذلك إلى تدمير أبناء العراق كلهم، ممن ينتمي أغلبهم إلى مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية، وكذلك في سياق عملهم الدائب، "في تحويل تشيع الوحدة، إلى تشيع الفرقة"، ولعل توزيع كتاب ما يسمى بـ"مفاتح الجنان" لمؤلفه الفارسي الصفوي الشيخ عباس القمي، بمئات الألوف من النسخ وبشكل مجاني، على أبناء الشعب العراقي من أجل تسميم أفكارهم وحرف أنظارهم وشدهم إلى نواحي التعصب والعزلة والعداء للآخر[٧٧]، يعد علامة دالة على الجهد المبذول من أجل إحلال محتويات هذا الكتاب المليء بالخرافات الفارسية والشعوذات المدجلة، محل الكتاب المنزَّل من الإله: أي القرآن الكريم، من ناحية أخرى.

وفي الحقيقة أنَّ الدين الإسلامي يتميز عن باقي الأديان السماوية بصفاء نظرته النورانية وإتساق رؤيته الإلهية الحافظة لكينونة وجوده على مدى التاريخ وإختلاف سنوات الزمان، وبغض النظر عن المكان المعين، كما أكدت تلك الحقيقة تعاليم الكتاب العظيم: القرآن الكريم، والذي تكفل الله بحفظه سرمديًا، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ لسورة الحجر، الآية رقم ٩)، وعموده الأساس والكلي هو التوحيد لقدرة الباريء، عزه وجل. قد يختلف العلماء المتدينون فعلاً والفقهاء المسلمون المتبحرون في النصوص، فيما بينهم على بعض الفروع والتفاصيل، ولكن الأساسيات والجوهريات التي تنتظم رسالته الكونية واحدة، وذلك من خلال أصول فكرية وسماوية تتسم بالوحدة والتكامل، مثلما تمتن وحدتهم وتشجع تكاملهم وتحثهم على عمل الخير - إضافة إلى أنَّ تلك الأصول - تتماهي كليًا مع أهم الفروع الدينية الفقهية والتربوية، لذا يمكن القول، وبطمأنينة القلوب المؤمنة بالرسالة

العالمية للدين الإسلامي، أنَّ التوحيد هو السمة الأساسية للمجتمع الإسلامي الكبير والتي تجمعهم الحقيقة التي تعارف عليها كافة المسلمين: إنَّ الله تعالى واحد في ذاته لا تقسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

والمجتمع العربي لبنة أساسية في ذلك التنوع الإسلامي العالمي، إذا كان تسمية ذلك التنوع هي الكناية عن تسمية شعوب العالم الإسلامي، له من السمات الوطنية والقومية المشتركة المميزة والواقعية، كما هو شأن الأمم الأخرى، لا كما يورد الطبرسي في كتاب أعلام الورى عن دور الإمام علي بن موسى الرضا، على سبيل المثال لا الحصر، إذ يقول فيه: "بعدما أورد جملة من معجزات الرضا، عليه السلام، وأمّا ما ظهر للناس بعد وفاته من بركة مشهده المقدس، والعلامات والعجائب، التي شاهدها الخلق فيه، وأذعن العام والخاص له، وأقرَّ المخالف والمؤالف به، إلى يومنا هذا، فكثير، خارج عن الإحصاء والعد، ولقد أبرىء فيه الأكمة والأبرص، وأستيجبت الدعوات، وقضيت بيركته الحاجات، وكشفت الملمات، وشاهدنا كثيرًا من ذلك، وتيقناه وعلمناه، لا يتخالج الشكُ والريب في معناه"[٧٨]، فهي الجحود بقدرة الباري الواحد والإنكار لقدرة الخالق والنسف الكلي لما أورده القرآن الكريم والتعتيم التام على ما مارسه الرسول الكريم ﷺ.

أما التشيع الصفوي له في الشرك الباع الطويل، كما تقدم، مثلاً، وإنْ كان من باب محبة الإمام علي، فبعض الفرق المذهبية، والتشيع الصفوي ذاك "يضع عليًا في مصاف الله سبحانه، ويزعم أنَّ له تدخلاً في خلق السماوات والأرضين، وأنَّ محبته كفيلة في ضمان الجنة لصاحبها"[٧٩]، كما يقول الشهيد علي شريعتي، ووفقًا لما يروى عن حديث قدسي قال به الله ﷻ "محبُّ علي في الجنّة ولو عصاني ومبغض علي في النار ولو أطاعني"[٨٠]، وباعتبار ذلك جزءًا من مفهوم

الإمامة الذي لابد وللفرد الإمامي الإلتزام بمضمونه "الفكري" على حساب المفهوم التاريخي الواقعي الذي ثبتته القيم الدينية الإسلامية والإلتزام بشكل الحكم الذي أرسته الحضارة العربية الإسلامية الذي كان عنوانه "الخلافة الراشدة" وتنوع شكل السلطة فيها القائم على مبادىء الشورى القرآنية: فيما الإمامة، كما هو معلوم، ووفق الرؤية الصفوية: "هي الإعتقاد بإثني عشر إمامًا معصومًا مقدّسًا من عالم (ما فوق الإنسان) وهم الوسيلة الوحيدة للتقرب إلى الله والتوسل به والإستشفاع إليه، وهم إثنا عشر ملاكًا غيبيًا يلعبون دور الآلهة الصغار ويدورون حول إله السماء الأكبر"[٨١].

وهي مقولة تتناقض مع رؤية الإمام علي ذاته الذي وضع معيار العمل الصالح هو الأساس فيما إذا كان الإنسان مسلمًا أم لا: "لأنسبنَّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي. الإسلام هو التسليم. والتسليم هو اليقين. واليقين هو التصدُّق. والتصديق هو الإقرار. والإقرار هو الأداء. والأداء هو العمل الصالح"[٨٢]، في حين أنَّ التعاليم الصفوية الفارسية جعلت كل ما تقدم أساسه "الولاية" التي هي - وفقًا للمنطق الصفوي - "فهي بمعنى ولاية (مولائية) نجم عنها بالتالي عناصر دخيلة مثل الإسماعيلية والعلى اللهية والباطنية والحلولية والصوفية والهندية"[٨٣].

لذا فإنَّ الصفوية الدعائية لا تتطرق للحديث، أبدًا وبالمطلق، عن "شكل حكومة" علي الخليفة الراشد، ، وممارساتها العملية في الواقع، ولا عن "طريقة كلامه، وطريقة سلوكه، متى يتصدى ومتى ينزوي ويعتزل العمل، كيف يعمل وكيف يفكر، ما هي علاقته بالناس، وموقفه حيال الظلم ومواقفه من التملق والزور والتزوير والفقر والسرقة وإغتصاب الحقوق وإثارة الفتنة"[٨٤]، لأنَّ من شأن ذلك يجعل المقياس المطبق على أرض الواقع والمعيار الإمامي الراشد الذي أرساه أمام الجميع هو المقياس في الرؤية

والتقويم لأي عمل في الدنيا ، وبالتالي من شأنه أنْ يفضح السياسة الفارسية الصفوية التي تمارسها جمهورية إيران الراهنة بقيادة ما يسمى بالعلماء الفقهاء نواب الإمام الغائب، ويكشف عن أنَّ كل الجرائم المرتكبة بحق التكوينات الإجتماعية من غير التكوين الفارسي ليس لها علاقة بأي مستوى من مستوى الأفكار الدينية الإسلامية تجاه القوميات التي تعيش في إيران الحالية، ناهيك عن سلوكهم المشين تجاه الشعب العراقي كله.

التشيع الصفويُ الثقافي المليء بالرؤى السوداوية لكل شيء لا يتسق مع الرؤية الفارسية ، فقط، بل أصبح رؤية سياسية وطائفية وعنصرية مهيمنة على غالبية المنطقة العربية العراقية، بعد إحتلال الصليبيين الصهاينة للعراق في التاسع من نيسان من عام ٢٠٠٣، كون الدولة الإيرانية وتوجهاتها السياسية وبرنامجها العملي الفعلي أصبحت قوة طاغية على المستوى الإقليمي العربي كله، والخليج العربي خصوصًا عبر الوسائل السياسية والمالية الدعائية، من جهة أولى، والأدوات الطائفية الملتفة حول أحزاب عراقية الإسم، فارسية الهوى، صفوية الإلتزام، من جهة ثانية، قاتلة للكفاءات الوطنية العراقية عبر الإغتيال المجرم الآثم، وطاردة للبشر العراقيين المخلصين لوطنهم، وخصوصًا من العرب من الذين توزعوا على منافي الأرض العربية وتشتتوا في كل أرجاء العالم، من جهة ثالثة، ومصدِّرة الآفات الإجتماعية الضارة للشباب العراقيين، من قبيل تصدير الأمراض المعدية للعراق، ونشر المخدرات وتعميمها داخل المجتمع العراقي، وتخريب المنجز العمراني أو تهريبه إلى إيران وسرقة خيرات العراق، من جهة رابعة.

(١٥)

ثقافة السب واللعن ماذا تعني؟

إن إيـران: "الجمهوريـة الإسـلامية" تحـرص - مثلمـا يحـرص عملاؤها على نشرها وتعميمها - على توريد أمراضهم الفكرية العنصرية الفارسية والطائفية الصفوية المقيتة للعراق، من خلال رفع "الرايات السود" التي تزعم تمثيلها الثورة الحسينية في العاشر من محرم من عام ٦١ هجرية، وفق منظور الإيرانيين العنصريين ومن دون مضمونها الحقيقي: الفكري والديني الذي يتقدمها رفض الظلم ومقاومة الغزو، والجهاد باليد واللسان والقلب، كما دعا الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ، في حديثه المعروف: "مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده أو بلسانة أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان". لا طلب العملاء الفرس: كعبد العزيز حكيمي ونوري المالكي، وغيرهما، المتسلطين على الحكم العراقي... طلبهم من القوات الأمريكية البقاء فوق أرض المسلمين، وهي تحتلها عسكريًا وتسوم أبناء الشعب العراقي كلهم، وخصوصًا: العرب منهم والمناوئين للاحتلال الصليبي الصهيوني الأمريكي، والمجاهدين المسلمين ضد عساكره الباغية المنفلتة في ظلمها البشع كذلك... يسومونهم سوء العذاب والمطاردة والسجن والتهجير والقتل...

يرفعها عملاء إيران النظام الفارسي الصفوي: بأياد ساسانية العرق، مجوسية الفكر السياسي والأسلوب الفاشي من خلال النهج العملي، ناهيك عن المذهب الطائفي: الصفوي الذي يحاولون إلغاء الوجود السياسي للآخرين، لتبشر بثقافة الضم والتقبيل والتفخيذ، والممارسة العملية بالتعذيب والسلق والثقب بالدريل الكهربائي، والتصفية الجسدية للمسلمين لأنهم يحملون أسماء أبا بكر وعمر وعثمان، وبذريعة الإنتقام من: النواصب {وكل عربي

مخلص لحضارته العربية الإسلامية، هو ناصبي في نظر الفرس} ... وهـي ممارسـات موثقـة ومعلومـة كانـت تتجسـد بتصـرفات الجنـود الفـرس إبّـان مرحلـة الحـرب العراقيـة الإيرانيـة الـتي إستمرت ثمـان سنوات لرفض ساسة "جمهورية إيران الإسـلامية" وقـف الحـرب قبـل تحقيـق أهـدافها السياسـية المعلنـة وقتـل بعـض الأسـرى جماعيًـا، وكذلك، يعرفها جميع الأسرى العراقيين لدى "الجارة" إيـران: إبـان مرحلة تلك الحرب التي ذهب ضحيتها ملايين البشـر مـن الطـرفين: الشعب العراقي والشعوب الإيرانية[٨٥].

فضلاً عن ثقافة فارسية عنصرية مترسبة فـي عقولهم المريضـة ونفوسهم المغرضة، منذ سقوط المُلك الكسروي الساساني علـى يـد القائد السياسي للجمع المؤمن: أي الخليفة الراشدي الثاني الفـاروق: عمـر بـن الخطـاب ﷺ، وجيش الفتح العربـي الإسـلامي... وإعتـراف قادتهم تحت وطأة الشعور بالهزيمة والإندحار... أعني إعتراف الرمـز الفارسي يزدجرد: القائد العسكري بحقيقة كينونة وهويـة العـراق العربـي والأحـواز العربيـة، إذ تقـول الوثـائق التاريخيـة: "لم يـزل يزدجرد يثير العجم وقد إتخذ مركـزًا لـه فـي مـرو بأقصـى حـدود مملكته... فقال لهم: "رضيتم يا أهل فارس إنْ غلبتكم العـرب علـى السواد وما والاه والأهواز، ثم لم يرضوا بـذلك حتـى توردكم فـي بلادكـم وعقـر دوركـم". وهـو إعـتراف صـريح بالطبيعـة القوميـة العربية للعراق والأحواز: من حيـث إختلاف مضمون حركـة ذينيـك الشعبين في العراق والأحواز عن التكوين الفارسي"[٨٦].

ثقافـة قوامهـا تزويـر التـاريخ الـواقعي الـتي رسـم معـالم تكوينـه الأساسـي الـدين العربـي الإسـلامي، مـن ناحيـة، وترديـد الأدعيـة الحاقدة علـى الإسـلام والمسلمين بديلاً عن العمل القويم الصحيح النافع للبشر الذي خلقهم الله فـي أحسن تقويم، من ناحية ثانية...

ثقافـة قوامهـا السـب واللعـن واللطـم والنـواح والتطـبير: أي شـج

الـرؤوس بالسـيوف والقامـات، والضـرب علـى الظهـور بالزناجيـل المـزودة بالسـكاكين الحـادة والمدببـة والمعقوفـة، فـي سياق تنفيـذ تقاليـد مازوشـية مريعـة ومروعـة، والطـواف بالصـحن الحسيني فـي يوم العاشر من محرم الحرام من كـل عـام يعيـدون فيهـا تـكـرار مـا يقوله المسلمون فـي يوم عرفات لأداء مناسك الحج: لبيك يا حسـين... لبيك يا حسـين... بديلاً عن نداء كل المسلمين الذي أوجبته الشـريعة الإسلامية السمحاء: لبيك اللهم لبيك[٨٧].

ناهيـك عـن وضـع السـلطة الفارسـية الصـفوية قضـايا العـرب والمسـلمين فـي خانـة دبلوماسـيتها مـن أجـل المسـاومة مـع الشـيطان الأكبر: الولايات المتحدة الأمريكية، كما يتجلي بين فترة وأخـرى عـبر المفاوضـات الأمريكيـة - الإيرانيـة المباشـرة حـول العـراق، والمساومة غير المباشر مع كيان الإغتصاب الصهيوني العنصري[٨٨]، وممـا يـثير السـخرية أنَّ هـذا الطـواف والترديـد لتلـك الشـعارات/ النـداءات إنتقلت لمناطق فـي العـالم، لاسيما فـي الـدول الأوروبيـة، كما هي معالم التطبير السنوية فـي العاصمة السياسية الهولنديـة: دنهاخ، كما أظهرته أشرطة الفيديو.

فـي ختام مناقشة أصول ودوافع إستخدام هذا المصطلح: الصفوية الفارسية، علينـا التطـرق إلى الملاحظـة التاليـة الـتي سمعناهـا مـن قبـل الـبعض "المتفقـه" مباشـرة، وذلـك فـي بعـض المناسبات: حيـث يحـاول البعض التأفف من إستخدام هذا المفهوم: أي الصفوي، عبر القـول أنَّ السائرين في "الفكـر الوهـابي السـعودي" ومروجـي مـذهبهم هُـم مَـنْ أشاعوه، ويجـري التأكيـد فـي سياق ذلك الإدعـاء، أنَّ ذلـك الشـعار وتطبيقه يستهدف الشيعة كلهم من عربهم وغير عربهم.

إنَّ هـذا الإدعـاء يحـاول رؤيـة هـذه الطائفـة الـتي تتوزع فـي كـل الجغرافيـات العالميـة، علـى أنهـا "كـل إجتمـاعي" لا يخضـع لقـوانين التطـور والتحـول والإخـتلاف فـــي المســتويات الحياتيـة والإلتــزام

الفكري والولاء السياسي، ويصرون على ترديد المزيد من المعزوفات التي رأينا ضلالها وتضليلاتها عبر ضرب الأمثلة التي أوردها كتاب الشهيد شريعتي، بهدف القول عن المخاطر الحتمية التي ستتجم عن إستخدام هذا المصطلح: الصفوي، ومن ثم ستصيب أبناء الطائفة على إختلاف مناطقهم وتنوع قومياتهم بمختلف ضروب العسف والقمع والقتل، هذا بإختصار محتوى إدعائه. علينا القول في سياق التعليق النقدي له: إنَّ هذا البعض: المناصر للرؤية الصفوية الفارسية، يحاول إستخدام منطق صوري معزول عن الحياة، ولا يتطرق عن مسببات ونتائج العمل بهذا المصطلح/ المفهوم.

يقول هذا البعض المتفقه: قد يتسبب إستخدام هذا المفهوم: الرؤية الفارسية الصفوية في قتل الأبرياء وإغتيال "علماء الدين" من الشيعة، ثم يضيف: تساؤلاً ينبع محتواه من الفترة العثمانية وذلك للبرهنة على وجهة نظره، وهي الفترة التي تحكمت الإمبراطورية العثمانية بشؤون العراق الكلية، وهي فترة زمنية تجاوزت الأربعمائة عامًا، عن السبب الذي لم تبرز فيه مثل هذه المفاهيم السياسية تجاه النظرة العربية الإسلامية تجاه الأتراك.

نحن نعلم أنَّ الطورانية هي النعت الذي لخص مضمون الموقف العربي من خلال الرؤية التي طرحها المفكرون والسياسيون والعربيون عن النزوع العنصري الذي جاءت به "جمعية الإتحاد والترقي"، الطورانية كانت نزوعًا قوميًا عنصريًا، مثلما هو الحال مع المفهوم الصفوي من حيث أضراره على الإنسان والفكر، إنْ لم نقل أنها وفي حقيقتها الفعلية لم تتحول إلى أيديولوجية شمولية مبنية على إستغلال المفاهيم الإسلامية أو المذهبية، كما هو حال مفهوم: الصفوية الفارسية، لكي يحولها البعض المتعصب والعنصري إلى أطروحات أيديولوجية ومعيارية: الطورانية: لمحاكمة رؤية الآخرين، على ضوء "سرمدية الشكل الإمبراطوري العثماني".

وفي الحقيقة أنَّ ما فات هذا "الشخص المتفقه" وهو يعبِّر عن خالة وجدانية لدى العديد من هذه القطاعات الطائفية المنغلقة على ذاتها، ولا تريد الإستماع إلى وجهات النظر الأخرى، حتى لو كانت مدعَّمة بالآيات القرآنية والمسار التاريخي العربي الإسلامي، والسنّة النبوية كما هي. في الحقيقة أنَّ هذا المصطلح: الفارسي الصفوي هو تكثيف شديد للسياسة الإيرانية الحالية على المستويات كلها، السياسة السابقة والراهنة، تجاه العراق.

ويضيف هذا المتفقه: فيما لم تشغل المرحلة الإيرانية سوى عدة أعوام، مقارنة بسياسة عثمانية ٤٠٠ سنة ونيف، وهي تمارس بعض شؤونها المذهبية والسياسية في داخل العراق، هذا - كما يؤكد ربما يكون مضطرًا - إذا وقعت بعض الأخطاء البسيطة وليس إنتصافًا لمظلومية شيعية، وإنما إحقاقًا لحق تاريخي مستلب لحق بالشيعة المغبون دورهم في "السياسة والفكر"، وهو إداء "مزعوم بالتأكيد"، وغير ذلك من أقوال وإدعاءات تحاول تبرير السياسية الفارسية العنصرية والتوجه الطائفي الذي يتحكم بالجسم السياسي "المتشيع" والمتحكم بالأوضاع السياسية العراقية في الوقت الراهن كتنظيمات عبد العزيز حكيمي وهادي العامري وحزب الدعوة بشظاياه المتعددة، وقوات ما يسمى بجيش المهدي الذي يعد رمزه الأساسي "مقتدي الصدر" وغيرهم من التنظيمات السياسية الطائفية، التي أفرزت تدميرًا شاملاً للعراق[٨٩]. لا شك في ذلك.

إنَّ هذا البعض الذي يثير تلك المسائل التاريخية، تنبع أفكاره من وعي مذهبي متكور على ذاته، يرى في "الطائفة" هي الوطن والأمة وعموم الرؤية العربية الإسلامية التي قال الرسول الأعظم عن أبنائها الذين قد يختلفون في شؤون دينهم، ولكن الرسول ﷺ، إنطلق من روحية، "إنَّ إختلاف أمتي رحمة"، في حين أنَّ هذا البعض يتحدث بذلك المنطق - إذا صح إعتباره منطقًا - من دون

أنْ يطل على حقائق سماحة الدين الإسلامي، أو يطل عليها بشكل عابر، ولا يضعه في سياق التحليل السياسي والتاريخي الذي ينطلق من وعي كلي بالمقاصد العليا للدين الإسلامي.

إذ أنَّ الوحدة "المذهبية" - كما يقول ويدعي - أكثر ترسخًا وإنسجامًا في الواقع الإجتماعي، حتى من الوحدة الوطنية الإجتماعية التي تكونها أنواع المدارس الفقهية للدين الواحد والأديان السماوية والطبقات المتراكبة في المجتمع، وأكثر إتساقًا من المكونات الإجتماعية للأمة العربية ومكوناتها القومية العربية، وأكثر ترتيبا وإنتظامًا من المفاهيم الدينية الإسلامية، وفقًا لقناعاته التي يتحدث بها، بإعتبارها الطائفة الوحيدة الناجية، متناسيًا أن الوحدة الوطنية القطرية المتماسكة هي الأساس في بناء الوحدة القومية العربية التي هي الأخرى محطة أساسية في سياق وحدة العالم الإسلامي: إذا كان ذلك ممكنًا، بسبب تناقضات شؤون البلدان الخاصة من حيث التكوين القومي المكونة لذلك العالم، رأيه ذاك شبيه بهرطقات البعض... أي على طريقة "أفكار" فروع حزب التحرير المختلفة والمنتشرة في بعض مناطق العالم الذي تنادي بالخلافة المركزية الواحدة، من دون أخذ التجربة العثمانية الفعلية - مثلاً - بنظر الإعتبار.

ثم أنَّ الوحدة المذهبية: الطائفية، لا يجمع بين أهدافها التكوينية والسياسية أية أبعاد أمنية أو مستقبلية أو إقتصادية أو مستقبل يتعلق بالوحدة الإجتماعية المشتركة، أو نوعية على أساس التكوين الوطني أو القومي، وإنما يتحدثون على ضوء تلك "القناعات" الفكرية/ الطائفية. إنَّ تلك الأقوال والإدعاءات ترتكز أساسًا على عدم تحقيق منجزات عملية ملموسة في الأداء السياسي للأنظمة العربية الحاكمة في المرحلة التاريخية الراهنة، متخذين من هذا الفشل أو تلك الكبوة دليلاً على طرحهم "الطائفي" أو

متكئين على عدم نجاح المشاريع السياسة القومية في الوطن العربي خلال أغلبية سنوات القرن الماضي، بسبب عدم تحقيق الإستقلال السياسي الفعال، والقضاء على مخلفات الإستعمار البريطاني الفرنسي الذي إعتمد في تكوين السلطات القطرية على رؤساء القبائل والعشائر والإمعات، وتحقيق الوحدة العربية وتحرير الأراضي العربية المحتلة، بعد شطب القضية الوطنية والقومية الأحوازية من مسلسل حديثهم، منجهة، وعدم مقارنتهم بين الفترة الزمنية التي سبقت مرحلة الحرب العالمية الأولى، والفترة الزمنية الحالية، من جهة أخرى.

في الواقع أنهم يجهدون "فكريًا" من أجل بناء تصور سياسي أيديولوجي آخر، دون أنْ يضع رؤيته في إطار معرفي وتاريخي معين ومحدد يتعلق بمفاهيم "الزمان" و"المكان" الملموسين.

(١٦)

مناقشة ما تقدّم على ضوء معيار مفهوم الأمة العربية

ويتغافل هذا "المتفقه"، كذلك، عن الأبعاد السياسة الاستعمارية والإمبريالية العالمية سابقًا - التي تقودها راهنًا الولايات المتحدة الأمريكية في كل المجالات - وتأثير الشركات الاحتكارية العملاقة على الوضع السياسي في الوطن العربي، والمصالح التوسعية للحركة الصهيونية العالمية ولكيان الاغتصاب الصهيوني، وهي عوامل أساسية في كل الممارسات السياسية التي شهدها الوطن العربي، منذ الحروب الصليبية وللفترة الراهنة: التي شهدت فيها أوروبا النمو الرأسمالي والتوسع الإستعماري والنشوء الإمبريالي والتمركز المالي والإحتكار في

نمط الشركات الصناعية والتجارية والإستخراجية والإستثمارية (أي الإستغلالية) العالمية، وصولاً إلى فرض نظام العولمة وتوحيد العالم عن طريق السوق، الذي تقوده الولايات المتحدة والمحافظون الجدد في المرحلة الحالية من تاريخ التطور السياسي في العالم، الذين غالبيتهم من اليهود الصهاينة... نقول: كم تبين ذلك الوثائق الفكرية والسياسية التي ترصد ذلك التطور السياسي الأوروبي، والأمريكي كذلك[٩٠]، وهي في كل الأحوال، تشكل التطورات السياسية على مدى عدة قرون المعالم الأساسية لنتائج التطور الغربي من جهة، والتقهقر العربي، من جهة أخرى، وهما متلازمان في السبب والنتيجة.

إنَّ الأربعمائة عامًا من الهيمنة العثمانية، كما يقول هذا البعض إستنادًا إلى وثائق تاريخية، لم تكن فيها الشعوب العثمانية المكونة للإمبراطورية العثمانية، تحت نمط عرقي وقومي مركزي واحد مفروض من قبل السلطات العثمانية، ولكنها، كذلك، كانت المجتمعات العربية تعيش خلالها حالة مأساوية من التخلف على شتى الصعد، مع إختلاف درجات هذه المآسي في سلم التطور، وهي في الحقيقة شبيهة بالمجتمعات الأخرى: المختلفة من الناحية القومية، المكونة لتلك الإمبراطورية الشاسعة والممتدة في عمق أوروبا وبعض مناطق آسيا وتسيطر على بعض بلدان الشمال الأفريقي، لقد كانت جميعها موسومة بالتخلف الحضاري والإقتصادي والإجتماعي، وتشهد حالات من التراجع في الدور العالمي، وفق مقاييس التطورات السياسية والمعرفية والإقتصادية العالمية: والأوربية على وجه الخصوص.

ولكن المنعطف الطوراني الكبير الذي أثر سلبًا - فوق المؤثرات السلبية الأخرى - على الوطن العربي هو صعود "جماعة الإتحاد والترقي" في أواخر مرحلة الإمبراطورية العثمانية، والتي

سارت هذه القيادة التي حاولت تقليد التطور الأوربي بالإمبراطورية إلى حتفها، وتفكيك الترابط بين المجتمعات المكونة للإمبراطورية، من خلال تركيزها - على الصعيد العربي - على "التتريك اللغوي" و"التتريك الوظيفي" علاوة على الهزائم العسكرية في معارك الحرب العالمية الأولى، وقبيلها أيضًا، وكذلك لعبت عمليات إعدامات جمال باشا السفاح - جرّاء المؤامرة الفرنسية المعروفة - للنخبة السياسية العربية السورية واللبنانية دورها الملموس في تأليب النخبة العربية وجماهير العرب في بقية الأقطار المشرقية خصوصًا على العثمانيين الذين كانت تقودهم جمعية الإتحاد الترقي... عمليات الإعدام في بيروت ودمشق"[٩١].

والإستباحة العسكرية الشنيعة لبعض المناطق الجغرافية في العراق، ولعل أبرزها ما تعارفت عليه الأدبيات الإجتماعية والتاريخية العراقية، بـ"دكة عاكف" في مدينة الحلة الفيحاء، هذه التطورات الموضوعية + السياسية الذئبية البريطانية المتنامية منذ القرن الثامن والتاسع عشر، وخصوصًا في أعقاب "مؤتمر بانرمان" الأوربي، وما نتج عنه من برنامج سياسي تجاه المنطقة العربية وكيفية إدارة الوضع السياسي فيه بعد الإستيلاء عليه، هي التي كانت كامنة وراء نزوع الوطنيين العرب – والعراقيين والسوريين منهم على وجه الخصوص - نحو الإستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، وهي الدافع - كذلك - وراء تحركهم السياسي الذي إتخذ مسار تاريخي تراوح طويل نسبيًا ومتعرج غالبًا بين رؤية السياسية اللا مركزية التي تمنح العرب بعض حقوقهم السياسية والإدارية، ومن ثم المطالبة بالحكم الذاتي للعرب الذي ووجه بالمزيد من القمع السياسي وسياسة الإعدامات، الأمر الذي أدى إلى ترسخ نزعة الإستقلال القومي العربي عند بعض شعوب أقطار الوطن العربي، التي إنتهت في الحركة القومية التقليدية

بعـد نيلـها الإسـتقلال السياسـي الشـكلي، إلى التمـزق القطـري والتجزؤ السياسي جراء المخطط الأوروبي التي رسمت ملامحه خطة سايكس بيكو وخطة وعد بلفور الصهيوني.

لقـد كـان المثقفـون العـرب السياسـيون رأس الـرمح فـي تلـك الكتيبـة الجهاديـة الـتي سـلطت الأضـواء علـى الواقـع الطـوراني، ومجـرد مراجعـة للكتـب الثقافيـة علـى المسـتوى السياسـي، الـذي إستمرت بالصدور المتتابع طوال القرن الماضي، أي القرن العشرين، نجـد ألـوف العنـاوين حـول تلـك الممارسـات الطورانيـة وإنعكاسـاتها السـلبية علـى المجتمـع العربـي، بـدءًا مـن الفيلسـوف المتنـور والمنوِّر: ساطع الحصري، الذي أصدر العديد من الكتب حول تلك المرحلة، وحتى المرحلة القريبة لجهود المؤلف علي الوردي فـي كتابـه لمحـات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، وما بينهما من أسمـاء الكتـاب ومعـدِّي الأطروحـات الثقافيـة والسياسـية وهـم بالعشـرات أو بالمئـات على وجه التحديد: عرب وأجانب.

كـان ذلـك النشـاط الثقافـي يتميـز بالتحليـل السياسـي الملمـوس للموقـف السياسـي الملمـوس، وكانـت المرحلـة العثمانيـة، وعلاقتهـا بالمكان العربي، والمرحلة التاريخية، هـي المهمة الملموسة.

أما اليوم فإنَّ مـا هـو مطـروح فـي الشـأن السياسـي وفـق مفـاهيم "الزمان" و"المكـان"، هـو مـدى التـأثير الإيرانـي: الفارسـي الصـفوي، علـى الوضـع السياسـي فـي العـراق بشـكل خـاص والوضـع العربـي بصـورة عامـة. ومـن المعلـوم إننـا لا نتنـاول السياسـة الإيرانيـة علـى الصـعيد العـالمي وعلاقاتهـا التناقضـية مـع أمريكـا، الـتي تخضـع لوجهـات نظـر سياسـية متباينـة، إذ هـي تتطلـع لتحقيـق مصـالحها الوطنيـة كدولـة، فـي أحسـن الأحـول، وفـي سـياق هـذا الخـط السياسي تحاول توظيف الوضع السياسي العراقي في إطار سياسة التخـادم المشـترك للحصـول علـى بعـض المكاسـب فـي نطـاق ذلـك

الخط. إنَّ الإمر لا ينطوي على أي تصادم سياسي مع الولايات المتحدة، ولو كان الأمر كذلك، لأقدمت على إتخاذ سياسة من شأنها توطيد العلاقة مع الأنظمة السياسية التي تناوىء سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لا مساعدتها على الاحتلال. إنَّ زيارة الرئيس الإيراني للمنطقة الخضراء التي يتحكم في سياستها الأمريكيون من الألف إلى الياء هي آخر دليل على سياسة التخادم المشترك، ولعله لن يكون الأخير.

وما يواجهه المجتمع العراقي في اللحظة التاريخية الراهنة من مآسٍ نجمت عن التفتيت الإجتماعي والتشيؤ المذهبي والإغتيالات المتواصلة، على سبيل المثال، قد جعلت من تركيز البحث الثقافي والفكري والسياسي على العنصر الجديد الذي يلعب الدور المحوري في تناسل معاول الهدم الفارسي الصفوي في العراق هي المهمة الآنية والراهنة الجديرة بالرصد والإستقراء والتفنيد بغية تسليط الأضواء على ذلك المفهوم العنصري الطائفي: الفارسي الصفوي، في سبيل حماية المستقبل العراقي ومن خلاله حماية كل المستقبل العربي، كي لا يكون العراق وغيره أحواز عربية أخرى، يمنع فيه الحاكمون الملالي المستحوذون على الحكم في طهران إطلاق حتى بعض الأسماء البارزة التي أسست للتاريخ العربي الإسلامي وأرست حقائقه... يمنعون إطلاق الأسماء العربية الخالدة على المواليد الجدد، كما هو حادث في إيران "الجمهورية الإسلامية" ويحدث يوميًا وفق سياسة مبرمجة ممتدة منذ زمن الشاة السابق وما تزال: من قبيل أسماء عمر وأبو بكر وعثمان ورائد وخالد وعائشة وشيماء.

في أية حال أرى، من الضروري العودة للبديهيات المعروفة في التاريخ الفكري والتطور الاجتماعي في هذه المنطقة العربية، ولعل المفاهيم اللغوية العربية هي من بين أكبر المنجزات الإبداعية للعرب

الـذين حفـزت أفكـارهم هـي مـا يتعلـق بالرسـالة السـماوية، إذ أنَّ الأمة العربية وكيانها القومي وتراثها المنغرس في التـاريخ "موجـودة بقوة التاريخ وحقائقـه التي أنتجت وحـدة اللسـان والثقافـة والمخـزون القيمـي، رغـم أنـف المعارضـين المنكـرين. وإذا تمزقـت - لأسـباب سياسية حديثـة وقديمـة - إلى واحـدٍ وعشـرين دولـة، فهـي موحَّـدة فـي مرجعيتها الثقافية واللغوية والتاريخية"[٩٢].

والأستاذ عبد الإله بلقزيز المفكـر القـومي العربـي المغربـي الـذي لا يلعـب الـدور الطائفــي فــي أي بُعْـدٍ تكـويني فــي صـيرورة وعيـه السياسـي المتقـد، فـي ترتيـب أفكـاره العلميـة وتبويـب إسـتنتاجاته المنطقية هو الذي دفعه لتسلط الأضواء على مفهوم الأمـة العربيـة. إذ هي مرتبطة فـي سيرورتها الحاضرة والتاريخيـة بآفـاق المسـتقبل فـي ظـل صـراعات علـى المنطقـة، كمـا يـرى، ويـدفع - كـذلك - بحكم الضرورة "الأمم الصغيرة إلى إعادة هيكلة بناها الإقتصادية للتكيـف مـع شـروط إنـدماج إقليمـي بـين دولهـا، والإنتظـام فـي تكـتلات إقتصـادية تقيهـا مـن الابـتلاع والإسـتتباع [... و] أنَّ القـوى الإسلامية المتصدرة اليوم للمشهد السياسـي العربي التي هـي - فـي الحصيلة - ثروة فـي رصيد العروبة وليست حربًا عليها كما يزعم الزاعمـون"[٩٣]، لأنهـم يواجهـون ذات العـدو علــى مـدى التــاريخ الإسـتعماري الإمبريـالي المتعـولم طـوال القـرون الحديثـة والمعاصـرة، بما يعني إستمرارية ذلك العدوان بهدف إلغائهـا: أي الدولـة العراقيـة وعموم الأمة العربية، ليس من التاريخ السياسـي فقط، بـل حتـى مـن الجغرافية على أرضية نظام شرق أوسطي يقوده كيـان الإغتصـاب الصهيوني، أو إرسـاء محتوى مغـاير للمفهوم القـومي العربـي يعمـل على نسف ذلك المحتوى سياسياً فـي أقل تقدير، وهو عدوان مستمر كان يستهدف هذه الأمة.

والأمـة العربيـة الـتي هـي معطـى تـاريخي مشـترك، تكونـت بفعـل

الرسالة الإسلامية التي شكلت منعطفًا توحيديًا كبيرًا شكلوا الحاضنة التاريخية للنهوض الإسلامي الكبير في العالم، ولعب القادة العرب دور الأداة المنفذة لحمل الرسالة العربية الإسلامية إلى العالم، في مراحلها التأسيسية على الأقل، إذ أنَّ "العرب الفاتحين هم الذين حملوا الإسلام ونشروه في البلدان وقاتلوا من أجله وإستشهدوا في سبيله، فكانوا بذلك "مادة" له، بمعنى "المادة الخام" التي صنعت التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، [...]، فالنبي عربي، ولغة القرآن عربية، والخطاب فيه قد وُجِّه أول ما وُجِّه إلى العرب...

كما أنَّ الإسلام سيبقى عربيًا لأنَّ أحكامه إنما تستخلص أولاً من القرآن، كما هو في أصله العربي، وليس من خلال أية ترجمة له، لأنَّ أيه ترجمة للقرآن إلى أية لغة، كيفما كانت، لا تستطيع الوفاء بمضامين عباراته، نظرًا لأسلوبه البياني الرفيع الذي يجسم أعلى مظاهر الخصوصية في اللغة العربية.. ولما كان الأمر كذلك فإنَّ الإجتهاد - والإجتهاد في الإسلام مصدر أساسي من مصادر التشريع - لا يمكن أن يكون إلا بالعربية، فإتقان اللغة العربية والمعرفة الواسعة بطرقها في التعبير شرط ضروري في الإجتهاد، وقد عبَّر الفقهاء الأصوليون عن هذا المعنى حينما قالوا عن القرآن إنَّ {العربية جزء ماهيته}، وما دامت اللغة العربية {جزء ماهية} القرآن فهي إذًا مقوم أساسي من مقومات الإسلام نفسه"[94].

وبهذا المعنى، فإنَّ الأفق الإجتماعي تلازم والبعد العقيدي للرسالة النبوية، وهما متكاملان في الواقع أو حتى كإحتمال، إذ "كان هناك دور إجتماعي تاريخي لا سابق له في الأهمية في كل تاريخ البشرية: فالرسالة بقدر ما كانت دعوة للتوحيد، والعبودية لإله واحد، كانت - أيضًا - صناعة كاملة لأمة جديدة، على مسرح التاريخ، وتدميرُ الوثنية ونصبُ الشفعاء لم تكن تكريسًا لوحدانية الله في وعي العرب فحسب، كانت - إلى جانب ذلك - تدميرًا

لأسباب الشتات والفرقة بين الجماعات القبلية العربية، هكذا أتى توحيد الله تعالى يمثل في نتائجه الإجتماعية توحيداً للجماعات العربية في أمة، وهكذا أيضًا تداخلت في التكوين الشخصية الاجتماعية للأمة مع شخصيتها الروحية، بل قل كانت الأولى من صلب هذه. ولعل ذلك - أيضًا - كان من بين أكثر الأسباب وجاهة في إحداث ذلك النوع النادر من التلازم بين الدين والدنيا، في التجربة الإسلامية، وهو تلازم عبَّر عن نفسه في ميدان السياسة حيث عنت حراسة الدين وتدبير الدنيا، بعد أنْ غذتها التجربة النبوية في "دولة المدينة" بسابقة مرجعية جرى البناء عليها"[95].

والجاهلية عند العرب، تعني، على العموم، هو عدم وعي الدين التوحيدي في عمومياته، وخصوصا: "جهل الدين الإسلامي الحنيف" وأحكام الشريعة، والإحتكام بدلاً من ذلك في إدارة شؤونهم الحياتية إلى المعارف القبلية وتقاليد نظامها الإجتماعي، ولكن في تلك الفترة كان التطور اللغوي كبيرًا رغم تعدد اللهجات القبلية التي كان أبرزها اللهجة القرشية... تلك القبيلة التي لها باع طويل في إرساء نظام الإيلاف وإقامة نظام التجارة وتنظيمه مع الدول المجاور، والبعيدة نسبيًا، وتوطيد عموم المعالم الأدبية الأخرى، كما نشأت "دول عديدة" في منطقة الجزيرة العربية خصوصًا في الجنوب منها: اليمن السعيد، وقامت فيها سدود مائية كبرى تخدم عمليات الزراعة والري، مثلما تتحدث المصادر عن قيام تجارة بينها وبين المناطق الأخرى، من قبيل "دول" معين؛ قتبان؛ حضرموت؛ سبأ؛ حمير؛ إرم، إلخ، والتطور المعماري الذي تبرهن منشآت "سد مأرب" والتطور الزراعي وعمليات الري، والعلاقات التجارية مع المصريين ومناطق الشام والهند، أبرزها وأشهرها، وكل ذلك يعد من معالم التطور الذي يتعاكس مع مفاهيم "الجهل" و"الجاهلية" الذي يحاول البعض تكريسه عن العرب.

ولكن الإنعطاف الكبير الذي شهده العرب كان مع الإنبثاق الأبرز الرسالة العربية التاريخية والعالمية للدين الإسلامي، وهو ما تسعى الصفوية الفارسية إلى مصادرته وتحطيمه منذ مرحلتي "الفردوسي" الشعوبية في التاريخ العالمي الوسيط، الذي كانت تعيش فيه الأمر العربية والإسلامية مرحلة تطورها الأرقى آنذاك، وحتى المرحلة "الصفوية" في العصر الحديث والذي يجدد محاولات المصادرة والتحطيم حكام إيران الحاليون، في حين أنَّ العرب كانوا يستمدون "شخصيتهم القومية كامنة من الإسلام: الذي صنع لها الرابطة الموحدة، ومكّنها من الكينونة التاريخية، فإنّ علاقة العروبة بالإسلام تعززت أكثر بلغة الوحي العربية، نعم، لقد أضفى العرب على الإسلام طابعًا عربيًا حمّلهم الدعوة، ونهوضهم بعبيء نشر الرسالة في آفاق الأرض، من خلال مسلسل الفتوحات أو الدول التي أقاموها بإسم الإسلام؛ غير أنَّ عروبة القرآن ظلت - في النهاية - هي الأساس في كل تلك العلاقة بين العروبة والإسلام، ولقد زادها رسوخًا أنَّ الرسول الكريم كان عربي النسب، فضلاً عن جغرافية الرسالة كانت هي البلاد العربية، والمخاطب كانت العرب، ومع أنَّ رسالة الإسلام رسالة كونية إلى العالم كافة، وليست ديانة مغلقة أو قبليَّة شأن اليهودية، مثلاً، إلا أنَّ شروط وملابسات الدعوة تقطع بأنَّ العرب كانوا المخصوصين قبل غيرهم بها، وهو ما يقوم دليل عليه في الوحي: الأمر القرآني للنبي: "أنذر عشيرتك الأقربين". والخطاب - هنا - ليس يقصد بني هاشم أو قريش حصرًا، بل سائر العرب الذين نزل الوحي بلسانهم (إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا). فقد كان على الإسلام أنْ يكون دينًا للعرب حتى يمكنه أنْ يستحيل دينًا لسائر البشر"[٩٦].

ولعل مفهوم الخلافة، بما أنه يعبر عن مضمون السلطة السياسية التي تقود المجتمع الذي نشدت التغيير، ليس في ما يخص العرب

وحدهم، وإنما في العالم حيثما وصل المسلمون وبشروا برسالتهم الإنسانية، ودكت حوافر خيولهم المدن التابعة لغير العرب وعموم حواضرهم، فقد كان مفهومًا إشتقتْ مستوياته التكوينية والمعرفية من "إمتزاج التقاليد العربية بالروح الإسلامية أو بتعبير أدق: تأثير التقاليد العربية بالروح الإسلامية. ففكرة الإنتخاب مأخوذة من التقاليد العربية. ولكن فكرة إستناد الخليفة إلى موافقة الناس عليه عامة لا إلى أسرته وقبيلته مأخوذة من الإسلام. ثم أنَّ فكرة كون مصدر السلطة إلهيًا، وضرورة بيان رأي الأمة - التي لا تجتمع على ضلال - في المرشح، فكرة إسلامية. وإنَّ الطريقة المتبعة في الإنتخاب، سواءً بإختيار الأمة كانت أما بالتعيين الذي تسبقه معرفة الرأي أم بالشورى - مأخوذة من التقاليد العربية. وهذا يصدق في الكلام على شكل البيعة أيضًا، ويمكن القول أنْ تعدد طرق الانتخاب في عصر الراشدين تدل على قلة تجربة العرب السياسية ومحاولة تطبيق الأساليب العربية في قبيلة أو مدينة على ظروف دولة جديدة. ثم أنَّ صفات المرشح كالتجربة والسن والنفوذ تجتمع فيها التقاليد العربية والمباديء الإسلامية التي تؤكد الصلة القوية بالرسول. والسوابق في الإسلام والخدمة له. أما النسب القرشي، فكان صفة لازمة. لا شك أنَّ تأكيد قبيلة معينة فيه روح قبلية ولكن قريشًا شرفت بالإسلام لأنَّ الرسول منها"[٩٧].

ولكن الفرس الصفويين رأوا في هذه الشفافية، والتقاليد، والنشوء التاريخي لمفهوم الخلافة مجرد عملية تآمر خبيث من قبل "قبيلة قريش" على أهل البيت النبوي الذين كان أبرزهم الإمام علي بن أبي طالب، كما مر معنا بالإستشهاد برؤية كتاب الكاتب "الشيعي" الإيراني السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان، والعديد من المؤلفات الأخرى، مثلما وضعوا عبر كل

الجهد الدعاوي المتتالي مفهوم "الإمامة"[98]، قبالة مفهوم الخلافة، من أجل خلق تناقضات إحترابية بين المفهومين والرموز المعبرة عنهما، في الوقت الذي تعاون فيه أئمة آل البيت الأوائل مع الخلفاء الراشدين في المجالات التي كانت تهم العرب والمسلمين، من جهة، وقول الإمام علي بن أبي طالب بأنه "سيكون وزيرًا أفضل من أمير لحظة إنتخابه أميرًا على المسلمين"، وذلك بعد الغياب القسري للخليفة الثالث عثمان بن عفان، (رض)، من جهة أخرى.

المراجع والهوامش

ملاحظة جديرة بالإنتباه وإعتذار مسبق

سيرى القاريء الكريم، أنَّ الهوامش التالية ستكون مطولة بأكثر مما يجب ومألوف، ولكن دواعي إطالة هذه الإستشهادات تنبع من طبيعة المتلقي الذي هو بعيد عن مجريات الساحة العراقية، وقد يكون ذلك الإبتعاد السبب الذي يكمن خلف عدم درايته بالوقائع الفكرية والثقافية التي تحدد وعيه بالمفهوم الذي نتطرق إليه، وعليه فإننا نقدم إعتذارنا المسبق على هذه الإطالة، وشكراً.

ب. ص

[1] راجع كتاب السيد الدكتور توفيق برو المعنون العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤، الطبعة الأولى الخاصة بدار طلاس، ١٩٩١، دمشق / سوريا، وهي رسالة أكاديمية علمية وجامعية، مقدمة للدراسة بمعهد الدراسات القومية، تتكون من ٥٠٠ + ثلاثة ملاحق، والمؤلف يجيد اللغة التركية وله علاقة بالفهم العميق للمفاهيم التكوينية للعقلية التركية، وكان أدى التتريك اللغوي والتركي وسياسات أخرى تخص العرب، ربما من بين أهمها السياسة المركزية الشديدة في إدارة شؤون الإمبراطورية، وهم: أي العرب الذين يشكلون غالبية الدولة العثمانية، ممثلة في جمعياتهم وأحزابهم والشخصيات النشيطة من قياداتهم، إلى خيار التوجهات الجذرية للسكان العرب وقياداتهم الميدانية.

وللفهم الشمولي لتكثيف دروس تلك المرحلة، لنقرأ الخلاصة التالية التي يتوصل إليها الكاتب:

"أما العرب فلم يكن موقفهم من العهد الدستوري إلا موقف

الإخلاص والولاء للرابطة العثمانية والعهد الجديد، وقد حاولوا في إبتدائه أنْ يتناسوا حتى لغتهم وشخصيتهم في سبيل الإندماج في الدولة، على أنْ يكون عهدًا تتوفر فيه الحريات والحقوق والإدارة المحلية بشكل يرضي تطور الأفكار في البلاد العربية، ويتماشى مع النهضة الفكرية والثقافية التي عملت عملها منذ منتصف القرن التاسع عشر، غير أنَّ الإتحاديين أبوا إلا أنْ يتحكموا فيهم، وأنْ يستبدوا بهم إستبداد القادر الغشيم، وأنْ يسوقوهم سوق الأنعام، لإرضاء ما جبلت عليه نفوسهم من السفسطائية التاريخية، وإدعاء حقوق العنصر الحاكم، فكان لابد من الإصطدام: لذلك نمت العاطفة القومية العربية وترعرعت في خضم هذا النضال، إذ أسفر الإحتكاك بين القوميات، بعضها ببعض، وتقابلا في ميدان النضال مع الترك، عن تحفز الشعور القومي العربي، فإضطر العرب إلى التشبث بقوميتهم التي خشوا من أنْ تضمحل وتذوب، فكان للضغط أثره في وعي العرب لحقيقة ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار.

إنَّ المستقبل هو للوعي القومي والرابطة القومية، ذلك الذي لم يتمكن الإتحاديون من تقدير خطره، فكانوا متناقضين مع أنفسهم، إذ أدركوا قيمة هذا الوعي عند بني جنسهم، وأنكروه على غيرهم، فلم يكن منطقهم في هذا المجال، مختلفًا عن منطق المستعمرين. وهكذا ساروا بالدولة والأمة معًا، وسيروا العرب معهم، في طريق الهلاك والدمار، فأفسحوا المجال للإستعمار الأوروبي أنْ ينشب مخالبه في كيان الأمة العربية، لأنْ تضمحل سيطرتهم عليها إلى الأبد، وبذلك يتيحون للسيطرة الإمبريالية أنْ تحكم نيرها على عاتق الشعوب العربية في شتى اقطار الوطن العربي". [ص ٥٠٠].

فهل يستفيد الحكام الإيرانيون: الذين أغلبهم من المعممين والملالي من تجربة تاريخية ماثلة راهنًا وعملية ملموسة إستمرت أربعة قرون ونيف تمثلت بالسيطرة العثمانية تحت رؤية دينية إسلامية أتاحت للشعوب المكونة فضيلة العيش في ظلال فيء تقاليدها قبل أن تمارس "جمعية الإتحاد والترقي" نهجها الطوراني العنصري في أواخر عمر الإمبراطورية

العثمانية؟ أم تحاول تجريب المجرب، مرة أخرى، وهي تمارس أفعالها المناقضة لقيم "التعاون والتعارف بين الشعوب" المعروف قرآنيًا؟!.

وهناك بعض الكتاب والباحثين مَنْ ينظر إلى عملية تهاوي الإمبراطورية العثمانية جاءت بسبب إلتزام قيادة حزب الإتحاد والترقي المفاهيم الماسونية - دون أنْ يضعها في السياق التاريخي ومجريات الحرب العالمية الأولى وتخطيط القوى الإستعمارية الغربية لتقاسم تركة الرجل التركي المريض - وما يستبطنه - أي القول بالرؤية الماسونية وأفعالها - ذلك الإلتزام من مؤامرة يهودية صهيونية عمل على تنفيذها "يهود الدونمة"، متخذًا من طبيعة إلتزام أغلبية قياديي الإتحاد والترقي وخلفيتهم الدينية اليهودية...؟ ينظر إليها على أنها السبب الأساسي لنهاية الإمبراطورية العثمانية، وفي هذا المجال ينقل الكاتب عبد المجيد همو عن الأب لويس شيخو التالي: "فلما أعلن الدستور، وتم الإنقلاب العثماني، ظهرت اليهودية في أتم مجاليها، وكلٌّ يعلم أنَّ مركز الإنقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفًا، فلما أنشئت جمعية الإتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونية كان للضباط وجندهم القوة العاملة، أما التدبير لتنفيذ العمل وإخراجه إلى حيز الوجود، فكان في أيدي اليهود الذين تعهدوا بدفع المبالغ المالية اللازمة لذلك المشروع، [...]، تخلقت جمعية الإتحاد والترقي بعد خلع عبد الحميد بأخلاق الماسونية واليهودية، ولبست لبوسها، فلما خمدت ثورة نيسان ١٩١٩، نالت العناصر اليهودية أهمية كبيرة"، إلى آخره من شروحات قدمها الكاتب حول ذلك التطور وأسبابه، وبين أهمية المسؤولين الماسونيين، ذاكرًا أسماء أبرزهم، والأدوار التي لعبوها.

راجع كتاب الماسونية والمنظمات السرية: ماذا فعلت؟ ومَنْ خدمت؟، تأليف عبد المجيد همو، إصدار: الأوائل للنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الثالثة - آب ٢٠٠٥، ص ٤٨٧ - ٤٨٩.

[٢] والقادسية موقع في العراق غربيّ النجف، حدثت فيه معركة كبرى إنتصر فيها العرب بقيادة سعد بن أبي وقاص على الفرس بقيادة

القائد العسكري الفارسي رستم بتاريخ ١٤ هجرية / ٦٣٥ ميلادية، لعن المنجد في اللغة والأعلام، توزيع عام ١٩٨٦، ص ١٤٣٠]. وما زال حكّام إيران الحاليون، بالرغم من تشدقهم بالإسلام الذي قضى على الجاهلية وهزم عبّاد النار، يتيحون الفرصة للوفود العسكرية التي تأتي لزيارتهم بغية إصطحابهم إلى المتحف الخاص بالقائد العسكري الإيراني: رستم وهو المهزوم على يد رُسل الدين الإسلامي، كونه أكبر الرموز العسكرية الفارسية، وقائدها، وعندما أبدى أحد الزائرين المهمين رأيًا قوامه أنَّ رستم قد هزم على يد أبطال الإسلام وفي سياق معركة الإسلام ضد عبدة النار، أجابوه: "بأنه يمثل العقلية العسكرية الفارسية، وأبرز أبطالها، وما يزال يمثلها" بالرغم من ذلك وعلى الرغم من ذلك.

وفي أية حال، فإن هذه المعركة الكبرى كانت هي الفاصلة الأساسية في عملية التحرير للعراق والأحواز من الهيمنة السياسية والعسكرية الفارسية، وشكلت الخطوة الأولى والرئيسة في تتابع الإنتصارات العسكرية العربية الإسلامية التي أدت في النهاية إلى عملية إسقاط عاصمة الفرس: المدائن، وما تبعها من المعارك البطولية وبالتالي القضاء على الدولة الساسانية الكسروية الفارسية، وفي ذلك يقول المؤرخ الأستاذ أحمد عادل كمال ما يلي"حشد عمر لبن الخطابا لهذه المعركة كل الطاقات المتاحة وجهها إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص فبلغ جيشه شيئًا وثلاثين ألفا، ووضع خطته على إختيار مكان مناسب على حدود ما بين الصحراء وبين شبكة المجاري والمسطحات المائية تقيهم مخاطر الوقوع في فخاخ المسالك المائية وتحفظ خط رجعتهم، بينما تحرم عدوّهم من تلك المزايا، وأنْ تكون المعركة حاسمة بحيث تكسر جيش فارسي فينفتح ما وراءه من أرض دولته.

وألقى الفرس في مواجهة المسلمين بكل ما أتيح لهم من طاقة وحشدوا مائة وعشرين ألف مقاتل ومثلهم للخدمات يقودهم رستم. ودارت المعركة بالقادسية بين خندق سابور ونهر العتيق، اليوم الأول "أرمات" الخميس ١٣ شعبان ١٥ هجرية / ١٩ أيلول ٦٣٦ ميلادية، واليوم الثاني

"أغوات" ثم الليل "ليلة السواد" واليوم الثالث "عماس" و"ليلة الهرير" ثم الرابع "يوم القادسية" الأحد ١٦ شعبان ١٥ هجرية / ٢٢ سبتمبر ٦٣٦ ميلادية، وإنتهت بهزيمة ساحقة للفرس ومصرع رستم." . وأضاف المؤلف في ذات الصفحة التالي "ومن هنا نلتقط الخيط لنساير مسيرة المسلمين على أرض المجوس". لراجع كتاب الأستاذ أحمد عادل كمال المعنون: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، في سلسلة الفتوحات الإسلامية - ٣، إصدار دار النفائس، بيروت / لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية / ١٩٨٧ ميلادية، ص ١١ - ١٢].

لكن الحكام الإيرانيون الحاليون يحاولون تزوير التاريخ ويرصفون كلماته على ضوء قناعاتهم العنصرية الفارغة، ولعل المثال الملموس الذي صنعته الحرب العراقية الإيرانية في الزمن الحديث كانت في نتائجها العسكرية الحاسمة أبلغ البيانات، فليس شرب ما هو أقسي من السم من قبل "مرجعهم الأعلى: الخميني" وإيقاف الحرب التي طالب بها العراق منذ ١٩٨٣، تكمن دلالات الهزيمة العسكرية، وإنما أيضًا الفارق الكبير في نسبة القوى المادية بين الطرفين، وعلى الرغم من مساندة كيان الإغتصاب الصهيوني لهم والدعم الأمريكي المعروف بإيران غيت.

وفي تقديري أنهم يربّون أجيالهم على تنمية ذاكرة الحقد التاريخي على ورثة المسلمين الأوائل: العرب المسلمون، وضرورة أخذ الثأر من العرب الذين دحروهم في التاريخ القديم والحديث، ولعل الآراء المتناثرة في المؤلفات الفارسية الراهنة تصور جميع التطورات في المنطقة العراقية التي حدثت في الماضي، وعموم المنطقة المشرقية العربية، على أنها فارسية الطابع على المستوى التاريخي، وحتى العصر العباسي الأول تجعله إرثًا فارسيا، لراجع - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام، تأليف الدكتورة تغريد زعيميّان، إصدار الدار الثقافية للنشر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٢ ميلادية، ومن الجدير ذكره أنَّ "جامعة العلامة الطباطبائي" في إيران لعبت الدور الأيديولوجي الموجه للدراسة من حيث الرؤية التاريخية والتي جاء فيها حول العصر العباسي الأول: "وهو العصر الذي إمتاز بقوة

الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة، كما إمتاز بالنفوذ الفارسي، على أنَّ العرب بسقوط الدولة الأموية التي كانت عربية خالصة كانوا قد خسروا سيادتهم المطلقة في الدولة، فالعباسيون ركنوا إلى الفرس الذين كان لهم فضل كبير في بنيان العرش العباسي، بذلك فقد العباسيون ثقتهم بالعرب فأقصوهم عن الحكم والسلطان وأبعدوهم عن تصريف شؤون الدولة، وأذلوهم بالحروب والتشريد وانتقال وسفك الدماء. وفي هذا العصر ترسخت أسس الدولة العباسية وإنتقلت الخلافة إلى العراق بعد أنْ كانت بالشام، وأصبحت بغداد عاصمة للدولة العباسية بعيدة عن الشام، ولكنها قريبة من فارس ومن الجوالي الفرس في العراق نفسه"، [راجع ذلك الكتاب وعلى الصفحة، ١٠٦]، أما تصفية ظاهرة أبي مسلم الخراساني والقضاء على ظاهرة البرامكة إبّان العصر العباسي الأول، فإنَّ الجامعة العلمية الطباطبائية - كما هو شأن المؤلفة كذلك - تتجاهله وتتجاهل مدلولاته.

وفي ذلك الكتاب الكثير من "الرؤى العنصرية الفارسية" التي تناولت التطورات العراقية والعربية والإسلامية وعلى شتى الصعد وفي مختلف مناحي المعرفة، يجري النظر إليها وتناولها بالتفسير "القومي العنصري الفارسي"، وعلى أنها ليست من تاريخ الإسلام والعرب والعراق، بل من "إبداعات فارس وعلمائها". ناهيك عن إدعاءاتهم حول عائدية شريعة حمورابي القانونية: الملك البابلي العراقي لهم، كونها من نتاج عقلهم الفارسي، علاوة على رسمهم الخارطة الإيرانية المترامية الأطراف التي تضم أراضيها: العراق والخليج العربي في غرب إيران وأفغانستان وجوارها في شرق إيران، والتي يجري تلقينها وبشكل دائم ومستمر للطلبة الذين يخضعون لتدريس مناهجها الفارسية الصفوية.

[٣] راجع كتاب الشهيد الدكتور علي شريعتي المعنون التشيع الصفوي والتشيع العلوي، ترجمة الأستاذ حيدر مجيد، تقديم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا، سلسلة الآثار الكاملة، الجزء الرابع، إصدار دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، بيروت / لبنان، ص ١٢٠.

والتطرق إلى الخلفية التاريخية لنشوء أية ظاهرة سياسية أو غير سياسية تفرضها الضرورات الموضوعية، إذ كما يقول بعض القرّاء للتاريخ من موقع الإخلاص للأمة العربية، يوجب الإستشهاد بالقول التالي: إنَّ "الإهتمام بالسياسة فكرًا أو عملاً يقتضي قراءة التاريخ أولاً - لأنَّ الذين لا يعرفون ما حدث قبل أنْ يولدوا، محكوم عليهم أنْ يظلوا أطفالاً طول عمرهم!". ولا شك أنَّ المعممين: نهجًا فكريًا أو سلوكًا سياسيًا، من الذين إستقبلوا الغزاة الأمريكيين المحتلين وتعاونوا معهم أو سكتوا عن فسادهم في البلاد وأداروا ظهورهم للأعمال الفظيعة التي صبها المحتلون على رؤوس أبناء العراق... لا شك أنهم في هذا النهج السياسي حول قضية العراق هم من هذا القبيل، وحتى إنْ كانت أعمارهم قد تجاوزت المائة عام.

أما العودة التفصيلية للتاريخ الصفوي: نشوئه ومظاهره، فقد وردت في العديد من المصادر المعروفة، ولكننا نختزل ذلك النشر وتلك المظاهر بما كتبه الدكتور محمد بسام يوسف في موقع "البصرة" وتحت عنوان:

المشروع الإيرانيّ الصفويّ الفارسيّ المشبوه في بلاد العرب والمسلمين

الصفويون والصفوية يُطلَق هذا الاسم على الدولة التي أسّسها (الشاه إسماعيل الصفويّ) وعلى أتباعه، وهو من سلالة الشيخ (صفي الدين الأردبيلي) الذي كان يسكن مدينة (أردبيل) التابعة لإقليم أذربيجان في شماليّ غرب إيران.. والشيخ الأردبيلي هو أحد مريدي الشيخ (تاج الدين الزاهد الكيلاني) صاحب إحدى الطرق الصوفية، وكان ينتمي إلى المذهب الشافعيّ.. وقد كان (صدر الدين خواجة علي) حفيد صفي الدين الأردبيلي أول مَن اعتنق المذهب الشيعيّ بعد وراثة الطريقة الصوفية الأردبيلية عن والده (صدر الدين موسى)، ثم قام (شيخ شاه إبراهيم بن صدر الدين خواجة علي) باعتناق المذهب الشيعيّ على الطريقة (الشيعة الإمامية) وتحويل طريقته إلى طريقةٍ شيعيةٍ إمامية متعصّبةٍ غالية..

وسار على دربه ابنه الأصغر (جنيد) الذي قُتِلَ في إحدى حروبه، فخلفه ابنه (حيدر بن جنيد) الذي لُقِّبَ بلقب (سلطان)، وأمر أتباعه بأن يضعوا على رؤوسهم (قلنسواتٍ) من الجوخ الأحمر، تضمّ الواحدة منها اثنتي عشرة طيّةً، رمزًا للأئمّة الإثني عشر عند الشيعة الإمامية، وقد قُتِلَ (حيدر) أيضًا في إحدى حروب الثأر لوالده.. وخلفه ابنه (إسماعيل)، الذي أعلن فيما بعد عن تأسيس دولته الصفوية (في عام ١٥٠١م)، ووطّد دعائمها، فامتدّت من إيران إلى ما حولها من بلدان، حتى وصلت بغداد.

كان المسلمون في إيران بأغلبيتهم الساحقة (٩٠٪) من أهل السنة الشافعية، إلى أن قامت الدولة الصفوية على يد (إسماعيل الصفويّ) كما ذكرنا في عام ١٥٠١ م، الذي اتّخذ من مدينة (تبريز) عاصمةً له، وأعلن أنّ دولتَه (شيعية إمامية إثنا عشرية)، وقام بفرض عقيدته بالقوّة، على الرغم من أنّ علماء الشيعة حذّروه بأن لا يفعل ذلك، لأنّ الأغلبية الإيرانية الساحقة تنتمي إلى أهل السنة.. لكنه رفض وقال قولته المشهورة: (إنني لا أخاف من أحد، فإن تنطق الرعية بحرفٍ واحد، فسوف أمتشق الحسام، ولن أتركَ أحدًا على قيد الحياة)!.. وقام بصكّ عملة الدولة، منقوشًا عليها مع اسمه عبارة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي وَليّ الله)!.. ثم أمر جنوده بالسجود له كلما قابلوه، وقد اشتهر بدمويّته وساديّته الشديدة، فقام بقتل علماء المسلمين وعامّتهم، فقتل أكثر من مليون مسلمٍ سنيّ، ونهب أموالهم، وانتهك أعراضهم، وسبى نساءهم، وأمر خطباء المساجد من أهل السنة بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبي بكرٍ وعمر وعثمان) ﷺ، وبالمبالغة في تقديس الأئمة الإثني عشر..

ووصل الأمر به إلى أن ينبشَ قبور علماء المسلمين من أهل السنة ومشايخهم، ثم أن يحرقَ عظامهم!.. وهكذا كانت دولة الشاه (إسماعيل الصفوي) تأسيسًا لكل الدول الإمامية الإثني عشرية، ومثالاً يُحتَذى بها "شيعيًا" فيما بعد، من حيث ممارساتها وبدعها الشاذة!.. امتدّت الدولة الصفوية فيما بعد في كل أنحاء إيران وما جاورها، فقضى (الشاه إسماعيل) على الدولة التركمانية السنية في إيران، ثم

سيطر على (فارس وكرمان وعربستان) وغيرها..

وكان في كل موقعة يذبح عشرات الآلاف من أهل السنة.. إلى أن هاجم بغداد واستولى عليها، ومارس أفظع الأعمال فيها ضد أهل السنة، ومما فعله، أنه قام لبتهديم مدينة بغداد، وقتل الآلاف من أهل السنّة، واستخدم التعذيب الشديد بحقهم قبل قتلهم، ثم توجّه إلى مقابرهم، فنبش قبور موتاهم، وأحرق عظامهم!.. كما توجّه إلى قبر (أبي حنيفة) و(عبد القادر الجيلاني) - رحمهما الله - ونكّل بهما ونبشهما!.. وكذلك قام بقتل كل مَن ينتسب لذرية القائد المسلم (خالد بن الوليد) رضي الله عنه في بغداد، لمجرّد أنهم من نَسَبه، وقتّلهم قتلةً شنيعة!!.. (تحفة الأزهار وزلال الأنهار، لابن شدقم الشيعي).

[٤] المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

[٥] المصدر السابق، ص ٨٢.

[٦] المصدر السابق، ص ص١٤١.

[٧] راجع قوله المذكور ذاك وكذلك الإستشهاد الذي جاء به، في كتاب وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان، بيروت - كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤، ط ١، ص ١٢٩.

[٨] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

[٩] المصدر السابق، ص ١٢٣.

[١٠] راجع كراسه المكون من ٤١ صفحة الذي يتضمن قضايا تخص الروحانية الشيعية والإسلام بشكل عام، المطبوع بدمشق في ١ - ٢ / ٣ / ١٩٩٦، ص ٣٤.

[١١] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[١٢] راجع كراس السيد عباس الخوئي، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

[١٣] المصدر السابق، ص ٢١.

[١٤] المصدر السابق، ص ٢٧.

[١٥] المصدر السابق، ص ٣٧.

[١٦] المرجع السابق، ص ٢٦.

[١٧] من بين خير الأمثلة على ذلك الاتجاه الإسلامي الذي تعامل مع النص بإدراك وتفقه وإجتهاد ما قام به الخليفة الراشدي الثاني الفاروق عمر بن الخطاب من تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم، بعد إنتفاء أسبابه، وتعطيل حد السرقة في عام المجاعة، وقتل الجماعة بالفرد، إذ كان رأيه أنَّ كل نفس شاركت في القتل تقتل، والفاروق بذلك "فقيه إجتهد في فهم النص" ولم يعطله، وفق قول أحد العلماء. تجدر الإشارة إلى أنَّ كل الصحابة من الصدر الإسلامي الأول ورجال أهل البيت المتفقهون كانت مواقفهم متماسكة حول مركز الخلافة والإخلاص لقائدها: الخليفة المبايع وفق المقولة القرآنية: "وأمرهم شورى بينهم"، ولم يخالفوا رؤية الخليفة وتطبيقاتها في أية قضية حتى لو إختلف البعض حول بعض التفاصيل.

ولكن كيف رأي الفرس الخليفة الراشدي الثاني الفاروق عمر بن الخطاب، إن التطرق لهذا الموضوع بغية الإجابة على ذلك التساؤل سيطول حتمًا، لأن جام الغضب الفارسي والحقد الصفوي كله موجه لهذه الشخصية العربية الإسلامية العظيمة، لذ سأكتفي بإيراد ما هو مثبت على قبره بغية معرفة موقفهم منه:

يقع قبر أبي لؤلؤة في مدينة كاشان بإيران، ويزوره المؤمنون الموالون لكذا!!

في هذه المناسبة [أي مناسبة الإغتيال المشؤوم للخليفة الراشدي الثاني] كل عام ويحتفلون عنده، كون ذلك اليوم هو "فرحة الزهرة"، "ترفع فيها الأقلام" الذي يعني أنْ لا حساب عند الله على أي نقيصة يقوم بها البشر من ألفاظ وأعمال ضد الخلفاء الثلاثة الأوائل

ومن الجدير بالذكر أن أبا لؤلؤة يعرف في إيران باسم (بابا شجاع الدين أبو لؤلؤ)

أما زيارته "المخصوصة" فقد كتبت وعلقت في واجهة "ضريحه"،

جاءت على النص التالي:

"بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وغصب حقهم وهو الزنديق الأكبر الأحمق الأبتر، الكافر المردود، ثاني اثنين نمرود، الفاسق الفاجر المشرك المطرود، عدوُّ الله وعدوُّ الرسول الذي أنكر حقّ البتول غاصب أرض فدك، المدفون بقعر الدرك، رأس أهل الضلالة والشقاوة، خسر الدنيا والآخرة، الملقب بكلب وادي التهامة، المؤيَّد في عذاب يوم القيامة، قاطع حقِّ الخلافة أبو بكر بن أبي قحافة لعنة الله عليه.

اللهم العن الشقيّ الأعظم والملحد المشرك المجتنم، رئيس أهل الظلم، عدوَّ الله وعدوَّ الوليّ، الملعون بالنّص الجليّ، غاصب حقّ أبي تراب باعث إيجاد النّار والعذاب مخرِّبَ المسجد والمحراب فرعون امّةِ شافع يوم الحساب، المحروم من الحسنات والثواب مردود الأعمال والآداب الظالم عند أولي الألباب الكافر في جميع الكتاب المعذب بجميع العِقاب المُخاطب بكلب السّقر الكذّاب الفاجر المرتد المرتاب المخلّد في غضب الملِكِ الوهاب عمر بن الخطاب عليه اللعنة والعذاب.

اللهم العن الأشل الأعرج الأعوج الأحمق الخليفة بغير الحق الفاسق الفاجر المنافق الكافر، H كبر وُلد الشيطان سارق كلام الله الملِكِ المنّان دجّال آخر الزمان شارب الزّقوم لابس القطران إمام أهل النيران ثالث قارون وهامان مبطل الآيات وأحكام القرآن الملّقب بكلب الأوثان الواصل إلى عِقاب الرَّحمان الشيطان بن الشيطان عثمان بن عفّان عليه اللعنة والنيران". [عن بعض المواقع الإلكترونية].

[١٨] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

[١٩] راجع كتاب مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الصفحات ٤١٠، ٤١١، ٥٤٨ على التوالي.

[٢٠] راجع كتاب الدكتور علي الوردي المعنون بـ"وعاظ السلاطين"، الصادر عن دار كوفان / لندن، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٥، ٢٥٤.

[٢١] راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤. وكذلك نقرأ

على سبيل المثال، لا الحصر، في أحد كتب الأدعية أنّه "مَنْ زار الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) أو غيره من الأئمة (عليهم السلام) فصلى عنده صلاة جعفر كتب له بكل ركعة أجر مَنْ حجَّ ألف حجّة، وإعتمر ألف عمرة، وأعتق في سبيل الله ألف رقبة، ووقف للجهاد مع نبي مرسل ألف مرة، وكان له بكل خطوة أجر مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله (تعالى) وكتب له مائة حسنة، ومحي عنه مائة سيئة"، ص ٥٦٩ من كتاب مفاتيح الجنان، وذكر الكتاب ذلك الحديث نقلاً عن العلامة المجلسي.

وعن الصحابي سلمان المحمدي المعروف ب الفارسي كونه وُلِد في أفغانستان التي كان يحتلها الفرس في غابر الزمان، فقد أضفت الرؤية الفارسية الصفويه عليه من السمات الإلهية عليه ما لا يتفق مع عقل أو منطق أو دين، فهو "كان يعلم الغيب والمنايا، وأنه أكل وهو في الدنيا من تحف الجنة، وأنَّ الجنة كانت تشتاق إليه وتعشقه"، [ص ٥٥٥ من كتاب مفاتيح الجنان]، وكذلك فإنَّ "زيارة الحسين [عليه السلام] وهي أفضل أعمال هذه الليلة [والمقصود ليلة النصف من شعبان التي هي عيد ميلاد الإمام المهدي وليس نقل القبلة الإسلامية من القدس إلى الكعبة المكرمة] وتوجب غفران الذنوب، ومَنْ أراد أنْ يصافحه أرواح مائة وأربعة عشرين ألف نبي فليزره [عليه السلام] في هذه الليلة" و"في الحديث: مَنْ أحيا هذه الليلة لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب"، [٢١٠ من كتاب مفاتيح الجنان].

وحول جامع براثا الذي حوله "الصغير" إلى موقع مسلخ ومدفن للعرب المسلمين من الأبناء العامة أي السنة، يردد الكتاب بفخر أنه يجتمع "فيه قوم منهم يسبّون الصحابة" وأنْ هناك يوجد "قبر نبي من الأنبياء من الأنبياء ولعله يوشع" أي نبي عند اليهود، و"أنَّ فيه قد رُدت الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام)، والغريب أنَّ المسجد بما له الفضل والشرف الرفيع وبما بدا فيه من الآيات الإلهية والمعجزات الحيدرية قد عفاه معظم الوافدين لزيارة الأعتاب المقدّسة في العراق"، [ص ٥٥٣ من ذلك الكتاب التي جرت الإشارة إليه].

راجع الكتاب الضخم في عدد صفحاته، والذي وُزع بكثافة في العراق بشكل مجاني، في أعقاب العدوان الأمريكي الأطلسي في العام ٢٠٠٣ الذي أدى لإحتلال العراق، ومتوفر على الدوام في المراقد الأضرحة للأئمة والأولياء في العراق من المدرسة الإمامية، والمعنون: مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هجرية - ٢٠٠٢ ميلادية، إصدار دار الحسين، بيروت / لبنان، والكتاب يقع في ٨٦١ صفحة مليئة بالغث والسمين من أجل جعله بديلاً عن القرآن الكريم - كما أعتقد - والجهة التي حرصت على ترويجه هي وبالتأكيد، السلطة الفارسية الصفوية، كما أقدّر.

[٢٢] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ - ٦٥.

[٢٣] راجع كتاب وعاظ السلاطين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٨.

[٢٤] المصدر السابق، ص ٢٤٩. وفي هذا الصدد يورد الكاتب وجيه كوثراني التالي: أنه من "المؤكد أنَّ السياسة الصفوية أدّت إلى تسريع هذه العملية، وذلك عبر جملة من الإجراءات والمظاهر التي إستمالت الناس ترغيبًا أو ترهيبًا أو إحتواء. ومن ذلك على سبيل المثال: مظاهر التقديس التي أحيطت بها المقامات والمزارات العائدة إلى الأئمة، والمظاهر الطقسية المؤثرة للشعائر الحسينية في عاشوراء كربلاء، المسيرة التي قام بها الشاه عباس الأول سيرًا على الأقدام من اصفهان إلى مشهد (مزار الإمام الرضا) في العام ١٦٠١ م.. هذا بالإضافة إلى الإجراءات القمعية والقسرية والمعنوية والمادية والجسدية التي كانت تتخذ حيال السنة لإجبارهم علي إعتناق التشيع"، لراجع كتاب الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية - القاجارية والدولة العثمانية، وجيه كوثراني، إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية/ منقحة: أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١، ص ١٠٧..

[٢٥] المصدر السابق، ذات الصفحة.

[٢٦] راجع الصفحات من ٢٢٢ - وحتى ٢٢٥، من الكتاب الشهيد شريعتي.

[٢٧] راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

[٢٨] راجع نص الوثيقة تلك، في كتاب الأستاذ عبد المالك خلف التميمي المعنون الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت، العدد ٧١، الصادر بتشرين الثاني عام ١٩٨٧، ص ٣٣٢ - ٣٥٩، وفيها يرسم القادة الصهاينة مستقبل الوطن العربي، لاسيما المشرق منه، العمل الهادف "على إنهاء الدول العربية وتجزئتها دويلات طائفية لا حول لها ولا قوة تدور في فلك الإمبراطورية الإسرائيلية"، ويلاحظ الدكتور عبد المالك التميمي "العلاقة القوية (بين ما جاء في هذه الوثيقة) والتفكير المحافظ الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية هي علاقة بارزة جادة وبخاصة في الملاحظات التي يقدمها الكاتب في نهاية المقال".

[٢٩] الكبائر مثار إختلاف إجتهادي بين الفقهاء، وهي صفات سلبية ونقيصة معيارية قياسًا للمعايير الدينية الإسلامية، ويصل عددها إلى قرابة الثمانين، لدى رؤية بعض الباحثين المتشددين في ارؤية الإسلام ، كأقصى حد، أو عند بعض المتفقهين هي خمسة في حدها الأدنى، فيما يقول القسم الآخر أنها تحتل النصف الأول من سورة "النساء". أما البعض الآخر الذي تتسم آراءه بالمرونة، فيشدُد على كونها سبعة: كلها وردت في التقييمات السابقة، ألا وهي: الشرك بالله، قتل النفس البشرية بغير حق، أكل الربا، أكل مال اليتيم، الفرار يوم الزحف، قذف المحصنات المؤمنات الغافلات، منع الصلاة والزكاة. ويحتل ذلك المفهوم المتعلق بـ"الفرار من الزحف" موقعًا مركزيًا في الحالة الملموسة التي نتطرق إليها، إذ لم يرتكب الحكام المتسلطون على العراق التابعون للرؤية الفارسية نقيصة الفرار من الزحف، فقط، بل قدّموا خدمة للقوات الأمريكية والبريطانية في إحتلال العراق، وهي صليبية صهيونية، وبقاء قواتهما جاثمة على تربته، ومحاربة الأباة من مقاومي الإحتلال.

وعودٌ على بدء، ينبغي التأكيد على أنّ كل تلك الكبائر لم يرتكب

أي منها الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل، فكيف يجوز لعنهم وسبّهم؟!، والرسول لوحتى الإمام علي بن أبي طالب!، وغيرهما من الرعيل الإسلامي الأول، حرّم أو منع السب والشتم واللعن لأي سببٍ كان!.

[٣٠] لعب الفاروق عمر بن الخطاب دورًا رئيسًا وملموسًا في التكوين التأسيسي للأمة العربية، ويمكن القول عنه أنه كان بمثابة الشرط الذاتي المكمّل للتطورات الموضوعية، فقد "أعطى الإسلام العرب عقيدة وكون لديهم شعورًا برسالة. فقد أحل وحدة العبادة محل التعدد والبعثرة، ورفض العصبية القبلية المفرقة وأحل رباط العقيد محلها، ونبذ الأعراف القبلية، وهيأ قيمًا ومثلاً جديدة ووجهة مشتركة في الحياة وأساسًا لتشريع شامل. وأبطل الغزو وفرض الجهاد في سبيل العقيدة وحفظ الأمة. وجاء بفكرة "الأمة" التي تستند إلى العقيدة، وكان من أسسها المساواة والتفاضل بالعمل وحرمة الفرد والتأكيد على الشورى في الأمور العامة. وجاء التنزيل بلسان عربي مبين، فثبت العربية وأكسبها منزلة خاصة، وجعلها أساس العروبة حين جعل النسبة إليها، {القرآن الكريم، سورة الزخرف: الآية ٣؛ سورة الشورى: الآية ٧؛ وسورة الرعد: الآية ٣٧. هذا مقابل الفكرة القبلية التي تؤكد النسب}، {ص ٣٧}، ولعبت مؤسسة الخلافة التي هي نتاج عربي بإمتياز، الدور المركزي في شد اللحمة العربية، فهي ذات "صلة وثيقة بنشأة المجتمع العربي الإسلامي والتطورات التي مر بها، وقامت بالإسلام دولة موحدة للأمة (وهي في صلبها عربية)، {ص٤٦}، وجرى إنشاء الديوان علي يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في العام ٢٠ هجرية "ليكون سجلاً بأسماء المقاتلة وأنسابهم وأعطياتهم، وكان الديوان مفتوحًا للعرب جميعًا متى إلتحقوا بالمقاتلة في المراكز التي خصصت لهم"، {ص ٤٧}، كما لعب الخليفة الثاني دورًا ملموسًا في نشر اللغة العربية من خلال "القرّاء الأوائل في الأمصار من الصحابة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب إليها لتعليم الناس القرآن والسنّة، مثل إبن مسعود (الكوفة) وأبي الدرداء (الشام) وأبي موسى الأشعري

(البصرة)، وتكونت حولهم حلقات من القرّاء، وكان القرّاء يمثلون روح الحركة الإسلامية ويدافعون عن المباديء الإسلامية وعن العدالة، وشاركوا في الحياة العامة وفي الأحداث في صدر الإسلام، وتشعر فعالياتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافة وبين الحياة العامة"، {ص ٨٥}، و"شغل العرب في هذه الفترة بوضع أسس ثقافية عربية إسلامية، وإنطلقوا من روح الدعوة الجديدة من أصولهم الثقافية، فظهرت، [...]، الدراسات العالية في اللغة والأخبار والأنساب إضافة إلى الشعر"، {ص ٨٤}، ومجموع هذه التطورات قد أفرزت معيارًا موحدًا للأمة أساسه العروبة.

راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري في الكتاب المعنون التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت / لبنان، كانون الأول / ديسمبر، ١٩٨٦، وأرقام الصفحات المستشهد بها وردت في سياق النصوص.

من هنا، كما هو في إعتقادنا، كان منبع الكره الفارسي للخليفة الراشدي الثاني، بالإضافة إلى فتح بلاد فارس في عهده الميمون، والقضاء على المُلك الساساني الكسروي الزرادشتي، إذ أنَّ الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قد كتب في أحد رسائله إلى معاوية بن أبي سفيان التالي: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا للغائب أنْ يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن إجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان لله رضى"، الأمر الذي يعني الموافقة المطلقة للخليفة الراشدي الرابع على تلك البيعة للخلفاء الثلاثة الأوائل، كما لحظ ذلك السيد محمد الهاشمي مدير قناة المستقلة في أحد برامجه الحوارية حول التاريخ الإسلامي، راجع كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٢.

[٣١] الخلافة مفهوم عربي إسلامي يتوافق مع الرسالة، بله إحدى

إفرازاته التاريخية، إذ كان المعنى الذي إنطوت عليها عملية إختيار الخليفة الأول: أبو بكر الصديق في بيعة السقيفة التوافق مع الروح المجتمعية والإتفاق مع "التقاليد القبلية" والدور الذي لعبه كونه "يتمتع بأكبر نفوذ والذي يُحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته"، {ص٢٠}، وشكلت عملية إختيار مجموع المهاجرين والأنصار "إنتصار نظام الإنتخاب الحر في إختيار الخليفة على نظام الوراثة حتى بشكله العام، فصار نظام الإنتخاب إحدى القواعد المهمة في نظريات الخلافة"، {ص ٢٠}، خصوصًا وأن الخليفة الجديد قد إلتزم بتعاليم الرسول، والمعايير الموضوعية التي أرساها الدين الإسلامي، الذي وصفت الإنسان كونه تقيًا، لقد "وليت عليكم ولست بخيركم فإنْ أحسنت فأعينوني. وإنْ أسأت فقوموني. الصدق أمانة والكذب خيانة. والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إنْ شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إنْ شاء الله. لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله. فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل... إلخ"، {ص ٢١}، ولعب مكانة "المدينة" دورًا مركزيًا في مفهوم الخلافة، "فيما يخص عدد الناخبين ومحلهم. وقد دعيت بيعة السقيفة، "البيعة الخاصة" والبيعة في المسجد "البيعة العامة" فصار وجود البيعتين من تقاليد الخلافة فيما بعد"، {ص ٢١ من الكتاب الذي سيجري الإشارة إليه تاليًا }.

راجع كتاب الدكتور عبد العزيز الدوري المعنون النظم الإسلامية: الخلافة، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية، الطبعة الجديدة والمنقحة التي أصدرها بيت الحكمة - جامعة بغداد، ١٩٨٨، والكتاب هذا طبع للمرة الأولى عام ١٩٥٠. والخلافة بذلك تختلف جذريًا وكليًا مع التقاليد الساسانية الكسروية التي حاربها الإسلام وقضي عليها، والتي تتوافق في الزمن الراهن مع "الرأي المطلق" لمفهوم مرجعية خامنئي رغم عدم أعلميتية الفقهية التي تضعها المدرسة الإمامية شرطًا ضروريًا لصيرورة المرجع الإسلامي الأعلى لكل الشيعة في العالم، مثلاً.

[٣٢] حـول الإنتفاضـة: لولأول مـرة نـرى عجبًـا وفـق المعـايير الدينيـة الإسلامية، يمارس مَنْ يزعمون أنهم أتباع آل البيت، البكاء واللطم على شهيد راحل إلى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين، وفوق ذلك، الندب على الشهيد الذي هو حي عند ربه يُرزق، وفقًا لأحد الآيات القرآن الكريمة. ولكن ما ينبغي متابعته هو تشكل السلطة في الوضع الإسلامي العربي، التي تمثلت بالخلافة، وموقف جميع الأفرقاء المسلمين منها، كان الإجماع بشأنها كاملاً، حيث إتفقت غالبية المسلمين - إنْ لم يكن كلهم - على الإلتزام بحيثياتها، وعَدَّ بعضُهم الخروج عنها من قبيل الخروج على الدين، كون طاعة أولي الأمر طاعة واجبة والحساب على الأعمال الصالحة أو الطالحة متروك لله وحده، وكل المدارس ترى في "الأيديولوجية الإسلامية" المنهل الذي تغترف منه الشواهد التبريرية لمسارها وممارساتها.

ولكن الواقع الملموس وعلى المستوى العام، إستمر في تعميق مجراه على أرضية فكرة الخلافة الأموية، أو المفهوم الحضاري العربي الإسلامي الخاص: أي الخلافة التي كانت عنوانً لمسار تاريخي طويل إستغرق مئات السنين، وأمام إحتدام مفردات الصراع ما بين الأجنبي غير المسلم والعربي المسلم، مثلما نراه ماثلاً في عراق اليوم وهو مناط الكتابة، فإنَّ الإمام الحسين الذي أعلن ثورته، إقترح على محاصريه بالذهاب إلى "الثغور" لمحاربة الروم البيزنطيين؟. فهل يكون الجهاد الإسلامي الذي هو عماد الدولة الإسلامية، كفريضة إسلامية ضد مَن هُم من غير المسلمين، له الأولوية على جهاد الحاكم المغتصب أو الظالم؟، أولاً، ولماذا لم يستنجد الإمام الحسين بالقوة الرومية الأعظم لنصرته على أعدائه من أمويين أو غيرهم: أعدائه من مغتصبي الخلافة على وجه التحديد؟!، وهي القوة الرئيسة في ذلك العصر، كما هي القوة الأمريكية في هذه المرحلة الراهنة وهي قوة غير عربية وغير مسلمة - التي رحل إلى العاصمة الأمريكية: واشنطن ممثلو كل الأحزاب الطائفية وقياداتها المتنفذة أو المخولة وعلى رأسها حزب عبدالعزيز حكيمي - نتساءل لماذا لم يرحل الثائر ضد الحاكم

اليزيدي الظالم (الفاسق والكافر من وجهة نظر البعض)؟ إلى القوة الرومية البيزنطية الأعظم، ثانيًا، أو الرحيل إلى عاصمتها في أحسن الأحوال بغية ضمان الأمن الشخصي على الأقل؟ لا مناصرته من خلال تبوء المراكز السلطوية التي يتحكم بها المحافظون الجدد، أساسًا، الأعداء المحتلون وهم صهاينة صليبيون بإمتياز، ثالثًا، ولماذا يتلقى الساسة العملاء على تنوع إلتزاماتهم المذهبية والسياسية والإثنية أوامرهم السياسية من أهل البيت الأبيض الأمريكي؟ ويمعنون في تمزيق الوحدة الوطنية لصالح الأمريكيين أساسًا - وعوا ذلك أم كانوا غير واعين - عبر الإستمرار بقتل المواطنين العراقيين المقاومين والرافضين للسلطة ومن أبناء غير الرؤية الصفوية الفارسية بإستخدام الوسائل التعذيب المختلفة من قبيل الدريل والرصاص والحرق والخنق؟!، رابعًا.

لذا يمكن القول، وبالتأسيس على ما تقدم من أسئلة وما تنطوي عليه إجاباتها: إنَّ التوسل بالقوة العالمية الصليبية الصهيونية هي من قبيل إنكار قدرة الخالق المطلقة، والإشراك بالخالق عبر "النية والعمل المضمرين" وخصوصًا في مسؤولياته الحسابية في اليوم الآخر، ناهيك عن مخالفتها الجوهرية لمسار الرؤية الإسلامية على صعيد كل التطورات التاريخية. تلخيص مكثف، من دراسة مطولة لي كتبتها حول الإنتفاضة الحسينية ومعنونة: كيف ينبغي فهم الظاهرة الحسينية، منشورة في العديد من المواقع الإلكترونية.

[٣٣] من كتاب تدمير العراق

[٣٤] راجع كتاب الدكتور علي الوردي، المعنون لمحات إجتماعية من تاريخ العراق، الجزء السادس من عام ١٩٢٠ - ١٩٢٤، إصدار سنة ١٩٧٦، الطبعة الأولى، النسخة المصورة في إيران، لنجد في الصفحات ٢٦١ - ٢٦٤ نص رسالة أبو الحسن الأصفهاني كنموذج لمفاهيم وأفكار "أولئك المجتهدين" موجهة للملك فيصل الأول، ملك العراق، من قبل كل من أبو الحسن الأصفهاني والمرزا حسين النائيني، والسيد عبد الحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي، التي تضمنت "التعهد

المطلوب منهم" بالتخلي عن مسؤولياتهم الأدبية في محاربة الإستعمار البريطاني ومناوئة عملائه باللسان كما حث الرسول الكريم على ذلك في العديد من مواقفه وأقواله، وفيها يؤكد الأصفهاني: "كنا أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسية والإعتزال عن كلما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم"... إلخ. أما شيوع مفهوم علماء الحفيز في المجتمع العراقي، وهو المفهوم الذي يتضمن معاني التعاون مع دائرة السرفيس البريطانية في بغداد، فقد كانت مثار السخرية الشعبية عند عموم العراقيين، كونهم "عملاء للحكومة أو جواسيس لها" كما ورد في كتاب الدكتور الوردي، وذلك طوال العقود التي تلت ثورة العشرين العراقية الباسلة، وبصدد ذلك المفهوم يرجى مراجعة كتاب الوردي المشار إليه أعلاه، الجزء الخامس، القسم الأول، إصدار دار كوفان للنشر، لندن، ١٩٩٢، ص ٣٧، ٣٨، وعلى التوالي.

[٣٥] راجع المصدر السابق، ص ٢٥١. والبهائية التي ورد الإشارة إليها في النص هي حركة باطنية أرادت محاربة الدين العربي الإسلامي، وحركات التحرر، لذا إحتضنتها "أجهزة الدعاية الإستعمارية الغربية، ودوائر التبشير العالمي" وكالت لها من الدعايات التي صورتها "حركة تقدمية تحررية جاءت لإنقاذ المسلمين من الإسلام المتعصب في نظرهم"، [ص ١٠٢]، بسبب نسخها الجهاد ضد الأجنبي وعملها في إطار مهادنة المستعمرين الغزاة المحتلين، ويرى الكاتب الذي أنشأ كتابًا عن "حقيقة البابية والبهائية" أنّ مؤسسيها لم يكونوا سوى "علوجًا من علوج المجوسية التي كانت تقف وراء الفرق الهدامة التي تآمرت على الأمة من خراسان"، [ص ٥٩]، وذلك كان كافٍ "لدفع كثير من الإيرانيين إلى الإيمان بأي شخص يدعي النبوة شريطة أنْ يكون فارسيًا"، [نفس الصفحة السابقة].

راجع ذلك الكتاب الذي ألفه الدكتور محسن عبد الحميد: كلية الشريعة - جامعة بغداد، والصادر عن "منشورات المكتب الإسلامي"، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هجرية - ١٩٦٩ ميلادية، دون ذكر لمكان

الصدور وإنْ كنا نعتقد أنَّ ذلك المكان هو العراق.

والمؤلف هو أمين عام الحزب الإسلامي الذي شغل موقع عضو مجلس الرئاسة في الصيغة التي أوجدها المحتلون الأمريكيون للوطن العراقي وحطموا دولته وإستباحوا شعبه إستجابة لرؤية صهيوني إمبريالية بالأساس الذي نفذ مخططها السياسي بول بريمر، الأمر الذي يوضح مدى ضحالة المؤلف في مواقفه السياسية التي أدان ذات المواقف المرتبطة بالممارسات البهائية. في أية حال لنا وقفة مطولة مع هذا الكتاب من أجل فضح هذا المؤلف وحزبه سياسيًا بناء على معايير قالوا بها سابقًا، وذلك في القريب العاجل.

[٣٦] راجع كتاب السيد ناجي شوكت: رئيس الوزراء سابقًا، المعنون سيرة وذكريات ثمانين عامًا ١٨٩٤ - ١٩٧٤، الطبعة الثانية والموسعة، مطبعة دار الكتب بيروت / لبنان، ١٣٩٥ هجرية - ١٩٧٥ ميلادية، ص ١٢٧. مجرد إتهام زائف وعالي اللعلعة وغير موضوعي، أدى إلى شعوره بعظم مصيبة الإتهام، ودفعته غيرته الوطنية لتقديم حياته أضحية عن ذلك "العار" الذي لم يرتكبه، فماذا نقول الآن عن العملاء الذين إستجلبوا العسكريين الأمريكيين: وهم ذوو نزعة صليبية متصهينة، لتدمير العراق كليًا؟ وماذا نسمي طلبهم المتكرر ببقاء القوات المحتلة تدنس تربة الوطن العراقي المقدسة وتذيق مجتمعه المرارات كلها، بدءًا من الإعتقال إلى القتل وما بينهما من إجراءات غاشمة؟ أتكفي توصيفات العمالة والتجسس الذين يديرون عبرها ترس عجلة الإحتلال الأمريكي للعراق، الذي هم إثنيون وطائفيون؟.

[٣٧] راجع كتاب الدكتور علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٠ - ٢٦١، ومما جاء في تلك الفقرة التالي: "فقد أشارت إحدى الوثائق البريطانية السرية أنَّ رضا خان كان ينصح المجتهدين بالعودة دون أنْ يهتموا بالخالصي وكان يقول لهم أنَّ الخالصي رجل سخيف خالي من التعقل وأنه آلة بيد إبنه الشيخ محمد".

[٣٨] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧ - ١٦١. ويعلق الدكتور شريعتي على السحر الأسود: الكيميائي الخاص بالتخدير الاجتماعي بالتالي: "إستطاعت بتروكيمياء الإستحمار الصفوي أنْ تنتج معجونًا غريب الأطوار مركبًا من العناصر الثلاثة - التصوف الإسلامي والقومية الإيرانية - وفي تقديري أن القومية الفارسية هي التسمية الأصح - والسلطنة الصفوية وإجتمعت بها الأضداد والنقائض، ورغم إستحالة ذلك عقليًا، فلقد تحقق عمليًا وجرى الإختبار بنجاح في مجتمعنا الديني على مدى ثلاثة قرون حتى إعتاد الناس عليه!"، ص ١٦٨، من المصدر السابق.

[٣٩] تقول عنه الروايات المتوارثة والتي يحرص الفرس الصفويون على تردادها دائمًا... تقول التالي: هو "بطل أسطوري فارسي، من أشهر أبطال "الشاهنامة" للفردوسي. إبن زال وأبو سهراب. فارس مغامر. تغنى الفردوسي ببطولته ومغامراته، وزيّن الفنانون الفرس مخطوطاتهم بمشاهد أخباره"، كما ورد في المنجد في اللغة والأعلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣. و"الشاهنامة هي ملحمة الفردوسي المؤلفة من ٦٠،٠٠٠ بيت في أخبار ملوك الفرس وأساطيرهم، أشهر أبطالها رستم، عمل على ترويجها السلطان محمود الغزنوي"، المصدر السابق، ص ٣٢٩، اليوم يحرص الصفيون الفرس المهيمنون على السلطة في إيران على ترويج الخرافات ومختلف الأساطير عنه، ويجهدون على إطلاع كافة الوفود العسكرية على متحفه في إيران، بغية الحديث المتافخ عن العسكرية الفارسية، وهي العسكرية التي لقنها جيشنا العراقي دروسًا في معاني البطولة والرجولة، ومرغ رؤوس قادتها العسكريين في وحول الهزائم العسكرية، وجرّع رمزهم الأكبر السم الزعاف قبل أنْ يجبره على الموافقة على وقف إطلاق النار في الحرب بين العراق وإيران في ٨ / ٨ / ١٩٨٨، التي شهدها العقد الثمانيني من القرن المنصرم.

في أية حال، أنَّ معارك الفتح في الشرق كانت تسير جنبًا إلى

جنب، أو على التوالي معها، لمعارك الفتح في الغرب. وإذا إختزلنا السنوات والأعوام التي إستغرقها الفتح المشار إليه، وتم النظر المتفحص للتطورات التي أعقبت الفتح، وفق نظرة كلية تلتقط الجوهري والمركزي في الرؤية العالمية، فإنَّ ما يمكن تكثيفه هو التالي، وإعتماداً على الخلاصة الفكرية والسياسية التي سجلها المؤرخ الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه عن سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، بعد عرضٍ مفصل للوقائع التاريخية التي شهدت معالم الصراع وفصول الحرب بين العرب المسلمين، من ناحية، والفرس المجوس الكسرويين، من ناحية أخرى:

١" - سيادة السلام من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي وإنتهاء الحرب العالمية الدائمة التي شملت المنطقة قروناً بين الفرس والروم، فإطمأن الناس من كافة الأجناس والأديان إلى دمائهم.

٢ - إلغاء كافة أنواع الضرائب والإكتفاء بالجزية والخراج وتحديد قيمتها تحديداً ثابتا، فإطمأن الناس إقتصادياً وعمهم رخاء لم ينعموا به من قبل.

٣ - إلغاء إمتيازات الطبقات وإعلان حقوق الإنسان وتحقيق المساواة بين الناس لأول مرة في التاريخ، فتمتعت هذه الشعوب بحريتها الإجتماعية.

٤ - كفالة الحرية الدينية لكافة الناس في الديار المفتوحة، فإطمأن الناس على أديانهم وعقائدهم، لا يجبرهم أحد على عقيدة معينة، لأنَّ عقيدة الفاتحين كانت (لا لإكراه في الدين).

٥ - ظهور الإسلام كدولة لها مكانتها وقوتها وسطوتها في العالم، ولها تشريعها وقوانينها، ولها قِيَمُها ومُثُلها، ولها حضارتها وعلومها ومعارفها التي سادت في العالم، فأدَّت دورها الذي لا ينكر في تاريخ الحضارة وإزدهار العلم والمعرفة"، راجع كتابه المعنون سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، إصدار دار النفائس، بيوت / لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية - ١٩٨٧ ميلادية، ص ٣٠٨.

ومما يجدر ذكره، أنَّ التاريخ الحي والواقعي التي شهدته المنطقة

التي تحاربت بها الأطراف المتقاتلة، لم يكن كله على تلك الصورة الوردية والمثالية تلك التي ذكرها الكاتب، فقوانين الحروب وردود الفعل والأفعال خرجت عن نطاق التعاليم المثالية للدين الإسلامي الحنيف، وكان للحكام الذين أداروا بعض تلك الحروب والأوضاع السياسية وطابع العصر في مجمل صراعاته، الأدوار الملموسة في إفراز بعض النتائج السلبية التي ترافقت وتلك السنوات الطويلة من ذلك الزمان التي كان فيها الصراع المسلح هو المظهر الأبرز.

[٤٠] يقول الله العزيز الكريم في كتابه العظيم "إنما يعمر مساجد الله مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أنْ يكونوا من المهتدين"، {سورة التوبة، الآية رقم ١٨}. وللإطلاع على دور المساجد، وأهميتها المركزية، في إشادة المفاهيم الحضارية العربية الإسلامية، يرجى مراجعة كتاب حضارة العراق، الجزء التاسع، تأليف نخبة من الأساتذة العراقيين، مبحث الدكتور عيسى سلمان الحمد، المعنون العمّارات الدينية: المساجد والمساجد الجامعة، ص ٤٥ - ١٣٢، إصدار دار الحرية للطباعة - بغداد، الطبعة الأولى - ١٩٨٥. إذ يلقي الدكتور الحمد الضوء على دور المساجد في قيام الحضارة العربية الإسلامية، وذلك على الصفحات الثلاث الأولْ، فقد كانت تلك المساجد "المركز الرئيس لنشوء المدن الإسلامية، وتعلن فيه سياسة الدولة وتوجيه المؤمنين وتبصيرهم بواقع الأمر، ومنها تصدر أخطر وأهم القرارات السياسية، وتنصيب الخليفة أو ولي العهد وإعلان قرار الحرب أو قبول الصلح، ومنه تنطلق الجيوش لحماية إستقرار البلد، وفيها كانت تتم التوعية والتثقيف، وتنمو فيه حلقات التدريس للدين الإسلامي والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية"، ويؤكد الباحث الحمد: "خلاصة القول أنَّ وظائف المسجد والمسجد الجامع كانت دينية وتعليمية وسياسية وإجتماعية وإقتصادية بذل المسلمون الكثير في تعميرها وصيانتها وتحليتها بما يتناسب ومكانتها في حياة الأمة".

[٤١] راجع كتاب الدكتور الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

[٤٢] وحول ذلك العيد القومي الفارسي يورد كتاب مفاتيح الجنان التالي: "وأما عيد النيروز فهي ما علمها الصادق [ع] إلى معلى بن خنيس، قال: إذا كان يوم النيروز، فإغتسل وإلبس أنظف ثيابك، وتطيب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائمًا"، ص ٣٥٤، وما يترتب على ذلك من تعطيل لفروض الدينية وتقديس الأوهام.

[٤٣] راجع ذلك في مقدمة كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

[٤٤] نقول الذي يسمي نفسه بأحمد الموسوي أو أحمد الكاتب، ويقدّم نفسه على أنه هو ذاك، في وقتٍ أنَّ إسمه الحقيقي هو عبد الزهرة اللاري، الأمر الذي يعني أنه ما زال يخفي هويته الحقيقية، رغم أنَّ أسباب - إذا ما كانت صحيحة فعلاً - تخفيه قد أزيلت من التأثير على حياة الأفراد، مما يثير الكثير من علامات الشك على الأسباب الحقيقية عن ذلك "النفاق" السياسي.

إذ هو من ولادة كربلاء، لعائلة إيرانية، وهو فارسي الهوى، وكان من أنصار الأخوين محمد الشيرازي الذي توفي في طهران، وحسن الشيرازي الذي قتل في بيروت، ولم ينكر اللاري دوره الإعلامي التخريبي الذي كان من بين العوامل التي أدت إلى الحرب العراقية الإيرانية - العراقية، من خلال تبوئه مركزًا "إعلاميًا" ودعائيًا في الإذاعة الرسمية الإيرانية في مرحلة صعود الثورة الإيرانية التي كان رمزها المجتهد الأكبر روح الله الخميني، وفاخر الجميع حول دوره في إدارة البرامج الدعائية الفارسية ضد العراق، وذلك من خلال حوار مطول أجراه السيد عزمي التميمي عرض في فضائية "الحوار" التي تحاول تقديم صورة مثالية عن الأحزاب المتأسلمة أو الرؤية الدينية السياسية الإسلامية.

[٤٥] لقد سلط المؤرخ الإيراني والباحث الإيراني الطهراني ناصر بور بوربيرار الأضواء على فرية العمق الحضاري والتراثي للمفهوم "القومي الفارسي"، من خلال البحوث المقرونة بالشواهد التاريخية والآثار الباقية، التي برهنت على أنَّ مجموع المنجز الفارسي، وهو الأغلب،

في حقيقته التاريخية وبعدها التاريخي، هو مجرد عملية سطو متقنة أو غير متقنة على التراث العربي الإسلامي من أجل تلفيق تاريخ يحتوي "حضارة" و"فكر" وبُعد "تاريخي" من خلال خلائط أسطورية وخرافية، وذلك بالاعتماد على موروث تأسس على "ملحمة الشاهنامة "التي تم إنشادها في القرن الرابع الهجري"، كما يقول المؤرخ المذكور أعلاه. والذي يؤكد كذلك، وبالاستناد إلى الأدلة "المادية والموضوعية والتاريخية التي يمكن الرجوع إليها" بأنّه لا يوجد أي معلم من معالم التطور الحضاري في إيران، والذي يرتكز على النقوش والوثائق والآثار الباقية تسبق النهضة التي أعقبت قيام الدين العربي الإسلامي.

وعليه - كما يضيف ذلك المؤرخ - فـ"التاريخ الإيراني يستند إلى بحوث قام بها اليهود وأنهم بذلوا جهداً لإعلاء شأن الإخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة ما بين النهرين، فاليهود يسعون أنْ يقدموا الإخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو شيء يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الإخمينيون، فخذ على سبيل المثال علماء وآثار والمؤرخون اليهود كـ"غيريشمن" و"داريشتيد" و"أشكولر" كما أنَّ ٩٠ في المائة من مؤرخي التاريخ الإيراني هم من اليهود، أي أنَّ اليهود قاموا بتهويل تاريخ الإخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المائة سنة ماضية أنْ يصوروا قورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التوراة حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك.

وقد ذكرت في الجزء الثاني من كتابي - فجر الإسلام - "أنَّ أحداً في إيران حتى قبل ١٠٠ عام لم يعرف قورش أي أنَّ أبرز المثقفين في هذه البلاد لم يعرفوه قبل هذه الفترة". ولللإطلاع المفصل على تلك الحقائق التاريخية بشكل مكثف وملخص يمكن مراجعة مجلة "الزمان الجديد" التي تصدر في لندن: العاصمة البريطانية، الموضوع الذي نجم عن مقابلة السيد يوسف عزيزي للباحث الإيراني ناصر بوربيرار والمنشور على الصفحات المحصورة بين ٢٢ - ٢٧، العدد ٢٤، ديسمبر ٢٠٠١، والصادرة عن شركة الزمان للصحافة والنشر المسجلة

في المملكة المتحدة].

وحبذا لو قام أحد المتابعين المخلصين للأمة العربية ومفاهيمها القومية العادلة والمؤمنين بالحضارة العربية الإسلامية، وممن يمتلكون أسرار اللغتين العربية والفارسية بالترجمة العربية للانتاج الفكري لهذا الكاتب المبدع والمقدام، أو حتى بعضها المهم، وترويج أطروحاته الهامة على كل الصعد، بغية تقديم خدمة لمن لا يزالون يروجون للدعاية الفارسية من دون وجه حق تاريخي ومعرفي، من أجل جلبهم إلى جادة الحق وبالتالي النظر للأمور بغير منظار التوجه الأيديولوجي الفارسي الصفوي.

[٤٦] لا يستطيع الصفويون الفرس تصور الشفافية الحوارية في صدر الإسلام، عند العرب المسلمين كلهم، قبيل تشكل السلطة الأموية، كونهم شطبوا مسبقًا على أي فضيلة للعرب، بما فيها "حلف الفضول" و"ندوة قريش"، ونظام "الإيلاف الإقتصادي"، فلجؤوا إلى بث عاداتهم الساسانية وتقاليدهم الكسروية التي تنطوي على الخوف من الآخر، والتبحر في عالم الدسائس، والتآمر والتدليس والتحدث بوجهين متناقضين، وإنتشار عادة الغدر والقتل بمختلف الأساليب وخصوصًا الخنق، وحصر الملك عند عائلة واحدة أو "فقيه نائب للإمام المعصوم"، من قبيل ما نفثوه من سموم وأفكار وروايات حول مجريات إنتخاب أبو بكر كخليفة راشدي أول، في مؤتمر السقيفة: مؤتمر البيعة الأولى، لذلك فهم يرددون دائمًا ما يعد نموذجه التالي، عن أفكارهم تجاه التطورات التي شهدها المجتمع العربي الإسلامي:

"لقد إنضم الحزب الأموي إلى حزب المنافقين، {هكذا بالمطلق} وأخذا يكيدان معًا لبني هاشم، ويخططان لكسب معركة الخلافة وضمّها إلى صفهم، وإذا أردنا نبحث في سبب ظاهرة من الظواهر ونقف على عللها، علينا أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الطرف المستفيد منها، ومَنْ تعود عوائدها بالنفع عليه. لذلك علينا حينما ندرس إجتماع السقيفة أنْ نأخذ بنظر الإعتبار الفاعلين النشيطين في عهد "الدولة الجديدة" التي

إنبثقت إثر السقيفة، {وليس الدولة العربية الإسلامية، وإنما هي دولة جديدة ناجمة عن السقيفة، كما يقول النص - ملاحظة ينبغي ذكرها في سبق إيراد ذلك النص} ، ونحلل المواقع التي آلوا إليها. وحينئذٍ نجد أنَّ يزيد بن أبي سفيان وخالد [المقصود بن الوليد، كما يبدو] وأبا عبيدة [بن الجراح] وسعد بن أبي وقاص ومعاوية [بن أبي سفيان] وضرار بن الأزور وأمثال هؤلاء ممن إنصرفوا في جيوش فتح العراق والشام، [وتغييب فتح فارس مقصود لذاته بغية عدم التطرق لمعركة القادسية وهزيمة المُلك الإمبراطوري الساساني] كانو من المستفيدين. وكذلك إنتفع من وقائع السقيفة كلٌ من: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ. وكان أغلب هؤلاء من المهاجرين، ومن قريش تحديدًا. {والضربة هنا عامة للقرشيين والمهاجرين الذين طالما ردد الرسول الكريم بالتنويه عن أغلبهم ومدح بعضهم القرآن الكريم وفيهم مَنْ فيهم من أصحابه من رجال بيعة الشجرة الذين نزههم القرآن الكريم وهو كتاب تسري أحكامه على الزمان بكل أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ومسلمي الصدر الأول من المؤمنين حقًا} ، وعليه لا بدَّ أنْ يكون هؤلاء في رأس المخططين لاجتماع السقيفة، خصوصًا مع ما يبدو من أنَّ الأمر كان يصدر عن كيد سابق حبك من قبل، حتى إذا ما آن الأوان، وإنعقد إجتماع السقيفة، ظهر نشاط الجماعة، وهو يخضع لمخطط منظم تسير وفقه الأمور".

"راجع كتاب السيد محمد حسين الطباطبائي، الصادر بإسم الشيعة نص الحوار مع المستشرق كوريان، ترجمة جواد علي كسار، إصدار مؤسسة أم القرى لتحقيق والنشر، الطبعة الثانية، ذي الحجة ١٤١٨ هجرية، بيروت / لبنان، ص ٣٢٢، والنص مقتطع من القسم الرابع المعنون بـ"الهوامش التوضيحية" التي كتبها كلٌ من الشيخ علي أحمد ميانجي والسيد هادي خسرو شاهي، اللذين أوردا تلك الآراء والإستشهادات، ص ٢٥٧".

إذن، فإنَّ أغلب منشئي الخلافة العربية الإسلامية والذين رعوا صيرورتها مظهرًا عامًا في التطورات العالمية العامة، هم منافقون،

كائدون، متآمرون، أصحاب نوايا سيئة، ومخاتلة، وغير ذلك من أوصاف مغالية قيلت بحق صحابة رسول الله ﷺ!!، ناهيك عن أقوال الإمام علي بن أبي طالب التي أنصفتهم، وسلوك الإمام حسن الذي تنازل للخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وهما الإمامان المعصومان، من وجهة نظر أتباع مدرسة الرؤية الإمامية.

أما نصوص القرآن وسنة الرسول وأقوال الأئمة الأطهار التي تحض على الجهاد وتغيير المنكر والظلم والإحتلال، فلا شأن للكاتبين بها ولا أهمية لمحتوياته الواضحة، طالما لا تخدم الرؤية الصفوية الفارسية. عرض مكثف ومقتطع من دراسة طويلة لي معنونة: إنتفاضة الحسين كيف ينبغي فهمها، نُشرت في العديد من المواقع الإلكترونية وعلى سبع حلقات.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الرسول محمد بن عبد الله ﷺ، قد نوه بأفعال هؤلاء الصحابة وأطلق عليهم من الصفات التفخيمية ما يستحق الإفتخار والتقدير، ومن أجل الإطلاع على مواقف الرسول الأعظم ﷺ، من أولئك الصحابة الذي "تآمروا على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب كخليفة راشدي أول" وفقًا لرأي هذين الكاتبين الصفويين وكذلك للعالم الصفوي الفارسي صاحب تفسير الميزان، ومن أجل الإطلاع على بعض هذه الصفات التفخيمية يرجى مراجعة الكتاب الهام للسيد خليل عبد الكريم والمعنون محمد والصحابة: شدو الربابة بأحوال المجتمع والصحابة، السفر الأول، إصدار سينما للنشر - القاهرة، الإنتشار العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨، وخصوصًا الصفحات المعنونة بـ"التلقيب"، والواردة على الصفحات ١١٣ - ١٦٤، الفصل الثالث.

ومن الطريف ذكره في هذا الجو التزويري والمأساوي، ما أورده الشهيد شريعتي لفي كتابه المذكور وعلى الصفحةً [٢٩٥] الحادثة التالية، التي نتركها لحصافة كل متابع من دون أي تعليق، إحترامًا لذائقة القاريء وسلامة إدراكه: "ليس من باب الصدفة إذن، أنْ ينبري أحد دعاة الجهاد من أجل تحرير "فدك" في مدينتنا (سبزوار) فيرفع

دعوى قضائية - مستخدمًا الإستمارة التي توزعها المحاكم الرسمية لأصحاب الشكاوى - وذلك ضد أبي بكر مطالبًا بإسترجاع جميع بساتين "فدك" مع مبالغ أجارتها لمدة ألف وثلاثمائة وثمانين عامًا. والمدعي هو السيد حسن الواعظي السبزواري أحد الورثة القانونيين للمتوفى! وقد قام بتسليم الدعوى إلى محكمة سبزوار، وبالكليشة أدناه:

المدعي:	المدّعى عليه:	موضوع الدعوى:
السيد حسن الواعظي	أبو بكر بن أبي قحافة	مزرعة فدك

[٤٧] راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦، وحول الموضوع يمكن مراجعة الصفحات من ١٧٥ - ١٨٨. بل وصل الأمر بالبعض الذي يطلق عليه شريعتي "بالعالم الجليل السيد الكاظميني اليزدي وفي كتابه المعنون جواهر الولاية في الخلافة والولاية" أنْ يقول بخرافات "فكرية" ودجل تخريفي ليست معقولة أبدًا ومقولاتها التي حاربها الدين الإسلامي ذاته، من قبيل ما ينسبه اليزدي للإمام جعفر الصادق قوله: "أنَّ مالك ورضوان [خادمي النار والجنة] يأتمران بأمر علي [ع]، وهذه المنازل من مكنون العلم فإحفظها"، ص ١٧٧.

[٤٨] المصدر السابق، ص ١٨٨.

[٤٩] راجع المصدر السابق، في قسم التمهيد، ص ٣٨.

[٥٠] لقد عالجتُ جوانب من هذه المسألة الحيوية في فترة زمنية سابقة، ومما جاء فيها:

"الحسين قدوة للعمل وليس للطقوس

تمر في هذه الأيام الذكرى السنوية لثورة الحسين في كربلاء ضد بدعة معاوية بن أبي سفيان بتحويل الخلافة الإسلامية من "أمرهم شورى بينهم" إلى الملك الوراثي العضوض، وتنصيب إبنه يزيد أميرًا على المسلمين، وكان البعض مؤيدًا له بالسيف، ووفقًا للرواية التاريخية، أنَّ إجتماعًا حضره معاوية بنفسه فقام يزيد بن المقفع خطيبًا بالجمع وقال: "هذا أمير المؤمنين - مشيرًا إلى معاوية - ثم قال: وإذا هلك، فهذا

أمير المؤمنين - مشيرًا إلى يزيد - ثم قال: ومَنْ يتخلف عن البيعة فهذا - مشيرًا إلى سيفه - فقال له معاوية: أحسنت؛ أنت سيد الخطباء".

وكان على الجميع طاعة الطغيان، ومن ثم المبايعة له بصحة التولية على كرسي الحكم. كانت سمات الأمير الجديد لا تلاءم مواصفات السلطة وشروطها كما حددتها التقاليد العربية الموروثة، والمعايير الدينية الإسلامية والممارسات العملية الريادية لمسيرة إختيار الخلفاء الراشدين، فوافق البعض تحت صيحات الوعيد، فيما أيد بعض تحت معسول الوعود، أي كان الترهيب والترغيب حاضرين، ولكن البعض العقائدي رفض ذينيك الأسلوبين، وتمسك بالمُثل الفكرية التي أرساها الإسلام، ورأى في المسار التاريخي الموضوعي للرسالة العربية الإسلامية، كما تجسّدت في سيرة الرسول، لص]، والخلفاء الراشدين، غير ما رآه الآخرون، وأعلن الثورة عليه، وكان الحسين بن علي بن أبي طالب أبرزهم: إنْ لم يكن أفضلهم على الإطلاق، فهو المجاهد في "شمال أفريقيا" وفي "طبرستان" وضد "الروم" أيضًا، فضلاً عن صفاته الإيمانية العادلة وعمله المستقيم ونسبه القريش الهاشمي، وكونه - فضلاً عن كل ذلك - إبن بنت مؤسس الدولة العربية الإسلامية ورائدها على شتى الصعد: لاسيما الصادق الأمين على رسالتها الدينية، كما إختاره العلي القدير.

ذهب الحسين إلى العراق، وأعلن عدم إنصياعه للحاكم المسلم الجائر غير الحائز على شروط الخلافة وفق المعايير الإسلامية الحقة، ولكن جيش يزيد أراد إرغامه على المبايعة، وكان للسيف - في النهاية - الحكم، وأستشهد الحسين بن علي بن أبي طالب، بالدفاع عن حق الأمة في إختيار حكامها. وفي هذا الموقف البطولي الباسل أصبح الحسين رمزًا لنهج ثوري صريح وقدوة ماثلة على الدوام، ورمزًا حاضرًا في كل التاريخ الإنساني بالنسبة لمن يعرفون وقائعة العربية الإسلامية، يستحث الباحثين عن العدل والقيم الدينية الإسلامية الحقيقية، ولكنه أصبح كذلك وفوق ذلك، المثال الأبرز عند مَنْ يعتقدون بمعصوميته الجامعة، إنَّ هذا الإيمان يفرض على كل المؤمنين

به إنتهاج طريق الإمام الحسين من خلال الثورة على الظالمين، ناهيك عن المحتلين ومناوئي الدين الإسلامي وقيمه الإنسانية.

إنَّ تحويل أمثولة الحسين التاريخية وموقفه التاريخي المبادر، إلى مجرد طقوس وعادات لا تمت بصلة للدين الإسلامي وأفكاره الحقيقية ومضامينه الإنسانية، لا تعد تجاوزًا على الدروس الحقيقية الفعلية للثورة فقط، وإنما هي إساءة لمفهومها العملي أيضًا.

وإذا شئنا تطبيق المثال التاريخي الذي أرسى دلائله الحسين على الواقع الراهن فماذا يمكننا الإستخلاص؟.

العراق في الحاضر الراهن يتعرض للاحتلال العسكري الأمريكي الملموس ماديًا، والفكر الذي يوجه هذا الإحتلال هو الأطروحات السياسية والفكرية للمحافظين الجدد، ومن المعلوم أنها أطروحات فكرية صليبية صهيونية معتدية، وموقفها مناويء للدين الإسلامي على طول الخط، فهي تعتبر الدين الإسلامي دينًا شيطانيًا، والرسول العربي الكريم هو الإرهابي العالمي الأول، ولهم إعتراضات جوهرية على القرآن الخالد، الذي ربع آياته مخصصة لمناقشة دعاوى اليهود الباطلة ضد الدين الإسلامي الجديد. ومع ذلك لم ينتهج الموالون المزعومين الحسين بن علي بن أبي طالب، طريقه رغم أنه كان يثور على حاكم مسلم جائر: ربما كان إيمانهم بالقول وليس العمل... باللسان وليس المقرون بعمل اليد، فهل مقياس القول أهم من معيار العمل؟. فتوقف فريضة الجهاد ضد الغزاة لديار الإسلام وتعطيلها عمليًا، بذريعة المثل الشائع المذموم المستسلم: {الذي يأخذ أمي أسميه عمي} كما هو حال موقف ما يسمى بأعضاء المجلس الحاكم / المحكوم - مثلاً -[٦]. {راجع جريدة "نداء المقاومة" التي كان يصدرها التحالف الوطني العراقي، قبيل أنْ يؤسس موقعه على الإنترنيت والمعنون:www.iraqipa.net ، وذلك في العدد ١٧ من تلك الجريدة التي نشرت مقالتي تلك، والصادر بتاريخ ١ / ٣ / ٢٠٠٤.

وعليه فإنَّ إرادة أفراد المقاومة الوطنية العراقية وتجسدات فعلهم

الوطني الشجاع في مواجهة العملاء الطغاة والغزاة المحتلين في الواقع العراقي الملموس: سواء أكانوا شهدا أو أحياء، هم أولئك الأبطال... وهم ممثلو النهج الحسيني في مواجهة الغزاة، هم الذين صنعوا ذواتهم المتصدية من ذلك العزم الحسيني، وقدُّوا إرادتهم من ذلك التصميم الذي جسده كل الذين واجهوا الظلم على مدى التاريخ البشري، النموذج الحسيني المعاصر.

[٥١] يرتبط ذلك المفهوم بالتقاليد الساسانية: "كان للدولة الساسانية صفتان رئيسيتان الأولى وجود دين رسمي لها تعززه مرتبط بالسياسة ومتعاون معها. والثاني التمركز القوي في الإدارة. وكانت السلطة التنفيذية العليا بيد الملك وكان حكمه مطلقًا لا يجوز رده أو نقده بحال من الأحوال، وقد أضفت عليه الديانة الزردشتية صفة قدسية. فكان مبدأ تقديس الملوك راسخًا في فارس. ويظهر سلطان الملك ونظرة الرعية إليه من قول رئيس الموابذة: "إذا أراد الله بأمته خيرًا إختار لها أحسن عباده"، فالرعية تطيع والحساب على الله. وكان الملك يحيط نفسه بمظاهر الأبهة والجبروت، ويعيش بمعزل عن الرعية. ولم يكن يصلح للعرش إلا أفراد العائلة المالكة. لأنَّ الله فضلها على العالمين. فعندما أراد الفرس إختيار ملك بعد يزدجرد الأول، وتنحية إبنه بهرام جور، إحتج هذا قائلاً "إنَّ هذا فساد في صلب المملكة أنْ تولوا رجلاً ليس من أهلها". وكانت السلطة القضائية العليا بيد الملك وكان هو المرجع الأعلى للمتظلمين وقد إعتاد الساسانيون الأول أنْ يأذنوا للناس إذنًا عامًا مرتين في السنة. في النوروز وفي المهرجان إسماع شكاواهم. وكان يجلس مع الملك في هذه المناسبات رئيس الدين الأعلى. من جهة ثانية، كان للملك حق الحكم بالحياة والموت على الرعية. إذ كانوا بمثابة عبيد له فكان بجنب عرشه الجلاد لينفذ أوامره في الحال. وكان يعاونه الوزير وهو المشاور الأول له في كل شؤون الدولة. ولكنه تحت إشراف الملك وكانوا يرون أنَّ من حزم الملك، الا يكون وزيره متنفذًا وأنْ يكون من صنائعه".

راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية...، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ - ١٨، ومما هو جدير بالذكر أنَّ الكتاب قد طبع للمرة الأولى في عام ١٩٥٠.

لو أمعنا النظر فيما تقدم وأجلنا التفكير العميق بتلك التقاليد، ألا نرى "سلطة الخامنئي" الراهنة والمستمدة إلى نيابته عن الإمام المعصوم هي متوارثة عن ما تقدم من رصد عند التراث الفارسي لما تقدم؟!.

[٥٢] الشيخ علي الكركي ينتسب إلى قرية "كرك نوح" من قرى بعلبك / لبنان، أصبح الساعد الأيمن للشاه الفارسي الصفوي طهماسب، ومنحه سلطات مذهبية بإعتباره "نائب للإمام الغائب صاحب الزمان"، وعلى الجميع العائش في فارس الإمتثال له، إذ أنَّ "معزوله لا يستخدم ومنصوبه لا يعزل" وفق "فرمان الشاه طماسب"، [ص ٦٠]، فيما كان الكركي "لا يركب إلاّ ويمشي رجل في ركابه يجاهر بشعار التشيع"، ص [٦١]. فقد كان دأبه "إعلاء المذهب الجعفري وترويج دين الحق الإثنا عشري، حسب قول أحد المؤرخين الإيرانيين، [ص ٦٠ - ٦١]، وكان من بين رسائله "المقدسة!!" الدعوة إلى لعن الصحابة رضوان الله عليهم تحت عنوان "نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت"، وتجويز السجود على التربة الكربلائية كونها المدينة التي تضم رفات الحسين، وشهدت الحركة الصفوية خطوة أكثر تأثيرًا من خلال الشاه عباس الذي أمر "بتعمير مرقد الإمام الرضا في طوس وطلاء قبته بالذهب"، من أجل تحقيق هدفه، وفقًا لإستخلاص أحد المؤرخين المصريين، بـ "صرف قومه عن زيارة مكة لكراهيتهم للعرب ولكي يوفر على قومه ما كانوا ينفقون من أموال طائلة في بلاد يكرهونها"، [ص ٦٨]، ودنس في عام ١٦٢٣ مدينة بغداد و"هدم مرقدي أبي حنيفة والشيخ عبد القادر"، [ص ٧٠]، ومنذ ذلك الزمن يرى البعض الصفوي الفارسي في ملوك إيران أو "المرجع الإيراني الأكبر" بإعتباره "قديسًا دأبه العمران والعدل وطلب الحق"، [٧١]، وذلك في تماهٍ تام مع الرؤية الصفوية الفارسية التي إبتدعها الشيخ على الكركي + طهماسب وعباس: شاها إيران.

راجع كتاب الدكتور علي الوردي المعنون لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول الذي يتحدث فيه حول الظروف التاريخية الإجتماعية التي سادت في العراق أو التي شهدها العراق خلال الفترة الزمنية "بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر"، الطبعة المصورة الصادرة عن "إنتشارت المكتبة الحيدرية". مطبعة أمير في مدينة قم الإيرانية، تاريخ الطبع ١٣٧٥ هجري شمسي، ١٤١٧ هجري قمري، الطبعة الأولى، والصفحات المستشهد بها أرقامها مذكورة في جوار تلك النصوص.

[٥٣] محمد باقر المجلسي من "العلماء المجتهدين" الفرس، في مراحل الدولة الصفوية الأخيرة، كان يحتل منصب "شيخ الإسلام" و"الملا باشي: رئيس العلماء" في زمن الشاهين سليمان وحسين: آخر السلاطين الصفويين، كان "شديد التعصب لعقيدته ولا يتسامح مع أية عقيدة مخالفة مهما كانت، وقد أغرى الدولة بإضطهاد جميع المخالفين الذين كانوا موجودين داخل الحدود" الفارسية، لص ٧٦]. له موسوعة "بحار الأنوار" المؤلفة من ٢٥ مجلدًا ضخمًا في أجزاء تتجاوز ١١٠ جزءًا، تضم بين دفتيها "معظم أحاديث الشيعة وأخبارهم وعلومهم {... وفيه كذلك} كل القصص والأساطير فوضعها في متناول كل مَن يريد الإغتراف منها، وجاء بعد ذلك قرّاء التعزية وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منها ما يروق لهم، وبذا ملئوا أذهان العامة بالغلو والخرافة وجعلوهم يحلقون في عالم من الأوهام لا صلة له بعالم الواقع الذي يعيشون فيه"، لص ٧٧]، و"كان هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي طبعت فيها على نطاق واسع، وقد وردت إلى العراق منه نسخ كثيرة مما أدى إلى إنتشار معلوماته "الفئة" في أوساط الشعب العراقي على منوال ما حدث في إيران"، لص ٧٨]. أي تحولت معلوماته الخرافية إلى "نظرية فكرية" أيديولوجية عند الزمر الصفوية الفارسية في مختلف مواقعها الجغرافية.

راجع كتاب الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، الصفحات المذكورة إلى جانب النصوص المذكورة أعلاه.

وحول دعايته الصفوية الفارسية عن أحد الحكام الظالمين المدعو الشاه حسين الذي عينه رئيسًا لـ"مجلس العلماء" يقول "العلامة" المجلسي التالي: "... ونظرًا لأنَّ إتمام هذه الرسالة {أي الأدعية الدينية المحشوة بالخرافات والتي أطلق عليها إسم زاد المعاد} وإنجازها على عجالة تم في زمان دولة العدالة وأوان سلطنة السعادة صاحب الحضرة العليا سيّد سلاطين الزمان ورئيس خواقين العصر، شيرزاد أوراق الملة والدين وصفوة أحفاد سيد المرسلين، الماء والخضراء للبستان المصطفوي وعين سراج البيت المرتضوي، السلطان الذي خدمه كثير جم والخاقان الذي الملائكة له حشم، سليل الشجاعة ومن سيفه البتار نهر جارف لرؤوس الكفار نحو دار البوار، وحسامه الحارق، كالنار يهوي على بيدر المعاندين والمخالفين مصداقًا لقوله تعالى (يرسل عليها شواظ من نار)، مَنْ ترتفع أيدي الداعين له بمزيد الرفعة في بلاطه العالي البنيان، وتلهج ألسنة أرباب المتصوفة بزمزمة الدعاء له بخلود دولته، تعينها على ذلك طيور العندليب الشامخة على أغصان سدرة المنتهى، والكل داعٍ له بأن يزلزل الله كل سيف يشهر ضده في يد صاحبه، ويجعل كل راية نفاق مرفوعة بوجهه كفنًا لرافعها وحاملها، يا مَنْ جبين غضبه يفكّ العقد التي لا تحل، وراحة يده الكريمة سحاب مطر على مزارع الآيسين، مؤسس قواعد الملة والدين، مروّج شريعة الآباء الطاهرين، ومَنْ حياض بلاطه تفيض من كثرة تقبيل شفاه سلاطين الزمان وخواقين العصر، ومن صرحه الممرد مطرز بنداء (قد مسّنا الضر أيها العزيز) أعني السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، ملجأ الأكاسرة، وملاذ القياصرة محيي مراسم الشريعة الغرّاء، ومشيّد قواعد الملة البيضاء، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، الشاه سلطان حسين الموسوي الحسيني الصفوي بهادر خان، لا زالت رايات دولته مرفوعة، وهامات أعدائه مقموعة".

راجع كتاب شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. فهل هذا الكلام دعاء عالم دين يعتبره البعض من بين المراجع العظام للمذهب الإمامي، أم هو مجرد معمم مرتزق في خدمة السلطنة الصفوية العنصرية

وعبدٌ للدنيا ما درت رواتبها، كما هو مضمون القول الحسيني؟!.

[٥٤] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ - ١٢٤.

[٥٥] راجع المصدر السابق، ص ١٦١.

[٥٦] راجع مقدّمة باقر الصدر لكتاب الصحيفة السجادية الكاملة، إصدار دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان / بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هجرية، ١٩٩٩ ميلادية، ٥ - ١٢، وخصوصًا الصفحة ٨. كما يمكن مراجعة "دعاء لأهل الثغور" للإمام علي بن الحسين، وهو الإمام الرابع والمعصوم عند مريدي ذلك الطريق التفسيري لأحد المدارس الإسلامية، الذي ينتصر فيه للدولة الأموية ضد الدولة البيزنطية، وذلك على الصفحة ١٣١ - ١٣٨.

[٥٧] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢.

[٥٨] وكانت المواطنة الأحوازية راية الطرفي قد قامت بترجمة مقال رئيس الحرس الثوري الفارسي الصفوي الأسبق محسن رضائي المنشور في موقع "بازتاب" التابع له، والذي تضمن توجيه التهديد لبعض الوسائل الإعلامية العربية، والمقال منشور في ٢٣ يوليو ٢٠٠٧، ومما جاء فيه "في هذه المواضيع، ضمن التخريب وتوجيه الإهانات لمقدسات النظام [!!] الإسلامي وتوجيه الاهانات لإسلامية [!!] النظام الإيراني"، والإساءة "للسلطة الوطنية لدولتنا على الأراضي والمنافع الوطنية" مستغلين المقالة التي وردت في جريدة {كيهان} للقول أنَّ "إيران تسعي للسيطرة على المنطقة"، وقد أقدمت بعض الأصوات الإعلامية في "دول الخليج الفارسي[!!]" على وصف، وبوقاحة، "مرشد الثورة الإسلامية بالدكتاتور المعصوم"، وإستنكر رضائي القول أنَّ "هدف الفرس وإحياء الإمبراطورية المنصرمة لكسرى" كون الفرس "قوم كانوا دائما ذوي أطماع سياسية وطائفية"، متناسين - كما يزعم - أنَّ الإيرانيين كانوا القوم الوحيدين الذين يؤمنون بالله منذ القدم والأعراب كانوا في الجاهلية وأرسل لهم الله رسل مختلفة لهدايتهم ودولة إيران على

عكس باقي الدول العربية ودول المنطقة تدار برأي الناس وتحت القوانين الإسلامية وبشكل مستقل دون تدخل الغرباء"، تلك هي تكثيف شديد لخزعبلات رضائي.

وهي مكتوبة عن بعض الملاحظات النقدية التي وجهها بعض الإعلام العربي، وتستمد تلك الملاحظات وجاهتها من مسيرة سياسية للنظام الصفوي الفارسي، ومجسدة بوقائع ملموسة تجاه بعض الأقطار العربية. ومع ذلك فإنَّ رضائي يؤكد، أنهم "إسلاميون" على حد مزاعمهم، وليسوا مذهبيين طائفيين كما تدل على ذلك حقيقة نشاطاتهم الإعلامية والدعائية في الداخل والخارج. وهم "وطنيون" على الرغم من مواقف المكونات القومية للدولة الإيرانية، التي لها ملاحظات أساسية على الهيمنة الفارسية. وقامت قائمتهم لمس "الذات المجتهدة للمرجع الأعلى: الخامنئي" بالرغم من عدم أعلميتها، كما ترسم معاييرها الرؤية الإمامية، المسماة بالمرجع الأعلى، وتعْجُبْ من وصفه بـ"الدكتاتورية" في الوقت الذي له مطلق الصلاحيات في كل الوضع السياسي الإيراني، وإنطلاقاً من رؤية ميتافيزيقية لا يمكن محاسبتها، بأي شكل كان، أبداً. والخليج العربي، كما تدل الطبيعة القومية لأغلب القاطنين على شواطيء الخليج، يغدو عنده أو عندهم "الخليج الفارسي"، لماذا؟، ليس هناك من إجابة فعلية تتسم بالإدراك المعرفي والحس العلمي غير التسميات الأوربية الخاتلة والمضادة للأمة العربية التي استخدمَت في الماضي. وهم "القوم الوحيدين المؤمنين بالله" بينما كان الأعراب، وهو تعبير قرآني أطْلِق على بعض البدو من سكان الصحراء المخشوشنين الأجلاف الذين كانوا أشد كفراً في سلوكهم من كفار قريش، بينما القرآن الكريم والرسول الكريم خص العرب بجميل آياته وأنصع المواقف وأبلغ التعبيرات الاعتبارية، وحارب القرآن إمبراطورية الفرس وخاض الإسلام معركته الكبرى ضد المجوسية ومن أجل فرض الاعتراف بوحدانية الله على "الكفار" الذي وصف فيه الرسول، (ص)، قائد الجمع المؤمن خالد بن الوليد في أعقاب موقعة مؤتة بسيف الله المسلول. ويكاد أنْ يقول المريب: خذوني، عندما يتطرق رضائي لمسألة

الأطماع السياسية والطائفية والعودة لبناء مجد كسرى، في حين أن كل إجراءاتهم السياسية والصفوية الفارسية تشير بالملموس إلى ذلك التوجه الكسروي. وسيطول بنا المقام لو حاولنا تتبع خزعبلات رضائي ومَنْ يمثلهم رضائي، ولكن منطقه السياسي قد كشف المخبوء من رؤيتهم العنصرية الطائفية: الصفوية الفارسية.

[٥٩] كنت أظن أنَّ ذلك السلوك الطائفي العنصري المتعجرف ينطبق على العرب الذين يقطنون في إيران فقط، حتى شاهدت إحدى المقابلات التلفزيونية، التي تبثها القناة الثانية الهولندية، مع عدة شباب إيرانيين ممن يعيشون في هولندا، تحدث فيها شابان إيرانيان حول شجون معاناتهم الشخصية في "جمهورية إيران الإسلامية" التي إضطرتهم لترك وطنهم، من جهة، وجرّاء لجوئهم إلى إحدى الدول الأوربية على خلفية ما كانوا يعانونه في ظل السلطة الثيوقراطية، بإعتبارهم يمثلون شرائح في المجتمع الإيرانية. على أنَّ لي ملاحظتان على ذلك الحديث، الأولى بإتخاذي ذلك الحديث مجرد نموذج وليس معيار الإتفاق أو الإختلاف معه، والثانية يتعلق بعدد الفارين من إيران الذين يتجاوز رقمهم السبعة ملايين مواطن إيراني، الأمر الذي يكشف الأبعاد الحقيقية لمزاعم المضامين الديمقراطية للنظام الفارسي الصفوي في طهران.

قدّم أحد المتحدثين نفسه على أنه هجر الدين الإسلامي وتحول إلى الدين المسيحي بسبب الواقع "الديني" في إيران، وكم ونوع الخرافات التي تنتظم الرؤية "الدينية الإسلامية"، كما رأى ذلك في الوقت الذي يعلم جميع المتابعين لسياسة النظام الفارسي الصفوي أنه نظام طائفي مذهبي وليس نظامًا إسلاميًا ملتزمًا. أما الآخر فقد تحدث عن حريته المطلقة في إلتزام قيم الشاذين كخيار حياتي جديد في ظل النظام الفارسي الصفوي، الذي يضطهد الأناس "المثليين"، ويبدو أنه إتخذ ذلك الطريق المشين وفق الأعراف الإسلامية، وسيلة لقبوله لاجئًا سياسيًا في هولندا هربًا من النظام المذهبي القامع لأغلب الإيرانيين].

[٦٠] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨. ويلاحظ الشهيد شريعتي أنَّ "آداب الصفوية ورسومها هي نسخة طبق الأصل من الآداب والرسوم والتشريفات التي تجري في أروقة البلاطات، وليس ثمة فارق كبير بين قصر (عالي قابو) وبين (مسجد شاه)، ومثل هذا الكلام ينسحب على الألقاب الضخمة الفارغة التي يتم تبادلها في الحوزات العلمية الشيعية حيث لم يكن لها جذور تاريخية عريقة، وإنما هي مظاهر طارئة ظهرت في الحوزة تقليداً للبلاط الصفوي أو القاجاري الإيراني"، المصدر السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

[٦١] أورد كتاب شريعتي الرواية التالية إنَّ: "أمير المؤمنين (ع) كان مع رجل يهودي في سفر فوصلا إلى نهر فخلع اليهودي ثيابه ورماها إلى الماء وجلس عليها حتى عبر النهر، ثم خاطب أمير المؤمنين قائلاً لو كنت تعلم ما أعلمه أنا لفعلت مثل ما أفعل!. فأشار أمير المؤمنين بيده إلى النهر فإنجمد ماؤه وعبرَ (ع)، فلما رأى اليهودي ذلك وقع على رجليه وقال: أيها الفتى! ما الذي قلته فإنجمد الماء؟ فسأله (ع): وما الذي قلته أنت فعبرت النهر؟ قال اليهودي الخيبري: دعوت الله بإسمه الأعظم!، قال (ع): وما ذاك؟ قال اليهودي: وصي محمد. قال علي (ع): أنا وصي محمد ﷺ. قال اليهودي: آمنت وأسلمت". [المصدر السابق، ص ١٨١ - ١٨٢].

[٦٢] يفسر المجلسي العبارة الخاصة بالوالدين التي وردت في القرآن، في سورة النساء، "وإعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا" بالتالي: "المقصود من الوالدين في الآية الكريمة هما محمد ﷺ وعلي (ع)، يقول العلامة المجلسي في هذا الصدد: إنَّ المراد أنَّ محمدًا وعليًا هما الأبوان الروحيان للبشر. غير أنَّ العلامة السيد محمد علي الكاظميني البروجردي صاحب كتاب (منشورات النور من درسنا في دار الشفاء مسجد ميدان خراسان) يذهب أبعد من ذلك ويقول: "بل يمكن القول أنَّ محمدًا وآل محمد هم آباء روحانيون وجسمانيون للبشر... وهم الوالد الحقيقي للبشر"، المصدر السابق، ١٨٥ - ١٨٦.

[٦٣] المصدر السابق، ص ١٨٧ - ١٨٨. والحديث منسوب لسلمان الفارسي وجندب وقد ورد في كتاب "بصائر الأنوار".

[٦٤] المصدر السابق، ص ١٨٧.

[٦٥] راجع الدراسة التاريخية الهامّة للدكتور محمد سعيد والمعنونة النسب والقرابة في "المجتمع" العربي قبل الإسلام: دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف، إصدار دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٤٩٢. [إستشهاد لاحق عن الدراسة التي كتبت في مرحلة سابقة].

[٦٦] النسبة، أساسًا، إلى أحد السادة في قريش خلال مرحلة الزمن الجاهلي: السابق للدين العربي الإسلامي، وهاشم بن عبد المناف على وجه التحديد، وهو جد الرسول محمد بن عبد الله ﷺ، وكان ذا نصيب من الثروة ويشتغل في التجارة، وتوفي في مدينة غزة الفلسطينية، لذا سميت المدينة بغزة هاشم، في دلالة على أهمية هذه الشخصية المرموقة التي حولّها أصحاب الكدية إلى وسيلة للربح من دون عمل، والتكسب عن طريق المخاتلة التي قد تناقض التعاليم الجوهرية للدين العربي الإسلامي.

[٦٧] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤.

[٦٨] المصدر السابق، ص ١٦٤.

[٦٩] المصدر السابق، ص ١٦٥.

[٧٠] راجع كتاب الدكتور توفيق برو المعنون تاريخ العرب القديم، الصادر عن دار الفكر بدمشق / الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هجرية الموافقة سنة ١٩٨٤ ميلادية، ص ١٦.

[٧١] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢، وفي هذا السياق يورد العالم الشهيد شريعتي ما قالته "الشخصية العلمائية الصفوية" مرتضى العسكري الذي سيكون "حجة متفقهة" عند الأتباع للرؤية الصفوية الفارسية من "العراقيين" ويحرصون على الاستفادة من مشورتهم له والقائل بضرورة التعاون مع الأمريكيين والتنظير للرؤية

الطائفية... ما قالته عن الخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب، ورميه بمختلف النعوت بالإستناد إلى مصادر مزيفة لا تخفى على أي قارىء فطن ولبيب ومخلص، لاسيما وأنّ شريعتي يؤكد ما مضمونه أنَّ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، إكتسب المنزلة الرفيعة والمكانة الكبيرة من الإسلام لا من الأوضاع الإجتماعية والطبقية الجاهلية، الأمر الذي يؤكد أنّ الطعن الذي يوجهه العسكري للخليفة هو طعن للإسلام ودوره في بناء الفرد العربي المسلم.

[٧٢] شاهد عموم العراقيين ممن يتابعون الشاشات المرئية العراقية أحد المسؤولين الحكوميين الرسميين {عضو مجلس محافظة بغداد والملقب بالكاظمي} ، وهو يصرخ إحتجاجًا على تسمية أكبر شوارع بغداد بإسم هارون الرشيد بذريعة قتله للإمام موسى الكاظم، وعدم قدرته على تفسير الأمر لملايين، [!]، الزوار لمدينة الكاظمية، في الوقت الذي أغفل المعاني التي تنطوي عليها كارثة الجسر التي ذهب ضحيتها أكثر من ألف زائر لذلك الإمام والتي تسبب بها أحمد الجلبي، كما تقول الوثائق الملموسة، ومثلما إعترف إلى صحيفة مصرية رسمية أحد أدوات التنفيذ، وكذلك إستنكاره لوجود تمثال للخليفة العباسي الثاني: أبو جعفر المنصور مؤسس بغداد.

[٧٣] هذه الفكرة التي تشرح ما هو جارٍ في الواقع العراقي الملموس، خلال هذه الفترة الزمنية، مستقاة من كتاب الشهيد شريعتي، ص ١٧٢.

[٧٤] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦ - ٢٤٤.

[٧٥] المصدر السابق، ص ١٤١.

[٧٦] المصدر السابق، ص ٢٣٨.

[٧٧] "مفاتيح الجنان"، كما قلنا عنه في إحدى الحلقات السابقة، كتاب مؤلف من ٨٨٠ صفحة من القطع الصغير، يحرص البعض من غير المعروفين على توزيعه مجانًا في العراق وفي بعض المحافظات والأقضية التي تقطنها أغلبية إمامية، وبكثافة ملفتة للنظر، وذلك في أعقاب الإحتلال الأمريكي المجرم للعراق العظيم في التاسع من

شهر نيسان عام ٢٠٠٣ ، صادر عن دار الحسين، ع، بيروت / لبنان، تأليف ما وصفه الكتاب بالفقيه المحدث الشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هجرية - ٢٠٠٣. وهو كتاب مليء بالأدعية التثقيفية التي وضعت نصب عينيها السب واللعن لكل القامات العربية الإسلامية الخالدة، بذرائع كثيرة ومختلفة.

[٧٨] راجع المصدر السابق، ص ٥٧١.

[٧٩] تجدر الإشارة إلى الوضع الحالي للمجموعة المسماة بـ"العلوية" الحاكمة في سورية، لا يمارس أغلبها أي طقس ديني إسلامي إعتمادًا على أن "الإله علي" هو الذي سينجيها يوم القيامة ويدخلها الجنة، وإحدى براهينهم مستقاة من الحادثة التاريخية القائلة بأنَّ الإمام علي هو الذي صلى على الرسول عند وفاته، لذا: فالذي صلى عليه هو الإله، أما ما جاء في كتاب الله وأقوال الرسول، وما ورد في نهج البلاغة، فلا شأن لهم بها، كما يبدو، وتلك حقيقة سيعرفها أي فرد تعايش مع القسم العلوي الذي هو جزء من الشعب العربي السوري، وإختبر مدى فهمه للإسلام.

[٨٠] راجع كتاب الشهيد شريعتي، ص ٢٢٣.

[٨١] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩.

[٨٢] راجع كتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب، إختيارات العلامة محمد عبدة، الجزء الرابع، ص ٦٨٥ - ٦٨٦.

[٨٣] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥.

[٨٤] راجع كتاب الشهيد شريعتي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.

[٨٥] من المؤسف أنْ تبقى "الدعايات الأيديولوجية" التي يتداولها البعض حول "المساندة الأمريكية" للعراق ونظام الشهيد صدام حسين، وهو كما نرى من الرصد التالي الذي يكتبه الأستاذ الدكتور إبراهيم علوش، وبالإستناد إلى مصادر موضوعية لا يرقى إليها الشك، إنَّ بعض القوى السياسية الموالية للنظام الفارسي الصفوي، وغيرها ممن لا تريد "تصديع" رأسها بالعودة للمراجع التاريخية والموضوعية بغية

تحديد موقف غير قائم على أبعاد غير سياسية وأيديولوجية. إن الحرب العراقية الإيرانية وضعت أوزارها، والبحث التاريخي لهذه الحرب ينبغي أنْ تكون مقرونة بالتاريخ الماضي الملموس، التي كانت هي إيران تحقق أهدافها السياسية الملموسة، من خلال مبادرات عملية كمساندة إيران الشاه للحركة البرزانية، من أجل تحقيق هدف سياسي، وكان نصف شط العرب وأراضٍ عراقية هي المثمن التي حصلت عليه وحققته سياسيًا، ويعد ذلك هو أحد الأسباب الأساسية للحرب، ناهيك عن الخطوات الإيرانية منذ بدايات القرن العشرين، وما تزال. فيما يلي الرصد الموضوعي الذي جاء به الأستاذ علوش:

"حول الدعاية السياسية التي"

تزعم دعم الولايات المتحدة للعراق

خلال الحرب العراقية - الإيرانية

د. إبراهيم علوش

ما زال البعض يكرر المزاعم القائلة أن العراق حصل على أسلحته في الحرب العراقية - الإيرانية من الولايات المتحدة. وتجدون أدناه إحصائيات دقيقة لمصادر الأسلحة العراقية والإيرانية خلال الحرب في الثمانينات، ولمصادر الأسلحة العراقية بين عامي ١٩٧٣ و٢٠٠٢ اعتمادًا على أرقام موثقة غربية نشرها معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، ومصادر أخرى، وهذه الأرقام تظهر بشكل جلي أن إيران استوردت عدة مليارات الدولارات من الأسلحة من الكيان الصهيوني خلال الحرب العراقية - الإيرانية، وأن العراق حصل على الأسلحة أساسًا من الاتحاد السوفييتي السابق وفرنسا والصين، والرجاء ممن يستمرون بإلقاء الاتهامات جزافًا حول مصادر الأسلحة العراقية أن يتفحص بدقة الجداول المنشورة لمصادر الأسلحة العراقية والإيرانية خلال الثمانينات...

ويمكن إيجاد تلك الجداول المفصلة على الرابط التالي:

http://en.wikipedia.org/wiki/Iran-Iraq_War

ونستطيع أن نرى من إحصائيات معهد ستوكهولم لأبحاث السلام أن

استيراد العراق للأسلحة ما بين عامي ١٩٧٣ و٢٠٠٢ توزع إحصائيًا كما يلي: ٥٧٪ من روسيا والاتحاد السوفييتي السابق، ١٣٪ من فرنسا، ١٢٪ من الصين، ١٪ من أمريكا، وأقل من ١٪ من بريطانيا.

أما بين عامي ١٩٧٠ و١٩٩٠، ومنها فترة الحرب العراقية -الإيرانية، فإن مصادر الأسلحة العراقية توزعت إحصائيًا كما يلي: ٦١٪ من الاتحاد السوفيتي السابق، و١٨ ٪ من فرنسا، و٥٪ من الصين، و٤٪ من البرازيل، و٤٪ من مصر، و٦ ٪ من بقية دول العالم مجتمعة. وقد بلغت مجمل واردات العراق من الأسلحة الأمريكية خلال الحرب العراقية الإيرانية مائتي مليون دولار هي عبارة عن صفقة طائرات مروحية تمثل ٠.٦ بالمائة من مجمل واردات الأسلحة العراقية خلال تلك الفترة، أي أقل من واحد بالمائة، وفي بعض المصادر تجدها نصف واحد في المائة، وهي لا تمثل شيئًا يمكن أن يقلب ميزان الحرب أو أن يعبر عن توجه أمريكي بدعم العراق ضد إيران، بنفس الطريقة التي كانت تسلح فيها الولايات المتحدة إيران في ظل الشاه مثلاً، أو التي ما زالت تسلح فيها الكيان الصهيوني، إن كان المقصود هو القول بالفم الملآن، كما يفعل البعض بدون تدقيق، أن الولايات المتحدة تحالفت مع الشهيد صدام حسين ضد إيران.

فليس دقيقًا التعميم أن أمريكا سلحت العراق في الثمانينات، وليس في سجل العراق شيء مثل فضيحة "إيران غيت" أو صفقات الأسلحة "الإسرائيلية" من السوق السوداء أو غيرها، مع العلم أن مسؤولين أمريكيين شهدوا أمام الكونغرس عام ١٩٨٢ أن "إسرائيل" نقلت أسلحة أمريكية لإيران وجيش لبنان الجنوبي دون أن يتبع ذلك تحقيق بالرغم من مخالفته لنص القانون الأمريكي.

وتقول نفس المراجع أن العتاد الإيراني خلال السنوات الأولى للحرب كان أمريكيًا بالكامل تقريبًا، أساسًا من بقايا القوات المسلحة الإمبراطورية للشاه المخلوع، حتى بدأت إيران تستورد الأسلحة من بعض نفس الدول الاشتراكية سابقًا التي كانت تبيعها للعراق. وتضيف هذه المراجع أن إيران كانت تحصل على الأسلحة وقطع الغيار الأمريكية من مسؤولين في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، في البداية من خلال "إسرائيل"، ثم

بشكل مباشر. وقد جاء ذلك على خلفية فضيحة "إيران - كونترا" التي تم من خلالها تحويل عائدات بيع الأسلحة الأمريكية لإيران لمتمردي الكونترا في نيكاراغوا الذين كان يتعاونون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA ضد الحكومة الساندينية هناك.

ويقول تقرير لجان الكونغرس الأمريكي التي كانت تحقق في فضيحة "إيران - كونترا" الصادر في شهر نوفمبر/تشرين ثاني ١٩٨٧ "أن بيع الأسلحة الأمريكية لإيران عبر إسرائيل بدأ في صيف عام ١٩٨٥ بعد الحصول على موافقة الرئيس ريغان". وأن تلك الصفقة ضمت فيما ضمته أكثر من ألفي صاروخ مضاد للدبابات، ومئات الأجزاء وقطع الغيار لصواريخ أرض - جو. وبالإضافة إلى ذلك، هناك صفقة أسلحة "إسرائيلية" لإيران لم تمر عبر القنوات الأمريكية، بما يقارب المليار دولار، كانت تضم ١٨ طائرة أف -٤، و٤٦ طائرة سكاي هوك، و٤٠٠٠ صاروخ، يفترض أن وزارة العدل الأمريكية اعترضت عليها وأفشلتها! وما عدا ذلك، تقول نفس المراجع نقلاً عن صحيفة اللندن أوبزفرر أن مبيعات الأسلحة "الإسرائيلية" لإيران خلال الحرب بلغت حوالي نصف مليار دولار سنويًا.

وفي الفصل الحادي عشر من كتاب يحمل عنوان "التحالف الغادر: الصفقات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة"، صدر عن جامعة يال الأمريكية عام ٢٠٠٧، نجد الكثير من التفاصيل المثيرة عن اللقاءات السرية التي تمت بين المسؤولين الإيرانيين والأمريكيين و"الإسرائيليين" لترتيب الصفقات المذكورة أعلاه.

عن موقع البصرة

الأربعاء ٢٦ ربيع الأول

١٤٢٩ / ٢ نيسان ٢٠٠٨

[٨٦] راجع كتاب إستراتيجية الفتوحات الإسلامية: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، تأليف أحمد عادل كمال، إصدار دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هجرية - ١٩٨٧ ميلادية، ص ١٦٣...

[٨٧] يركز العالم الشهيد شريعتي في بكتابه القيم عن خلفيات هذه الممارسات الدخيلة على الإسلام، فيستخلص - وبناء على معلومات - أنَّ: وزير الشعائر الحسينية قد زار أوروبا الشرقية وإستورد تلك "التقاليد" التي كانت تقام لإحياء الشهداء المسيحيين، وقام الملالي بدورهم في مزاوجة تلك التقاليد بالموروث الإيراني، وأدى ذلك "إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني ولا في الشعائر الدينية الإسلامية"، ص [٢٠٨]، الأمر الذي يعني "أنَّ كل هذه المراسم والطقوس الإجتماعية والعرفية هي صيغ مقتبسة مما هو عند النصارى في أوربا، وقد بلغت هذه الظاهرة حدًا من السذاجة أنَّ الإقتباس يتم بصورة حرفية دون أي تغيير"، لص ٢١١]، راجع الصفحات المعنونة: نصرانية الغرب والتشيع الصفوي؛ الإفرنجي في كربلاء! على الصفحات ٢٠٦ - ٢١٢ من كتاب الشهيد شريعتي.

كما، يمثل الإحتلال الإيراني غير المباشر، ولكنه الملموس على صعيد الوقائع، المأساة الكبرى في عراق اليوم، وليس أدل من ذلك الإحتلال، ودور إيران في الوضع العراقي، من مباحثات الطرفين الأمريكي والإيراني التي بتنا نرى توالي إنعقادهما في العلن، بعد أنْ كانت سرية، أو تلاقيهما على أرضية مصالحهما الإستراتيجية ضد الدولة العراقية والمجتمع العراقي، وتعاونهما منذ الاحتلال وللآن، من ناحية أولى. وكذلك، نرى ما هو حاصل في الجنوب العراقي من تمدد إيراني: مخابراتي وسياسي يخدم الدولة الإيرانية أساسًا، من ناحية ثانية. ونرى أيضًا، الإحتراب اليومي والعبثي بين مكونات المجتمع العراقي على أسس مذهبية وطائفية وميليشياتية، وما ترتب عليها من تهجير وفرز ما بين المناطق في المدينة الواحدة، من ناحية ثالثة.

علاوة على البطالة العامة المنتشرة في المجتمع بعد تدمير النهضة الصناعية وبيع منجزها أو تهريبها إلى إيران، لاشك أنَّ مسألة الفوضى التي تعمد الإحتلال على إطلاقها قد جعلت أغلبية الطاقة العاملة العراقية تقع في مستنقع البطالة، أفرزت العديد من الظواهر المرضية، وبعضها

سلاح ذو حدين، من قبيل إضطرار الناس إلى الذهاب إلى القوات المرتزقة التي تسعى لتوفير الحماية للقوات المحتلة من مختلف الطوائف، من جهة أولى، أو الانخراط في التنظيمات الميليشياوية المسلحة التي تتلقى الأموال الطائلة من الدولة الإيرانية على وجه التحديد، من جهة أخرى. ومَنْ يدفع يسير، كما هو معلوم. أما الضحية الأساسية لهذا الواقع المريع، والمروع، هو المجتمع العراقي وأغلبية مكوناته الإجتماعية، ناهيك عن كونهما يوفران "الأمن الشخصي على أرضية فكر طائفي أو ولاء جهوي" للمنخرطين فيهما، كما يعتقدون، من خلال قتل المواطنين الأبرياء أي تنفيذ ما تريده المخابرات الإيرانية "الساواما" وتقديم المعلومات والأسماء بخصوص المقاتلين، من جهة ثالثة... إلخ... إلخ.

وقد غدت حياة المرأة تحت سطوة السلطات الظلامية الحاكمة في عراق اليوم وأفراد الميليشيات المسلحة... غدت مريرة جدًا ومؤسفة غاية الأسف، فقد جرى حرمان أغلبهن من العمل أو الدراسة بعد أنْ غاب مفهوم الأمن عنهن، في مجتمع يقدس - عن حق أو باطل - كرامة المرأة الأخلاقية وشرفها، وسيادة مفاهيم العار والفضيحة في المجتمع، والتغييب القسري للعناصر المسؤولة عن حياتهن الضامنة للرزق وسد لقمة العيش، سواء عبر الإعتقال أو التشريد أو القتل، أو الفصل العشوائي من الوظائف بذريعة صدور قانون إجتثاث البعث. وحتما ستوصل هذه الأوضاع ونتائجها العملية إلى إرتكاب الجرائم الأخلاقية المقرونة بالقتل للتستر على تلك الفضائح، ومحاولات إخفاء الدوافع الحقيقية للقتل. الأمثلة الحسية الملموسة على نهج قوات الإحتلال الجبانة والمجرمة وأفعال عملائها الفرس الصفويين، التي أبرزها عمليات الخطف وأخذ أموال الفدية قبل قتل الضحايا المختطفين، أو قتل بعضهن على أيدي أفراد أسرهن بداعي التخلص من إحتمال "وقوع الفضائح" التي لم تكن أية إمرأة مسؤولة عنها.

ولعل الدراسة الجامعية التي كانت منارة للعلم في العهود السابقة قد غدت في الواقع الراهن نموذجًا كافيًا للبرهنة على ما نقول: إذ كانت مراحل الدراسة المختلفة: الإبتدائية والثانوية والكليات والدراسات

العليا، قد تنامت منذ السنوات الأولى للقرن العشرين: سنوات تأسيس الدولة العراقية "المستقلة" في العام ١٩٢١، وبلغت أشواطًا متقدمة وكبيرة في أواخر السبعينات، حيث بلغت المصروفات المالية عنها ما يمثل مقداره ربع موازنة العراق الخدمية قبل الحرب العراقية الإيرانية، وذلك لنشر التوجه العلمي في مرافق الدولة العراقية وذلك لإحتلال الموقع الملائم في العالم المعاصر، وكذلك، من أجل الولوج في أية عملية تطورية مطلوبة في مرافق الدولة العراقية، وإيجاد معايير التي تشترطها عملية نشر المعرفة: التي هي قوة في نهاية المطاف، وفق معايير تعريف المعرفة، ولكن تلك المؤسسات التعليمية والمعرفية تحولت بقدرة الإحتلال الأمريكي ومن خلال التدخلات الإيرانية في الداخل المجتمعي العراقي، ونشر عوامل التخلف في كل المرافق الحيوية داخل النهضة العراقية... تحولت إلى واقع مأساوي راهن. إنَّ نشر صور قادة الأحزاب الطائفية التابعة لإيران في الجامعات العراقية، وبث الخرافات التي تخالف أي منطق علمي لسيرورة التاريخ، وإقامة مجالس اللطم والنواح وعقد مجالس العزاء التي يتحدث فيها الأميون أو أشباههم، عن التاريخ العربي الإسلامي من خلال مشوار التزييف والتزوير، والتعاطي مع الشأن الدراسي في كافة مراحله على أرضية تجزيئية تفتيتية وطائفية إثنية، كلها براهين على الدور الصفوي الفارسي.

إن السياسة المبرمجة لإغتيال العلماء وقتل الأطباء وإستئصال الأساتذة الجامعيين من ذوي الإختصاصات العلمية فاقت كل تصور وجعلت تلك الأحداث تطبع المظهر اليومي للواقع الإجتماعي العراقي، ففي كل يوم تتناقل وكالات الأنباء عمليات الإغتيال السياسي والمادي لأساتذة الجامعات النابغين وفق سياسة مدروسة، ويفرض على الآخرين سياسة ترك العراق إلى الخارج، مثلما يجري يوميًا الاغتيال المبرمج لإغتيال الطيارين العراقيين الذين شاركوا بفعالية في رد العدوان الإيراني على الدولة العراقية في عقد الثمانينات، وكتابة لوحات مثبتة على واجهات بيوتهم: عليها وبخط واضح: هذا جزاء كل مَنْ يقصف جزيرة خرج. ولو تعرضنا إلى مسلسل الإغتيالات اليومية التي تطال أعضاء الجيش الشعبي

والبعثيين لطال بنا التوقف أمام أرقامها المروعة.

ولعل مثال: الهجرة العراقية على الصعيد الخارجي، وإتباع سياسة التفتيت المذهبي والإثني التي أدت إلى الهجرة في الداخل وتشذير مجتمع المدن على أساس طائفي، وما يستتبع ذلك من تبادل لعمليات الإختطاف والقتل العشوائي وحرق مراكز العبادة لدى كل طرف من أطراف الصراع العبثي، تمهيداً لصناعة الفتنة العمودية التي ينبغي أنْ تسود كافة بقاع الوطن في نهاية المطاف، هي مجرد مظهر واحد، وإنْ كان خطيراً على حاضر ومستقبل العراقيين، فإعاقة التطور والتقدم، وإيقاف عجلة النمو والقتل على الهوية وتشريد الكفاءات إلى خارج العراق، يصبح الممر الوحيد لمستقبل العراقيين، وتلك دروس تاريخية مستمدة من كل التجارب المعاشة في جميع البلدان التي واجهت مثل هذه الظواهر المؤسفة.

إنَّ القتل المتعمد والتفجير المتواتر في المناطق المكتظة بالسكان البسطاء والأبرياء من أجل بث الرعب وإشاعة الخوف وتوتير الأجواء وصولاً إلى ترويج منطق الحرب الأهلية العمودية التي لا يعرف طرفا حلقتها أبداً، وفعالية دور الشركات الأمنية الخاصة، وكذلك دور الأحزاب التابعة إلى إيران، ومنظماتها المدعومة ماليًا في تأجيج الفتن العبثية ودورها في نشر المخدرات في العراق، وسرقة المنجز العلمي وتخريب المصانع ومراكز الأبحاث وإغتيال العلماء والمبدعين والطيارين وفق أساليب خبيثة وهي ماركات فارسية مسجلة بإسمها، وتعرفها جيداً الشعوب التي تعيش في إيران وفي مقدمتها الشعب العربي الأحوازي الذي جرى إحتلال أراضيه منذ العام ١٩٢٥ وجرى تصفية أغلب كوادره.

ومعلوم أنَّ تلك الأحزاب الصفوية الفارسية هي التي تملك أذرع مسلحة تطارد بها جميع الوطنيين العراقيين في سبيل تغييبهم عن الحضور الحياتي والإنساني والسياسي، ويكفي أنها تتلقى ملايين الدولارات يوميًا لتنفيذ المشاريع الإيرانية بشكل يومي، إنّ أحزب مقتدى الصدر وعبد العزيز الحكيم وأحزاب الدعوة وتشظياتها، ونشاطها الموتور تبرهن على الدور الإيراني السياسي في العراق، وما المفاوضات

الأمريكية - الإيرانية - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، حول ما يسمى بالإستقرار الأمني في العراق، هو أحد البراهين الدالة على الدور الإيراني في العراق... إلخ.

لذا، فإنّ تحرير الوطن على قاعدة بقاء الدولة العراقية موحدة يقتضي، كذلك، قطع شأفة التدخل الإيراني والقضاء على إمتداداته في الداخل العراقي، وهي المهام الأساسية لجميع الوطنيين العراقيين، رغم إختلال ميزان القوة بين طرفي الصراع بين العراقيين الوطنيين، من جهة، والمحتلين وعملائهم وأذنابهم، والتي تشكل المقاومة العراقية طليعتهم المجرية في ساحات ميدان الجهاد، من جهة، والاحتلال الأمريكي والقوات الغازية والعملاء لأمريكا وإيران، من جهة أخرى، ودون إنجاز تلك المهمات سيبقى العنف العبثي في عراق اليوم هو سيد الموقف، لذلك رفع التحالف الوطني العراقي شعاره الإستراتيجي الرئيسي والأول: العراق باقٍ والإحتلال إلى زوال.

إلى ذلك... افتتحت إيران الثلاثاء الموافق ٦/ ١١/ ٢٠٠٧ قنصليتين لها تمثل الحكومة الفارسية الصفوية لدى سلطة الأمر الواقع في إقليم كردستان في شمال العراق، في مدينتي أربيل والسليمانية ، وقال حسن كاظمي قمي السفير الإيراني في بغداد خلال المراسم التي جرت في أربيل وحضرها ما يسمى برئيس سلطة الاقليم نيجرفان بارزاني وممثلين عن الأحزاب الكردية التي تتحكم في الحالة الإنفصالية، الأمر الذي ستنشط الأعمال الإستخبارية الإيرانية، وشدد قمي علي أهمية العلاقات الإيرانية - العراقية قائلا اليوم لدينا علاقات تجارية وسياسية جيدة مع العراق وحجم التبادل التجاري السنوي يبلغ ملياري دولار وهناك مليون مواطن عراقي يزورون إيران سنويا وهناك نصف مليون إيراني يزورون العراق سنويا لزيارة العتبات المقدسة أو للتجارة، الأمر الذي يوضح الإستراتيجية السياسية الإيرانية، فيما وصف ما يسمى برئيس وزراء إقليم كردستان العراق الافتتاح بأنه خطوة مهمة، قائلاً: اليوم نحن سعداء لأن جمهورية إيران الإسلامية قامت بشكل رسمي بافتتاح قنصليتها في أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق، وهو ما يعني تأييدها العملي لتجزئة

العـراق وتفتيـت مجتمعـه إلى طوائـف وإثنيـات. لنقـلاً عـن وكـالات الأنبـاء والصحف الصادرة يوم ٧ / ١١ / ٢٠٠٧].

[٨٨] ـ وكان كتاب أمريكي قد أكد على أنَّ:

طهران عرضت صفقة على واشنطن بعد الإحتلال الأمريكي للعراق

تضمنت: احترام المصالح الإيرانية في العراق

الملف - واشنطن، نقلاً عن موقع التحالف الوطني العراقي، الاثنين ٥ / ١١ / ٢٠٠٧

"كشف كتاب أمريكي جديد صدر خلال شهر أكتوبر / تشرين الأول أنَّ إيران عرضت صفقة على أمريكا" بعد إحتلالها للعراق، وقد "تضمنت مقترحات منها احترام المصالح الإيرانية في العراق" والمتاجرة بالموقف الوطني اللبناني، منها "نزع سلاح حزب الله"، وكذلك "دعم المبادرة العربية" لما يسمى بالسلام، و"التعاون في الحرب على" ما يسميه المتعولمون الأمريكيون "بالإرهاب".

"ويروي الكتاب الذي كتبه أستاذ العلاقات الدولية في جامعة "جونز هوبكينز تريتا بارسي" قصة الاتصالات الأمريكية الإيرانية الإسرائيلية" بعد ما أسماه بـ"الإطاحة بصدام حسين" وهي كناية دعائية أمريكية بديلة للاحتلال العسكري الأمريكي للعراق من أجل تضليل العالم كله، "مستندا على ١٣٠ مقابلة أجراها مع مسؤولين حاليين وسابقين في الإدارة الأمريكية" مثلما "يتحدث الكتاب عن تفاصيل مؤتمر أثينا العام ٢٠٠٣ والذي بدأ أكاديميا وتحول مائدة للتفاوض بين تل أبيب وطهران، إلى جانب الكشف عن خفايا اجتماعات عقدها مسؤولون أمريكيون وإيرانيون"، و"تضمن هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (التحالف الخبيث: أسرار التعاملات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة: وثائق العرض الرسمي من إيران" مشيرًا إلى أنه في أواخر ابريل/ نيسان ٢٠٠٣ وقبل أيام معدودة من خطاب "انجاز المهمة" لبوش في أوائل مايو/أيار قدَّم الإيرانيون مسودة "صفقة كبرى" لواشنطن أعدَّها سفير طهران لدى فرنسا آنذاك صادق خرازي، ووافق عليها" ما يسمى بآية الله "علي خامنئي مستخدما

السفير السويسري في طهران آنذاك تيم غولدمان باعتباره وسيطا ومستشارا في الوقت نفسه"، هذا وقد "تضمن العرض الإيراني وقف الدعم لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) و(الجهاد الإسلامي) والمساعدة في تحويل حزب الله إلى حزب سياسي يقتصر وجوده فقط داخل لبنان، والتعاون في مكافحة القاعدة وفتح المنشآت النووية الإيرانية أمام المفتشين الدوليين لتأكيد طابعها السلمي"، وهي النقاط التي توضح الموقف السياسي الإيراني من حيث تحويل هذه المنظمات إلى مجرد رقم في سوق المنافسات والمساومات مع عدو أمتنا العربية، و"على الجانب الأخر طالبت طهران أيضا بإنهاء العقوبات الاقتصادية بالكامل واحترام المصالح الإيرانية في العراق والروابط الدينية في النجف وكربلاء والسماح لها بتكنولوجيا سلمية وملاحقة منظمة مجاهدي خلق المعارضة" وهي الهموم الفارسية الصفوية الراهنة.

و"يؤكد الكاتب بارسي أنَّ النائب الجمهوري السابق بوب ناي الذي يتقن الفارسية وعمل في إيران قبل" ما أسماها بـ"الثورة الإسلامية"، كان قد نقل الوثيقة / العرض إلى البيت الأبيض بواسطة اقرب مستشاري بوش السابقين، كا رل روف"، كما "يكشف الكتاب عن أنَّ كلاً من مستشارة الأمن القومي في ذلك الوقت كونداليزا رايس وزير الخارجية كولن باول ونائب وزير الخارجية ريتشارد آرميتج عملوا بقوة من اجل إقناع الرئيس الأمريكي جورج بوش بالرد على المبادرة، إلا انه استمع إلى نائبه ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك رامسفيلد اللذين تحفظا عليها بشدة بذريعة(عدم التحدث مع الشر")، مثلما يشير الكتاب إلى أنَّ اتصالات إيرانية إسرائيلية جرت في مؤتمر أكاديمي استضافته أثينا قبل أسابيع من تسليم غولدمان نص الوثيقة إلى ناي، وان الطرف الإيراني أعاد خلالها التأكيد على العرض"، وكذلك "ينقل بارسي عن مسؤولين إسرائيليين إن الرسالة هي نفسها التي نقلها ممثلون رسميون وغير رسميين من طهران في اجتماعات أخرى، موضحًا أنَّ هذا العرض لم يلق الاستجابة من الإدارة الأمريكية لاقتناعها بإمكانية حشر إيران واستثمار الانتصار العسكري في العراق".

[٨٩] الإغتيالات: تباينت الآراء فيمن يقف وراءها، الأميركيون؟ أم العدو الصهيوني؟ أم الميليشيات والجماعات المسلحة؟ أم دول الجوار؟ كما افترقت الآراء في تحديد أسبابها: طمعًا بالمال؟ أم لضرب المكاسب والكفاءات العلمية العراقية؟ مَن~ الذي يقوم باغتيالهم؟ مَنْ هو القائم على تصفية المشاركين في برامج التسلح؟ وعلى تصفية من لا علاقة تربطه بها إلا طبيعة المادة التي يدرسها لطلبته بالمعاهد والجامعات؟ قد يتعذر الجواب في حالة الفلتان الأمني. لكنه لا يتعذر كثيرًا لو قارب المرء ذلك من زاوية «من له المصلحة» في تصفيتهم، هكذا يتساءل الأستاذ السيد حسن غريب، لذا سيكون بعض ما جاء في كتابه هو مصدرنا الأساس لتسليط الضوء على أحد الأطراف التي قامت بتصفية العلماء والقادة العسكريين العراقيين، للإطلاع على فداحة الجريمة التي ارتكبت بحق العراق، وهي جريمة أميركية إسرائيلية إيرانية منظمة، لنأخذ جزءًا من الكتاب الذي أنشأه الأستاذ حسن خليل غريب، والذي رصد فيه المعلومات الهائلة التي لحقت بلبنية العلمية العراقي، وفيها تتجلى الرؤية السياسية للأعداء كلهم، بكثافة معلوماتية، وبالتأكيد فإنَّ من بينهم السلطة الفارسية الصفوية في إيران. واسم الكتاب هو: تدمير تراث العراق وتصفية علمائه، الطبعة الأولى – كانون الثاني ٢٠٠٨، توزيع دار الطليعة، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٣١٤٦٥٩، والمعلومات مستقاة من شبكة البصرة الغرّاء، المشورة في يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٩ / ٢ نيسان ٢٠٠٨.

"لقد أكَّد تقرير نشرته اليونسكو، في العام ٢٠٠٦، عن تدمير المؤسسات الأكاديمية، أنه تم إثبات نهب حوالي ٨٤٪ من المؤسسات العلمية والبحثية العراقية. الأكاديمية العراقية للعلوم تعرضت إلى نهب ٨٠٪ من الكتب الموجودة فيها إضافة إلى كل المخطوطات وبدون أية حماية من القوات الأميركية الغازية، وهذا ينطبق على معظم الجامعات الأخرى، [أ]. وتشير الأرقام المعلنة، حتى أواسط العام ٢٠٠٦، إلى أن حوالي ١٧ ألف من العلماء والأساتذة أجبروا على الرحيل منذ بدء

الاحتلال لب1، ويتساءل الأستاذ غريب عن مَنْ المستفيد من نزيف العقول العراقية؟ ولماذا تستهدف مع أن ميزتها الوحيدة هي التفوق العلمي والنبوغ المعرفي والانتماء الوطني؟ وما هي التداعيات المستقبلية لأعمال التصفية الجسدية التي تطال العلماء، [ج1،

قبل التفصيل فيمن له مصلحة بالتصفية، أو من هي الجهة التي قامت بها، يقول أحد الكتاب الأميركيين: إنه مهما كانت تلك الجهة التي تقوم بعمليات الاغتيال للأساتذة والعلماء العراقيين فهي جهة تمتلك كفاءة استخبارية متقدمة جدًا مما يجعلها تمتلك الدقة في البحث عن أهدافٍ محدودة وسط عدد هائل من السكان' [د1.

أنّ عمليات التخريب والتدمير والسرقة التي تمت بعد الحرب شملت عشرات المعامل ومراكز الأبحاث والدراسات العلمية في الجامعات العراقية، خاصة جامعة الموصل، بما فيها من أدوات وأجهزة وأبحاث ودراسات. وقد أشارت دراسة أصدرها مركز الخليج للدراسات حول وجود مخطط صهيوني - أمريكي للقضاء على خبرة العراق في مجال التصنيع العسكري، ومنع العراق من إعادة بناء قدراته العسكرية، ومنع وصول علمائه إلى أي بلد عربي وإسلامي، وملاحقتهم واستقطابهم للعمل في مراكز ومعاهد أمريكية و«إسرائيلية»، ووضع خطة وقائية لمنع الطلاب العرب الدارسين في الغرب من التحصيل العلمي في مجال الأبحاث القريبة من حقل التصنيع العسكري، [هـ1

- **الكفاءة العلمية كانت التهمة الأساسية لأهداف التصفية**

إن نمط وأسلوب الاغتيالات يشير إلى أنها حملة منظمة وذات دوافع خفية.. وتشبه فرق الاغتيالات فى السلفادور. يلاحظ د. إسماعيل جليلى أن عمليات الاغتيال والاختطاف والتهديد بالقتل لإجبار العلماء على مغادرة العراق لا تسير وفق نمط ديني أو مذهبي.. والسمة الغالبة فيها هي أن غالبية الضحايا هم من العرب [و1.

لقد تمت ملاحقة علماء العراق على أساس ثلاث صفات:

- أولا: عراقيون من مختلف الأديان مسيحيون ومسلمون من مختلف

الطوائف من مختلف القوميات ومن مختلف الجامعات.

- ثانيًا: ومنهم عمداء كليات ورؤساء أقسام وخبراء سابقين.
- ثالثًا: ذوو كفاءة عالية في شتى مجالات المعرفة وفي العلوم التطبيقية، والإنسانية، والقانون الخاص والعام، والشريعة، [ز].

أما عن الجهات التي تنفذ الاعتداءات، فيرصدها تقرير أصدرته رابطة الجامعيين العراقيين، قبل أواخر العام ٢٠٠٤، ويشير إلى تدخل جهات أجنبية في انتهاك حرمة الجامعات والمؤسسات التعليمية، وفي مقدمتها قوات الاحتلال الأمريكي، بمساعدة وتواطؤ مما يسمى الحرس الوطني، وقوى وتنظيمات طائفية، وعصابات إجرام منظمة. ووسائلها القتل والاعتقال والخطف والإقصاء القسري من المناصب الإدارية. وإذا دُمرت التجهيزات العلمية في الجامعات، بالإضافة إلى تصفية العلماء، فلن تستطيع الدولة العراقية توفير عدد آخر منهم إلا في ظل مناخ علمي متمثل في وجود المكتبات والمراجع والأجهزة والأدوات، وقاعات البحث العلمي، والمعامل، [ح].

بدأت عمليات الاعتداء على أساتذة الجامعات العراقيين منذ الأيام الأولى للاحتلال، عندما أعلنت القوات الأمريكية قوائم بأسماء ١٥٥٠٠ عالمًا وباحثًا وأستاذًا جامعيًا وسرحتهم من الخدمة بدعوى علاقتهم بحزب البعث. هذا ناهيك عن العدد الكبير من القيادات المدنية العراقية. السبب الذي جعل الشعور الذي يكتنف المثقفين العراقيين أنهم يشهدون عملية منظمة وعنيفة لتدمير الحياة الثقافية والعلمية في العراق)، [ط].

إذًا، بدأت الكارثة القومية والإنسانية بعد احتلال بغداد مباشرة، فقد وضعت قوات الاحتلال عشرات العلماء العراقيين تحت الإقامة الجبرية داخل بيوتهم، كما منعت عددًا آخر من التوجه إلى الجامعات ومراكز العمل، وفاوضت آخرين من أجل نقلهم إلى مراكز أبحاث أمريكية أو بريطانية. واستعانت بفرق كانت تحمل لوائح بالأسماء والعناوين، في غيابٍ كاملٍ لأية سلطة، وانشغال العالم كله بالفوضى التي يعيشها العراق، [ي].

بعد احتلال العراق في التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣ أكدت مصادر علمية عراقية أن الحرب وعمليات النهب والسلب التي أعقبتها دمرت أكثر من ٧٠٪ من المعامل والأجهزة داخل الجامعات العراقية ومراكز البحث العلمي، التي خسرت جهود أكثر من ١٣٠٠ شخص من حملة الماجستير والدكتوراه أي نحو ٨٪ من إجمالي عدد الأكاديميين البالغ ١٥٥٠٠ شخص. وحذرت مصادر عديدة من مخططات تهدف إلى اغتيال النخبة العراقية من أصحاب الياقات البيضاء؛ على حد تعبير الناطق باسم قوات الاحتلال في العراق الجنرال مارك كيميت؛ الذي كشف عن حملة واسعة من الاغتيالات جرت في العراق واستهدفت الطبقة المتعلمة والمثقفة، مشيرًا إلى أن عددهم بلغ منذ مايو/ أيار ٢٠٠٣ ما يقرب من ١٠٠٠ مواطن عراقي. واستمر هذا العدد بالتصاعد ليصل إلى أرقام شملت عشرات الألوف من العقول العراقية حسب التقارير التي نشرتها مصادر مستقلة مثل تقرير (ملف الخسائر البشرية المدنية ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥)الذي أصدرته (منظمة تعداد الجثث في العراق) على موقعها على شبكة الانترنيت (www.iraqbodycount.org) حيث يمكن الاستدلال منه على أن هناك جهات متعددة تهدف إلى إفراغ العراق من عقوله المفكرة ومن تلك الجهات «إسرائيل»، [٤٠].

وفي وقت مبكر من احتلال العراق، تحديدًا في ١١/ ٤/ ٢٠٠٣، كشف علماء عراقيون، في نداء استغاثة، أن قوات الغزو الأمريكية والبريطانية تدهم منازلهم وتحقق معهم وتعتقل بعضهم وتطالبهم بتسليم ما لديهم من أبحاث وأوراق. في حين بدأت مفاوضات مع البعض الآخر لنقلهم إلى مراكز بحثية غربية [٤١].

٣ - عملاء الاحتلال والميليشيات التكفيرية منفّذون مطواعون

أما ثالث المستفيدين من تصفية علماء العراق فهم عملاء مجلس الحكم الذين استرخصوا تاريخ العراق وحضارته فـ«أفتوا» بضرورة غزوه واستباحة رمزيته. وقد حمّل وزير شيوعي سابق الجماعات الدينية والسياسية المحلية مسؤولية قتل علماء العراق، من دون أي ذكر لدور الاحتلال، للأسف، حتى ولو بكلمة واحدة، [م].

فما السر في صمت ذلك المجلس واستنكافه عن إدانة عمليات اغتيال علماء العراق أو اعتقالهم أو وضعهم تحت إقامة إجبارية دائمة؟ إن ما جرى إنما هو الترجمة الحرفية لمؤامرة كبرى يشترك في تحقيقها الذين ينفذون كما الذين لاذوا ويلوذون بالصمت، [ن].

ليس من المستغرب أن تكون الحكومة جزءًا من المشكلة، فكيف لها أن تعمل من أجل حلها؟ إن القتلة محميون من ميليشيات تتبع أحزاب مشاركة في الحكومة، وهناك عصابات قتل مرتبطة ومحمية من قوات الاحتلال كونها المرتكب الرئيسي لهذه الجرائم، [س] -

وكشفت المعلومات عن أن بعض الميليشيات المسلحة تملك قوائم بأسماء معينة للأهداف المختارة بهدف تصفيتها، وبخاصة أنه لا توجد عوائق أمنية تواجهها في أداء مهامها. كما تشير المعلومات إلى أنه ليس من عادة عناصر تلك الميليشيات إرسال خطابات تهديد للضحايا، فهم يقومون بتصفيتها دون سابق إنذار. وتؤكد هذه المنظمات أنه عادةً ما تجرى التصفية في الشارع أو في منزل الضحية، أو أثناء صلاة الجمعة، [ع].

إن التدهور الإداري ضرب أركان الوسط الطبي، وسهّل فتح عيادات وهمية لأطباء مزورين، واختلاسات في المال العام وسرقات ونهب للدواء والمستلزمات الطبية. وكل هذا يأتي وفق سياسة تنتهجها عصابات ومليشيات مسلحة مسيطرة في جميع أركان المؤسسات الطبية، تقتل وتهدد من يقف في وجههم، [ف]، ومن أبرز الأمثلة التي تؤكد مشاركة الحكومة العميلة في تصفية العلماء، ومن قبلها مجلس الحكم العميل، الذي تراسه أحمد الجلبي، هو أن هذا الأخير، قد شكّل جهازًا

أمنيًا للقيام بأعمال التصفية والسرقة، ومن المؤكد أنه كان عميلاً بشكل إحدى صلات الوصل بين الاحتلال الأميركي والنظام الإيراني، قبل الاحتلال وبعده. وإن المذكور كان أحد المسؤولين الرئيسيين في استصدار قانون «اجتثاث البعث» الذي كان من أهم أهدافه تفريغ أجهزة الدولة من بنيتها البشرية الأساسية، [ص].

عمليات الاغتيالات تتم بأسلوب متشابه فيما بينها وطريقة الأداء لها غالبًا ما تكون بنفس تفاصيل طريقة الاغتيالات السابقة مما يعني أن وحدات متدربة جيدًا ولديها دعم لوجستي ومعلوماتي متقدم جدًا في داخل العراق لعملية قنص وإعدام الضحية في الحال مع شعورهم بالأمان بعد عملية تنفيذ التصفية الجسدية إلى أي عالم عراقي ومن مختلف الاختصاصات لأن جرائمهم لا يتم المحاسبة عليها من قبل حكومة المنطقة الخضراء ودائمًا تسجل من قبل دوائر الأمن للحكومة الصورية ضد مجهول وحتى التحقيق إذا وجد يكون بصورة أبعد إلى المهزلة منها إلى كشف الحقيقة، [ظا].

أما الحكومة العميلة، فتبرئ نفسها من المسؤولية، وتلقي وزرها على الموساد الصهيوني، وقوات الاحتلال، من دون أن تتساءل عن سبب بقائها على كراسي الحكم، ما دامت لا تستطيع اتخاذ القرار ولا تنفيذه، وأن توفر الحماية لعلماء العراق ومؤسساته التعليمية، هذا ناهيك عن توفير الأمن السياسي والغذائي وحماية أرواح الشعب العراقي.

ومهما قيل ويقال عمن يقف وراء تلك الأعمال الإجرامية، فإن مجلس الحكم الانتقالي الذي كان (يدير) الدولة العراقية وإداراتها المسؤولة، وخاصة الأجهزة الأمنية، يقف عاجزًا تمامًا عن مواجهة أعمال العصابات المنظمة أو التخفيف من أعمالها الإجرامية، والغريب في الأمر أن الجمعيات والأحزاب والمنظمات والهيئات غير المنضوية تحت لواء مجلس الحكم الانتقالي، هي التي تسارع إلى عقد مثل تلك المؤتمرات الصحفية، بغية التعريف بهذه الممارسات الخطيرة، بينما مجلس الحكم الانتقالي لا يتطرق إلى تلك الحوادث، ويعدها حوادث عرضية. وقد ولد

هذا الأمر شكًا عند عدد كبير من العراقيين في أن تلك الجهات، التي قامت بتلك العمليات وتقوم بها، ربما تكون متعاونة مع عدد من أعضاء المجلس الانتقالي، لغرض إفراغ البلد من طاقاته وقدراته، [ض].

٤ - النظام الإيراني يثأر من أبطال القادسية الثانية

سعت أطراف عديدة، منها إيران والكيان الصهيوني، إلى تقويض القوة الجوية العراقية، وتدمير منشآتها، والانتقام من ضباطها، وذلك لعدة أسباب منها:

١. الحقد الذي تكنه إيران للقوة الجوية العراقية لدورهم في قادسية صدام، وكان لهم دور حاسم ومهم في تحقيق النصر النهائي على إيران في ١٩٨٨/٨/٨.
٢. شاركوا في جميع معارك العرب ضد الكيان الصهيوني. لقد نفذ هؤلاء الأبطال طلعات جوية استشهادية ضد العدو الصهيوني في معارك عامي ١٩٦٧و١٩٧٣.

إن إيران وإسرائيل استعجلتا تنفيذ مخططاتهما الهادفة إلى تصفية الرموز الوطنية العراقية وبشكل خاص طياري القوة الجوية. وأصدروا توجيهاتهم إلى الحكومة العميلة لاغتيال من تبقى على قيد الحياة من الطيارين العراقيين بتهم غير حقيقية وكاذبة بغية تصفيتهم وهم قيد الاعتقال، [غ].

ووفقا للإحصائيات العسكرية فإن ١٨٢ طيارًا و٤١٦ ضابطًا عسكريًا اغتيلوا، وإن اكثر من ٨٣٦ طيارًا وضابطًا فروا الى الدول المجاورة، وأشارت الى مسؤولية قوات بدر التي تشكل العمود الفقري للشرطة العراقية والقوات الخاصة، وجّه الضباط وعائلاتهم أصابع الاتهام الى إيران، بتحريض تلك المليشيات، [ق]، وإن مليشيات فيلق بدر، أنشأته إيران، ودربته وسلحته ومولته، وتستخدمه في عملية الثأر من الضباط العراقيين نظرًا لدورهم في الحرب، [ر].

وقد بيّنت إفادات أن العنف الطائفي والمليشيات المدعومة من دول الجوار هي التي تقف وراء اغتيال وتصفية وتهجير الأطباء، في جزء

منهـا، لغايـات تهـدف لإفـراغ البلـد مـن الطاقـات العلميـة الطبيـة. وبينـت الدراسـة كيفيـة اغتيـال نقيـب الأطبـاء العـراقيين وعميـد كليـة الطـب احمـد الـراوي لغـرض اسـتبداله بأحـد الأطبـاء التـابعين لأحـد الأحـزاب النافذة فـي العراق، [ش].

- الاغتيال:

حـذرت منظمـة حقـوق الإنسـان فـي جنيـف منـذ شـباط/ فبرايـر العـام ٢٠٠٤، مـن أن حـالات الاغتيـال، تجـري بمهنيـة عاليـة. وأشـارت إلى أن ضحاياها فـي أغلب الأحيان من أساتذة الجامعة أو العلماء العـراقيين مـن الذين لا يعـرف عنهم أي نشـاط سياسـي، وتجـرى تصفيتهم فـي أمـاكن عامـة عبر قناصـة محترفـين، يقومـون بـإطلاق الرصـاص فـي الأمـاكن المؤثرة في الجسد كالرأس والقلب، حتى يتأكـدوا مـن أن ذلـك الهـدف سيلقى حتفه على الفور، [ش].

المراجع والهوامش الخاصة بهذا الهامش

[أ] ٩/ ٥/ ٢٠٠٧: موقع مرصد الأردن: أربع سنوات على انطفاء المنارة الحضارية في العراق.

[ب] سلمان بـو نعمـان: «اغتيـال العقـول العراقيـة الأهـداف و الخلفيـات»: عـن الرابطة العراقية: ٢١/ ٦/ ٢٠٠٦

[ج] نور علي: «العلماء العراقيون ما بين الاغتيال والخطف والتهجير»: موقـع قنـاة بغداد: ١٩/ ٢/ ٢٠٠٧.

[د] ديفد هوسكنز: « من يقتال المثقفين العراقيين؟»: (صحيفة ووركرز وورلـد) ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥: (ترجمة د. فاضل بدران).

[هـ] ممـدوح عثمـان: « علمـاء العـراق علـى مقاصـل المشـروع الأمريكـي الصهيوني»: مفكرة الإسلام: ٥ -٤ - ٢٠٠٧م.

[و] موقـع قريـة القنيـة: (عمـاد): « الموسـاد وراء اغتيـال وخطـف ٥٣٠ بروفيسـورًا وعالمًا عراقيًا».

[ز] نور علي: «العلماء العراقيون ما بين الاغتيال والخطف والتهجير»: موقع قناة

بغداد :؟؟.

(ح) خالد محمد غازي (رئيس تحرير وكالة الصحافة العربية): « آلاف من علماء العراق أجبروا على الرحيل منذ بدء الاحتلال»: الحوار المتمدن: العدد ١٠٦٠/تاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤. (استنادًا إلى تقرير أصدرته رابطة الجامعيين العراقيين عن أشكال الاعتداءات عليهم في العراق).

(ط) ديفد هوسكنز: « من يغتال المثقفين العراقيين؟»: (صحيفة ووركرز وورلد) ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥: (نقلاً عن مقالٍ نشرتهُ (مجلة التعليم العالي اللندنية)، (ترجمة د. فاضل بدران).

(ي) ممدوح عثمان: « علماء العراق على مقاصل المشروع الأمريكي الصهيوني»: مفكرة الإسلام: ٥ -٤ -٢٠٠٧م.

(ك) د.عماد علو. كاتب من العراق: «الاحتلال الأمريكي وهجرة العقول والكفاءات»:

(ل) جريدة الكفاح العربي/ حزيران ٢٠٠٤: (بتاريخ ١١/ ٤/ ٢٠٠٣) أرسل عدد من علماء وأساتذة الجامعات العراقية نداء استغاثة عبر البريد الالكتروني. الرسالة تتحدث عن عمليات دهم وتحقيق واعتقال تنفذها قوات الاحتلال، وعن محققين أوفدوا لجمع كل ما يملكه العلماء من وثائق وأبحاث علمية خصوصا في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

وفي الرسالة التي أملاها احد العلماء على زميل له يعمل في هولندا، طالبا توزيعها على وسائل الإعلام، أنَّ جنود الاحتلال يشجعون أعمال السلب والنهب، ويزرعون عملاءهم في المؤسسات العلمية العراقية، ومنها جامعة الموصل والمعاهد التعليمية، ويتعمدون إشاعة الفوضى من اجل تدمير مراكز الأبحاث ومصادرة كل الوثائق والأوراق المتصلة بالمشاريع العلمية. وتكشف الرسالة التي حملت توقيع مئات العلماء أنَّ قوات الاحتلال وضعت العشرات تحت الإقامة الجبرية، كما منعت عددًا آخر من التوجه إلى الجامعات ومراكز العمل، وفاوضت آخرين من اجل نقلهم إلى مراكز أبحاث أمريكية أو بريطانية. وتؤكد الرسالة أنَّ فرق الدهم كانت تحمل لوائح بالأسماء والعناوين، مما سهل عمليات التهديد والتحقيق في غياب كامل لأي سلطة وانشغال العالم كله بالفوضى التي يعيشها العراق).

(م) محمد عارف مستشار في العلوم والتكنولوجيا: « لماذا التغطية على مذبحة

علماء العراق؟»: مؤسسة الإمارات للإعلام: ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦.

[ن] يحيى اليحياوي: «عن اغتيال علماء العراق»: جريدة العلم، ١٦ مارس ٢٠٠٤.

[س] الجزيرة الفضائية: « حملة تصفية علماء العراق»: مقدم الحلقة: فيصل القاسم، ضيوف الحلقة: قيس العزاوي/ رئيس اللجنة الدولية لحماية علماء العراق، وعصام الراوي/ رئيس رابطة المدرسين العراقيين، و جون بول شارنبيه/ محاضر في مركز فلسفة الإستراتيجية، تاريخ الحلقة : 17/3/2006 (يقول الدكتور الراوي: كيف نطلب من المجرم أن يحل مشكلتنا؟ وكيف نعتقد أن حارسين لكل أستاذ هو الحل؟ الآن نرفض أن نمشي برفقة أحد حتى لا يقتلون معنا. خلال أسبوع واحد كان هناك كارثة في الجامعة المستنصرية. اضطر الدكتور عدنان كريم رجب وهو رئيس قسم إلى الهروب، اختطف الدكتور علي حسن مهاوش عميد كلية الهندسة ثم وُجد مقتولا ، وخلال التشييع قُتل أحد الأساتذة في قسم الهندسة الكهربائية، واختطف ثلاثة آخرون، بالله عليك هل وجدت السيد رئيس الجامعة المستنصرية ولو قدم شكوى بسيطة؟ هل يمكن وزير التعليم العالي أن يهتم بالأمر؟ في أسبوع واحد أكثر من ثمانية تعرضوا للقتل والاختطاف واضطر أربعة للهجرة. كيف تتوقع الإحساس من حكومة مات إحساسها؟). بغداد ـ القدس العربي ٢٦/١٠/٢٠٠٦: ضياء السامرائي. (من جهتها تتهم سارة الزهاوي وهي طبيبة في مجال أشعة السونار ببغداد فتقول لقد تعبنا من فرض الوصايات والمحسوبيات التي تفرضها الجماعات المسلحة بغطاء حكومي وديني).

[ع] محيط - فتحي مجدي / 20-06-2004: حملة اغتيال علماء العراق وتصفيتهم.

[ف] بغداد - القدس العربي ٢٦/١٠/٢٠٠٦: ضياء السامرائي. (وأنموذج ذلك، ما حدث للطبيبة سعاد السامرائي مسؤولة مذاخر الأدوية في محافظة البصرة بعد اكتشافها حالات اختلاس ضخمة دفعت حياتها ثمنا لها على الرغم من تهديدها مسبقًا).

[ص] الركن الأخضر: ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٥: الدكتور أيمن الهاشمي (أكاديمي عراقي/ جامعة بغداد):= =«قراءة في صفحة سجل سوابق أحمد الجلبي»: (تضمنت القوائم المضبوطة، في مكتب أحمد الجلبي، أسماء مئات من المواطنين العراقيين من مدنيين وعسكريين وبينهم رجال فكر وصحافة

وكتاب وأدباء ورجال أعمال وأطباء، ممن تمت تصفيتهم وممن لم تتم تصفيتهم بعد، مما يثبت صلة حزب الجلبي بالتنسيق مع ميليشيات فيلق بدر التابعة للمجلس الأعلى لما تسمى بالثورة الإسلامية في العراق، بينهم عدد كبير ممن طالتهم رصاصات التصفية ومنهم من لا زال على قائمة الانتظار.

فور دخول الجلبي مع قوات الغزو، واستيلائه على عدد من القصور ودور الدولة والمباني الحكومية، وعلى مبنى المخابرات العراقية في الحارثية بكل ما فيه من وثائق وسجلات، قام باستغلال حاجة عدد كبير من الشباب العراقي تحت الفاقة والعوز، وقام بتجنيدهم لقاء إعطائهم مبالغ شهرية تتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ دولار، وتكليفهم بأعمال تتراوح بين التصفيات، وسرقة سيارات الدولة. كما أنه بالتنسيق قام على مدى سنوات التسعينيات باستغلال حاجة الشباب العراقي المهاجر، وجند منهم بحدود ٥٠٠٠ شاب، وجمعهم في معسكر للتدريب في هنغاريا بإشراف المخابرات المركزية.

كان الجلبي جاسوسًا لإيران، ومن خلالها كان يقدم المعلومات المفبركة ضد العراق، وأمضى وقتًا فيها قبل الحرب على العراق وبعدها، و لم ينف ذلك ولا نفاه الإيرانيون. فقبل الحرب سافر في شهر آذار (مارس) ٢٠٠١ إلى طهران والتقى كبار المسؤولين وأقام فيها مكتبًا للمؤتمر الوطني العراقي. وفي ١٩ آذار ٢٠٠١ سئل الناطق باسم الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر عن زيارة الجلبي لإيران وعما إذا كانت تزعج واشنطن، فلم يجب!. لقد كانت علاقات الجلبي بإيران من صالح الولايات المتحدة وهي تستعد للحرب، فهو استطاع أنْ يرتب نصب جهاز إرسال، على الأراضي الإيرانية، لبثٌ موجّة إلى العراق. وفي آب (أغسطس) ٢٠٠٢ التقى بمسؤولين كبار في طهران وتوجه بعدها إلى واشنطن. وكان قد اتصل بمسؤولين في واشنطن من طهران، خلال اجتماعاته مع المسؤولين الإيرانيين ومع محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية. وفي كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢، ومع اشتداد الإستعدادات للحرب، سافر الجلبي إلى طهران ويومها نقلت الوكالة الإيرانية للأنباء «إنَّ أمين عام المؤتمر الوطني العراقي احمد الجلبي يتوسط ما بين إيران وأمريكا»، ونقلت عن الجلبي تصريحه: «إنَّ تحالفنا مع إيران ليس مؤقتًا». وكذلك في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣، قصد طهران للقاء الحكيم قبل انعقاد مؤتمر المعارضة العراقية في لندن. وفي مقابلة مع وكالة أنباء الطلاب قال: «إنَّ تعاوننا مع إيران جيد جدا، لا احد يمكن أنْ ينفي أن إيران كانت

الأكثر تعاونًا معنا من بقية الدول المجاورة.

المعلوم أن الجلبي كان هو وراء إصدار قانون اجتثاث البعثيين، والذي صدر في وقت رئاسته لمجلس الحكم، كما أنه كان المحرض الأول على إصدار قرار حل الجيش العراقي، وقد اعتقد (أنَّ تغييب شريحة ذات خبرة في الإدارة والعمل العسكري سيسهم في تسريع استيلائها على السلطة وتمكنها من إدارة دفة الحكم في ظل الاحتلال حتى لو تم جلب الخبرات والكفاءات من الخارج).

لظا موقع شباب مصر/ صباح البغدادي - العراق: « تصفية العلماء... مفاتيح إعادة بناء العراق وتنميته... لمصلحة من؟». (تناقلت وسائل الأعلام المسموعة والمرئية ليوم ٥ نيسان ٢٠٠٦ خبر اغتيال مسلحين الأستاذ الجامعي صلاح عزيز هاشم (٣٩ سنة) وقال الشهود حاولنا مرارًا الاتصال بقسم الطوارئ في شرطة البصرة لكن الاستجابة جاءت متأخرة جدًا. ويؤكدون بأن قوات الشرطة أوقفت عدة مرات عصابات معروفة الوجوه متلبسة بجرائمها ويجري الإفراج عنهم إثر مكالمات من جهات نافذة في محافظة البصرة وهم ينتمون في أغلبهم لأحزاب معروفة للمواطن البصري).

لض) «اختطاف علماء العراق»: شبكة البصرة: ١٤/ ٦/ ٢٠٠٤: (يقول الدكتور محمود العباسي من وزارة الصحة العراقية: إن هذه الظاهرة تحتاج إلى دراسة واستقصاء؛ لأنها ليست عملاً عبثيًا، وإنما هي من تخطيط جهات أجنبية، وأن أصابع الاتهام تتجه نحو الموساد الإسرائيلي، وبأنه الجهة الوحيدة التي تمارس مثل هذه الجرائم؛ وأثبتت الوقائع أن الكثير من الأعمال الإجرامية مارسها رجال الموساد الذين ينتشرون في جميع انحاء العراق ولاسيما في بغداد والمنطقة الشمالية.. إن مجلس الحكم مطالب بتوفير حماية حياة العلماء وعدم تركهم عرضة للاغتيال أو الاختطاف أو الهجرة.

واستنكرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ظاهرة الاختطاف والإرهاب التي يتعرض لها الأطباء العراقيون، وأدان زياد عبد الرزاق أسود (وزير التعليم العالي) هذه الظاهرة ووصفها بالخبيثة، التي= =تقف وراءها أياد مخربة ومشبوهة، تريد أن تدمر البلد وثروته العلمية. وأضاف: إن وزارة التعليم العالي تطالب وزارة الداخلية ومجلس الحكم توفير الحماية المطلوبة لهؤلاء

الأطباء والتدريسيين العلماء من خيري هذا البلد الطيب لغرض إفشال مخطط أعداء العراق).

محيط - فتحي مجدي / 20-06-2004: اتهم أسامة عبد المجيد رئيس دائرة البحوث في وزارة التعليم العالي العراقية في تصريح لصحيفة "السبيل" الأردنية "، الموساد " باغتيال العديد من العلماء العراقيين، بمساعدة قوات الاحتلال. وأوضح أن وزارة الداخلية العراقية تكتمت على نتائج تحقيقاتها التي طالت العديد من الأشخاص المشبوهين في تنفيذ عمليات، في حين أطلقت قوات الاحتلال سراح بعضهم. كما اتهم وكيل وزارة الصحة العراقية عامر الخزاعي «أيادي خفية وخبيثة بالوقوف وراء هذه الظاهرة، بهدف تعطيل عملية النهوض بالعراق من جديد».

كذلك اتهمت رئيسة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد هدى النعيمي «الموساد» بالوقوف خلف سلسلة الاغتيالات التي تستهدف علماء ومدرسين في جامعات العراق المختلفة، وأضافت: إن ثمة عروضًا إسرائيلية ربما قدمتها تل أبيب إلى هذه الطائفة التي تمثل النخبة العراقية بعد احتلال البلاد، وبمساعدة أطراف خارجية، للعمل في جامعاتها أو التعرض للاغتيال.

جريدة الزمان (العراقية): «الأمريكان يعتقلون ٣١٩ أكاديميًا ويطلقون عليهم ألقاب الكلاب»: ٣/ ٤/ ٢٠٠٦: (أكد الدكتور صباح حسن الحسيني الوكيل الاداري في وزارة الصحة ان (الوزارة دعت في وقت سابق إلى تشكيل لجنة عليا لمكافحة العنف والارهاب الذي يستهدف العقول والكفاءات العراقية، ووجهنا الدعوة إلى جميع المسؤولين والي رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية شخصيا بالاضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الحكومية الا اننا لم نتلق اية استجابة من قبل بعض المسؤولين في وزارة التعليم العالي ولذلك لم نتقدم اية خطوة ايجابية حول الموضوع).

شبكة البصرة: ١٤/ ٦/ ٢٠٠٤: «اختطاف علماء العراق»: أعلن الدكتور عامر الخزعلي (وكيل وزارة الصحة للشؤون الفنية) أن (إياد خفية) تكمن وراء عمليات خطف أو اغتيال الأطباء، وقال: إن ما == ==لحق بشخصيات علمية من إساءة وامتهان للكرامة، فضلاً عن ابتزازها، دفع أقرانها إلى اعتزال العمل واعتماد خيار الهجرة هربًا من سطوة العصابات الإجرامية المنظمة، كما أن هناك عصابات إجرامية تفرض إتاوات على الأطباء مقابل

عدم التعرض لهم، على أن يتم دفعها للعصابات شهريًا.

٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧/ سويس لأنفو: «من يحمي العلماء العراقيين من الاغتيال؟»: (حوار مع د. قيس العزاوي، رئيس لجنة حماية الصحفيين العراقيين، ورئيس اللجنة الدولية لحماية الأساتذة الجامعيين): اعترف وزير التعليم سامي المظفر بخطورة هذه الظاهرة، وقال "إن وزارته وحكومة الجعفري لا تستطيعان توفير الحماية اللازمة للأساتذة، وفضل أن يصار إلى تعيين علماء العراق كملحقين ثقافيين بالسفارات العراقية في الخارج. لكن حتى هذه "الالتفاتة"، لم تحل وضعية آلاف الأساتذة المعرضين للتصفية والاختطاف.

[غ] شبكة البصرة/ ٣/ ٦/ ٢٠٠٣/: خليل السلماني: «اعتقال واغتيال صقور الجو اتفاق إيراني صهيوني تنفذه الحكومة العميلة».

[ق] صباح ديبس: « تدمير واغتيال قدرات العراق وعقوله، هدف من جملة أهداف شريرة للاحتلال وحلفائه»: شبكة البصرة: ١٤ نيسان ٢٠٠٦. (نقلاً عن (الصنداي تايمز)، بتاريخ ٩/ ٤/ ٢٠٠٦).

[ر] موقع شباب مصر/ صباح البغدادي - العراق: « تصفية العلماء... مفاتيح إعادة بناء العراق وتنميته... لمصلحة من؟». (وأشارت الإحصاءات العسكرية الرسمية أن ١٨٢ طيارًا سابقًا و٤١٦ ضابطًا عسكريًا برتبة كبيرة قد قتلوا في إطار هذه العملية حتى شهر شباط ٢٠٠٦ وأن ما لا يقل عن ٨٣٦ طيارًا وضابطًا عسكريًا بارزًا قد فروا إلى الدول العربية المجاورة، طلبًا للحماية من عمليات الاغتيال. وأشارت الصحيفة إلى أن الطبيعة التنظيمية لعمليات الاغتيالات توجه الاتهام إلى مسؤولين في داخل الحكومة العراقية من الموالين لإيران تقف وراء هذه الاغتيالات. وتروي الصحيفة قصة اغتيال لواءين بالقوة الجوية العراقية السابقة هما: اللواء قاسم شالوب واللواء سعاد بها الدين اللذين تم اختطافهما وعثر على جثتيهما قرب مدينة الصدر، وقد قطعت أيديهما وأطلق الرصاص على رأسيهما، كما وُجد على جسديهما آثار جروح ببلطة في رأسيهما، وعلى ثقب في رقبة أحدهما= =تم بمثقاب كهربائي. ونقلت الصحيفة عن شقيق أحد الطيارين اللذين اغتيلا قوله: إن أي شخص شارك في الحرب ضد إيران هو الآن هدف محتمل ولا يعرف متى يتم تنفيذ حكم الإعدام به، وليس بوسعنا الهروب أو الدفاع عن أنفسنا، إننا نسير ونحن موتى). - نقلاً عن تقرير

لصحيفة (صنداي تايمز) أن الطيارين العراقيين الذين خاضوا الحرب ضد إيران يتعرضون لعملية ملاحقة منظمة ومبرمجة للقتل والتصفية من جانب المخابرات الإيرانية وعملائها.

[ش] بغداد - القدس العربي ٢٦/١٠/٢٠٠٦: ضياء السامرائي.

[٢٥] محيط - فتحي مجدي / 20-06-2004: رصاصة واحدة تكفي: حملة اغتيال علماء العراق وتصفيتهم- خطة صهيونية – أمريكية.

[٩٠] راجع الإستفاضة النظرية حول مفهوم وتجليات "العولمة الأمريكية" التي كتبها السيد سمير أمين في كتاب العلاقات العربية - التركية: حوار مستقبلي، والكتب هو إجمال لندوة فكرية شارك فيها عشرات الباحثين العرب والأتراك والأجانب، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى الصادرة بتاريخ كانون الثاني / يناير ١٩٩٥، ص ٤٩٠ - ٥١٣ بما فيها المصادر، كما تتالت الدراسات والبحوث حول هذه الظاهرة: النازية الجديدة المنفلتة من عقال كل القوانين الدولية التي جاءت في منظومات الأمم المتحدة - على سبيل المثال - في التاريخ المعاصر، والتي تناول تأثيرها على منظومات القيم الثقافية ومن خلال إستفاضة علمية و"رؤية مستقبلية" رائعة، وفي مناسبات متعددة، وكتب مؤلفة، ومقالات كثيرة، ومقابلات إذاعية ومتلفزة ومحاضرات شهيرة، السيد المبدع المغربي الدكتور المهدي المنجرة، والتي يمكن مراجعة بعضها على العنوان الإلكتروني: www.elmandjra.org.

[٩١] راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، الأسطورة الإمبراطورية والدولة اليهودية، لإصدار دار الشروق، الطبعة الثالثة، ٣ أبريل عام ١٩٩٦، ص ٩٩.

[٩٢] راجع الكتاب الذي ألفه الأستاذ عبد الإله بلقزيز المعنون من العروبة إلى العروبة، أفكار في المراجعة، إصدار الشركة العالمية للكتاب، بيروت / لبنان، عام ٢٠٠٢، ص ٥٩.

[٩٣] المصدر السابق، ص ٦١.

[٩٤] راجع كتاب الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابري المنشور في قضايا الفكر العربي (٣) ضمن سلسة الثقافة القومية (٢٧) والمعنون مسألة الهوية العروبة والإسلام... والغرب، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت / لبنان، الطبعة الثانية الصادرة في كانون الثاني / يناير ١٩٩٧، ص ٢٢ - ٢٣.

[٩٥] راجع كتاب الأستاذ عبد الإله بلقزيز، من العروبة إلى العروبة، مصدر سبق ذكره، بلقزيز، ص ١٤٩.

[٩٦] راجع المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

[٩٧] راجع كتاب الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والمعنون النظم الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

[٩٨] من الضروري الفهم الديني / المذهبي عند أتباع هذا القسم من المسلمين لمفهوم الإمامة على ضوء التعاليم الإمامية التي تتعلق بالرؤية المذهبية الصحيحة، وليس المنطلقة من الإعتبارات الصفوية الفارسية، إذ أنَّ جوهر هذا المفهوم "يتمثل المبدأ الأساسي، الذي ميز الشيعة عن بقية المسلمين، في فكرة الإمامة، أي القيادة السياسية والدينية، فالإمامة وحاملها نفسه قد نصبهما الله وحدهما عن طريق نبيه، وسلطة الإمام تشمل الأرض كلها، فهو يحكمها بلا حدود، لأنَّ الله وكل إليه أمرها، وكل ما يوجد فيها وفوقها، سواء أكان معدنا، أم غابة، أم حيونًا، برًا أم بحرًا، فالأشياء كلها ملك للإمام، وله الخمس مما يكسبه الناس من أعمالهم"... إلخ، راجع كتاب الأستاذ جواد علي المعنون المهدي المنتظر عند الشيعة الإثني عشرية، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٧، منشورات دار الجمل، كولونيا - ألمانيا، ص ١٣]، والكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه نال من خلالها المؤلف درجة الدكتوراه، من جامعة هامبورغ في ألمانيا عام ١٩٣٩. ولعل ما ينبغي ذكره على هذا الصعيد هو مفهوم الخلافة القائم على مشاورة المجموع بهذا المَعْلم المهم لكل الذين يعيشون في ظل النظام الإسلامي.

إنتهت

وثائق جديرة بالقراءة لمن يهمهم أمر العراق:

دراسة أمريكية تكشف الدور الإيراني في العراق قبل الاحتلال وبعده الحرس الثوري جند ٧٠ ألفاً تحت شعار مساعدة الفقراء وقوات القدس تغلغلت في شركات البناء

واشنطن: أحمد عبد الهادي

كشفت دراسة أصدرتها مؤسسة "جيمس تاون فاونديشن" الأمريكية عن دور الحرس الثوري الإيراني في تأجيج المواجهات الطائفية بالعراق. وخصصت المؤسسة ذات الصلات الوثيقة بوزارة الدفاع الأمريكية الصفحات الأولى من دراستها للتحركات الإيرانية في العراق قبيل الحرب في سياق الاستعداد لاستغلال نتائجها عبر المنظمات العراقية المعارضة التي لجأت إلى إيران.

وقالت الدراسة التي جاءت تحت عنوان "مساهمة إيران في الحرب الأهلية في العراق"، إن فيلق بدر التابع "للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق" بزعامة عبد العزيز الحكيم، على نحو خاص نظم عدداً من الاجتماعات مع الزعيمين الكرديين جلال الطالباني ومسعود البرزاني، كما أنه عقد لقاءات مع عدد من قادة الجماعات المعارضة في الجنوب بحضور مسؤولين في الحرس الثوري الإيراني شارك فيها نائب قائد الفيلق أبو مهدي المهندس وقائد قواته أبو حسن العماري ومسؤول عملياته الاستخبارية أبولقاء الصافي ومسؤول عملياته أبو أيوب البصري

وذلك في نوفمبر ٢٠٠١.

وأشارت الدراسة استنادًا على وثائق ضبطت في العراق إلى أن تعليمات قادة فيلق بدر التي نقلوها إلى من التقوا بهم تضمنت الاستعداد لحدوث غزو أمريكي وتقديم الدعم الضروري والفعال للقوات الأمريكية عند وصولها إلى الأراضي العراقية والقيام بعمليات استطلاع وبهجمات محدودة المدى بهدف شغل القوات العراقية في الجنوب.

فضلاً عن ذلك فقط طلب الحرس الثوري الإيراني من فيلق بدر تشكيل كتيبتين سُميت الأولى "مجاهدي الحسين" ترسل إلى مدينة العمارة وسُميت الثانية "أنصار الحسين" ترسل إلى الناصرية لجمع المعلومات عن انتشار الوحدات العسكرية العراقية قبل شن الحرب ولتحديد مواقع المنشآت الحكومية ومراكز قوات الدفاع الجوي. وأشرف على ذلك جنرال من الحرس الثوري الإيراني يدعى الجنرال محمد. وكان الجنرال محمد قد اتخذ من مكتب في السليمانية مركزًا لاتصاله بشبكة أفراد فيلق بدر. وقد طلب الجنرال من أفراد فيلق بدر السيطرة على الطريق الواصل بين الديوانية والقاسم التي تقع في محافظة بابل فور دخول القوات الأمريكية.

وفي ١١ مارس ٢٠٠٤ - أي بعد الغزو - قامت المخابرات الإيرانية بافتتاح مكتب في النجف أطلقت عليه اسم "مكتب مساعدة الفقراء". وقامت المخابرات الإيرانية بتوزيع ألفي دولار فورًا وألف دولار كل شهر على من يقبلون بالانضمام إلى ميليشيات معينة. وتمكنت المخابرات الإيرانية من تجنيد ٧٠ ألف شخص انضم عدد منهم إلى الميليشيات فيما بقي العدد الآخر للقيام بمهام استطلاع وإسناد.

وتشير الدراسة إلى وثيقة تضمنت اعتراف ضابط إيراني منشق بمدى التغلغل الذي قامت به المخابرات الإيرانية داخل العراق في

تلك الآونة. وقال الضابط "إن مدى واتساع عمليات قوات القدس (التابعة للحرس الثوري) في العراق تجاوز ما فعلناه خلال الحرب بيننا وبين صدام، إن هناك مناطق واسعة في العراق تخضع لقوات القدس من الناحية العملية وذلك عبر المتعاونين معها. إن هذه القوات تستخدم شبكة من المؤسسات الخيرية والشركات والواجهات الأخرى لممارسة أنشطتها في أنحاء العراق".

وأضاف الضابط "أننا نقوم بإرسال ضباطنا إلى العراق لفترات تمتد إلى شهور وذلك تحت غطاء العمل في شركات البناء. وقد عملت شركة "مثل شركة الكوثر في النجف مثلاً إلا أنها كانت واجهة لقوات القدس في حقيقة الأمر". وأشار التقرير إلى أن الإيرانيين أرسلوا خلال العامين المنصرمين نحو ألفي طالب دين إلى النجف وكربلاء للدراسة إلا أن ثلثهم على الأقل كانوا من عملاء المخابرات أو من أفراد قوات القدس. ويقوم هؤلاء بدعم الميليشيات وبتنظيم أعداد من العراقيين في خلايا سرية.

وأشار التقرير إلى وجود اتفاق سري بين إيران وما يسمى حكومة كردستان يقضي بألا تتدخل طهران في الشؤون الداخلية لكردستان وألا تدخل قواتها إلى أراضي شمال العراق خلال تعقب العناصر الكردية الإيرانية المعارضة للحكومة الإيرانية وفي المقابل وافقت الحكومة الكردية على ألا تسمح بأي عمليات عسكرية ضد إيران من أراضيها.

وأشار التقرير أيضًا إلى قيام المخابرات الإيرانية باغتيال أعداد كبيرة من الأساتذة الجامعيين والعلماء والأطباء العراقيين بالإضافة إلى الضباط ولا سيما الطيارين. وذكر أن عدد الطيارين وكبار الضباط السابقين الذين اغتالتهم المخابرات الإيرانية منذ الغزو الأمريكي بلغ ٩٠ ضابطًا وطيارًا.

ولأن ذلك مثل لكثير من العراقيين من الشيعة والسنة والأكراد

عدوانًا على وطنهم من قوة خارجية، أي لأن هؤلاء العراقيين لم ينظروا إلى الأمر على أساس مذهبي أو طائفي فقد تعددت أعمال المعارضة لهذا التغلغل، حتى من بين صفوف الشيعة الذين حاولت المخابرات الإيرانية إقناعهم بأنها تفعل ذلك لخدمتهم.

من ذلك مثلاً ما ذكره التقرير عن اغتيال المخابرات الإيرانية لضابط شيعي يدعى العقيد غازي كان يعمل في إدارة الهجرة والجنسية العراقية عام ٢٠٠٤ لأنه رفض الموافقة على منح الجنسية لإيرانيين ادعوا أنهم عراقيون عائدون من إيران. ووجهت الميليشيات تحذيرات إلى العقيد غازي لوقف معارضته منح أوراق هوية عراقية لغير العراقيين ثم انتهى الأمر باغتياله

ومن ذلك أيضًا الغضب الذي عبر عنه الرئيس جلال الطالباني عند علمه باستهداف الطيارين والعلماء العراقيين والعرض الذي قدمه لهم بالتوجه إلى شمال العراق حيث سيتولى حمايتهم إذا تعقبتهم المخابرات الإيرانيةوأشار التقرير إلى شراء عناصر من المخابرات الإيرانية لمساحات واسعة من الأرض ولاسيما في جنوب العراق فضلاً عن٥ آلاف شقة ومنزل ومحل تجاري في بغداد والبصرة والنجف وكربلاء. وأضاف أن هذه الأماكن تستخدم كمواقع للإيرانيين العاملين في العراق من أفراد المخابرات والحرس الثوري والميليشيات التي تعمل معهم.

وذكر التقرير حجم الدعم الذي قدمته إيران لقوى سياسية عراقية معينة خلال الانتخابات التي جرت عام ٢٠٠٥ بما في ذلك طبع الملصقات والمنشورات بل وإرسال صناديق تصويت معبأة بالأصوات الجاهزة لتوضع محل الصناديق المعروضة في مراكز الاقتراع وذلك مع البدء في فرز الأصوات.

وقال التقرير إن العراق يمر بحالة حرب أهلية وإن إيران تأمل في السيطرة الكاملة على جنوب العراق وفصله من الوجهة العملية عن

بقية أنحاء العراق. وأضاف الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية. "أن الميليشيات التي تدعمها إيران اخترقت أجهزة الأمن العراقية بكل مستوياتها ووسعت مجال عملياتها في كل أنحاء العراق. وهذه الميليشيات مسؤولة عن مصرع أعداد من المدنيين تفوق أعداد من لقوا مصرعهم على أيدي المتمردين والمقاتلين الأجانب الذين تعتبرهم الولايات المتحدة خصمها الأول".

وأوضح التقرير أن هذه الميليشيات تسيطر تقريبًا على القوات التابعة لوزارة الداخلية العراقية. وأضاف "ومن المؤسف أن بعض هذه القوات إن لم تكن أغلبية الميليشيات الشيعية كانت يومًا جزءًا من القوات الأمنية العراقية الجديدة التي دربتها قوات التحالف وأنفقت على تدريبها مليارات الدولارات على أساس أن هذه القوات ستخدم العراقيين وتنقذ العراق بدلاً من أن تتبع الأجندة السياسية الإيرانية".

عن جريدة الوطن السعودية ٢٠٠٧/٢/١٠

عن شبكة البصرة الأحد ٨ صفر ١٤٢٨ / ٢٥ شباط ٢٠٠٧

http://www.albasrah.net/ar_articles_2007/0207/hares_250207.htm

باقر الصرّاف

الرؤية السياسية الإيرانية
في ظل حكم الملالي



يتردد في هذه الأيام، وبكثرة، مصطلح "الفارسية الصفوية" في الكتابات السياسية التي تمّس القضية العراقية، أو التي تعكس هموم العراقيين كلهم، إلا مَنّ تماهى مع الرؤية الأيديولوجية للقيادات الإيرانية الحالية بشقيها السياسي الفارسي والمتعصب مذهبياً. كون هذا المفهوم ذا سيرورة تاريخية مستمرة، ودالة على نزوع قومي فارسي عنصري ضد العرب العراقيين خصوصاً.

إن ظاهرة السياسة الصفوية الفارسية ضد العرب والعروبة، ناجمة عن رؤية تاريخية لها أبعادها الفكرية المتأصلة في الرؤية الطائفية المذهبية وتجسداتها العملية في الواقع السياسي الراهن، الحديث والمعاصر من حيث الموقف والممارسة على الصعيدين الأحوازي والعراقي وبعض بلدان الخليج العربي.

باقر الصرّاف



